المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّةِ]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

مُقْتَبَسَةً مِنْ مُوسُوعَةِ التَّفْسِيرِ المَأْثُورِ

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْنُ عَبْدِهِ

د/ آلَاء رِضَا

غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا وَلِوَالِدَيْهِمَا وَلِمَشَايِخِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

«المُغْنِي فِي التَّفْسِيرِ»

المُحَرِّرُ الجَامِعُ لِتَفَاسِيرِ السَّلَفِ

سورةُ الكَهفِ

(المجلدُ الخامسَ عشرَ)

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتِرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الكَهفِ

سُورةُ الكَهفِ

سورةُ الكَهفِ[1]

وردَ لهذه السورةِ اسمانِ:

- سورةُ الكَهفِ:

فعن النَّوَّاسِ بنِ سِمْعانَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((ذَكَرَ رَسولُ اللهِ - ﷺ - الدجَّالَ ذاتَ غَداةٍ...))، وفيه أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: ((فمَن أدْرَكه منكم، فليَقْرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهفِ)).[2]

---

(1) سُمِّيَت سورةَ الكهفِ؛ لاشتمالِها على قِصَّةِ أصحابِ الكَهفِ بتَفصيلِها.

يُنظر: ((بصائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (1/297).

(2) أخرجه مسلم (2937).

وعن أبي الدَّرداءِ رَضيَ اللهُ عنه، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال: ((مَن حَفِظَ عَشرَ آياتٍ مِن أوَّلِ[3] سُورةِ الكَهفِ، عُصِمَ مِن الدجَّالِ)).[4]

– سورةُ أصحابِ الكَهفِ:

فعن النَّوَّاسِ بن سِمْعانَ رضي الله عنه، قال: ((ذكَرَ رَسولُ اللهِ – ﷺ – الدجَّالَ ذاتَ غَداةٍ...))، وفيه قال – ﷺ –: ((فمَن رآه منكم، فليَقرأْ فواتِحَ سُورةِ أصحابِ الكَهفِ)).[5]

فضائل السورة وخصائصها:

1– أنَّ قِراءةَ سُورةِ الكَهفِ سَبَبٌ لِنُزولِ السَّكينةِ:

---

(3) قال ابنُ القيم: (واختُلِفَ فيه، فقال بعضُ الرواة: «مِن أوَّلِ سُورةِ الكَهفِ»، وقال بعضُهم: «مِن آخرِها»، وكلاهما في الصحيحِ، لكنَّ الترجيحَ لِمن قال: «من أوَّلِ سورة الكهفِ»؛ لأنَّ في «صحيح مسلم» من حديث النوَّاسِ بنِ سِمعانَ في قصَّةِ الدجَّالِ: «فإذا رأيتُموه، فاقرَؤوا عليه فواتِحَ سورةِ الكهفِ»، ولم يُختَلفْ في ذلك، وهذا يدلُّ على أنَّ مَن روى العشرَ من أوَّلِ السورة حَفِظَ الحديثَ، ومن روى من آخِرِها لم يحفَظْه).

((جلاء الأفهام)) (1/324)، ويُنظر: ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) للألباني (2/ 124)، و (6/ 314).

(4) أخرجه مسلم (809).

(5) أخرجه الترمذي (2240)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (10783).

قال الترمذي: (حسنٌ صحيحٌ غريبٌ).

وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2240).

والحديث أصله في مسلم (2937) دون لفظة «أصحاب».

فعن البَراءِ بنِ عازبٍ رَضِيَ الله عنهما: ((قرأ رجلٌ الكَهفَ وفي الدَّارِ الدَّابَّةُ، فجعلَت تنفِرُ، فسَلَّمَ، فإذا ضبابةٌ أو سَحابةٌ غَشِيَته، فذكَرَه للنبيِّ - ﷺ -، فقال: اقرأْ فلانُ؛ فإنَّها السكينةُ نَزَلت للقُرآنِ، أو تنزَّلَت للقُرآنِ)).[6]

2- حِفظُ عَشرِ آياتٍ مِن أوَّلِ سورةِ الكهفِ عِصمةٌ مِن الدجَّالِ:

فعن النوَّاسِ بنِ سِمْعانَ رَضِيَ الله عنه، قال: ((ذَكَر رسولُ اللهِ - ﷺ - الدجَّالَ ذاتَ غداةٍ...))، وفيه أنَّ رسولَ الله - ﷺ - قال: ((فمَن أدْرَكه منكم، فليَقْرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكَهفِ)).[7]

وعن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ الله عنه، أنَّ النبيَّ - ﷺ - قال: ((مَن حَفِظَ عَشرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورةِ الكَهفِ، عُصِمَ مِن الدجَّالِ)).[8]

---

(6) رواه البخاري (3614)، ومسلم (795).
(7) أخرجه مسلم (2937)
(8) أخرجه مسلم (809).
وسببُ قراءةِ عشرِ آياتٍ مِن أوَّلِ سورةِ الكهفِ على الدجَّالِ، وكونِها عصمةً منه، فيه أوجهٌ: منها: ما في قصةِ أصحابِ الكهفِ مِن العَجَبِ والآياتِ، فمَن عَلِمَها لا يَستغربُ أمرَ الدَّجالِ، ولا يُفتَنُ به.
ومنها: أنَّ قولَه تعالى: لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ [الكهف: 2] يُهَوِّن بأسَ الدجالِ، وقولَه: وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا [الكهف: 2- 3] يُهَوِّنُ الصبرَ على فتنِ الدجالِ بما يُظهِرُ مِن نعيمِه وعذابِه، وقولَه: وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا [الكهف: 4] وقولَه: كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ [الكهف:5] يذمُّ فيهما مَن يدَّعي لله ولدًا، ولا مثلَ له، فكيف يدَّعي الإلهيةَ مَن هو مثلٌ للخلق.
فقد تضمَّنت الآياتُ ما يصرفُ فتنةَ الدجَّالِ، إلى قولِه: إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ...
[الكهف: 10] فهؤلاء قومٌ ابتُلُوا فصبَرُوا وسألُوا صلاحَ أمورِهم فأُصْلِحت، وهذا تعليمٌ لكلِّ مدعوٍّ إلى الشِّركِ.
ومنها: أنَّه قد يكونُ هذا من خصائصِ اللهِ لمن حَفِظ ذلك.

3- أنها من السُّورِ العَتيقةِ، ومن قديمِ ما حُفِظَ عند الصَّحابةِ:

فعن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ رَضِيَ الله عنه، أنَّه قال: (سورةُ بني إسرائيل والكهف، ومريم وطه والأنبياء: هُنَّ مِن العِتاقِ الأُوَلِ،[9] وهُنَّ مِن تِلادي.[10])[11]

4- أنَّها كُلَّها مُحكَمةٌ:

وقد نُقل الإجماعُ على أنَّه ليس فيها مَنسوخٌ.[12]

سورةُ الكَهفِ مَكِّيَّةٌ، وحُكِيَ الإجماعُ على ذلك.[13]

يُنظر: ((إكمال المعلم بفوائد مسلم)) للقاضي عياض (3/177)، ((كشف المشكل من حديث الصحيحين)) لابن الجوزي (2/165)، ((شرح النووي على مسلم)) (6/93).

(9) العِتاق الأُوَل: أي: السُّوَر التي أُنزِلت أوَّلًا بمكةَ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (3/179).

(10) تِلادي: أي: مِن أوَّل ما أخذْتُه وتعلَّمْتُه بمكة.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (1/194).

(11) أخرجه البخاري (4739).

(12) يُنظر: ((الناسخ والمنسوخ)) لابن سلامة المقري (ص: 117)، ((الناسخ والمنسوخ)) لابن حزم (ص: 44)، لكنْ خالف السُّدِّي وقال: إنَّ فيها آيةً واحدةً منسوخةً، وهي قولُه تعالى: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ...
[الكهف: 18]، قال: نسخَها قولُه تعالى: إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الإنسان: 30].

ونَسَبه ابنُ حزمٍ إلى قتادةَ أيضًا.

قال أبو الحسنِ السخاوي: (والذي قاله باطلٌ، والمرادُ التهديدُ لا التخييرُ، ولو فُرِضَ ما قاله لم يكُنْ قولُه عزَّ وجلَّ: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الإنسان: 30] مُعارِضًا له).

((جمال القراء وكمال الإقراء)) (ص: 430).

(13) ممن نقَل الإجماعَ على ذلك: ابنُ الجوزي، والفيروزابادي، والبقاعي.

مِن أهَمِّ مقاصدِ هذه السُّورةِ:

الهدايةُ إلى العقيدةِ الصـحيحةِ، وإلى السـلوكِ القويمِ، وإلى الخلقِ الكريمِ، وإلى التفكيرِ السـليمِ الذي يهدى إلى السعادةِ في الدُّنيا والآخرةِ.

مِن أهَمِّ موضوعاتِ هذه السُّورةِ:

1- ذِكْرُ حَمدِ الله تعالى على إنزالِه الكتابَ على عَبدِه، ووصـــفُ هذا الكتابِ بأنَّه قيِّمٌ لا عوجَ فيه، جاء للتبشيرِ والإنذارِ.

2- بيانُ أنَّ ما على ظهرِ الأرضِ هو زينةٌ لها، جعَله الله اختبارًا وابتلاءً.

يُنظر: ((تفســير ابن الجوزي)) (63/3)، ((بصــائر ذوي التمييز)) للفيروزابادي (297/1)، ((مصــاعد النظر)) للبقاعي (240/2).

قال ابنُ الجوزي: (وهذا إجماعُ المفسِّــرينَ مِن غيرِ خلافٍ نعلمُه، إلَّا أنَّه قد رُوي عن ابنِ عباسٍ وقتادةَ أنَّ فيها آيةً مدنيةً وهي قولُه تعالى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ...).

((تفسير ابن الجوزي)) (63/3).

وقيل: مِن أوَّلِها إلى قولِه تعالى: صَعِيدًا جُرُزًا مدنيٌّ.

وقيل: قولُه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...

إِلَى آخِرِ السُّورَةِ [107- 110] مدنيٌّ، وباقي السورةِ مكيٌّ.

يُنظر: ((الإتقان في علوم القرآن)) للسيوطي (1/ 61).

ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٦١) أن سورة الكهف مكيَّة في قول جميع المفسرين، ثم ذكر قولًا آخر مفاده: أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

ورجَّح الأول، فقال: «والأول أصح».

ولم يذكر مستندًا.

3- ذِكرُ قِصَّةِ أصحابِ الكَهفِ.

4- ذِكرُ فِتنةِ المالِ بذِكرِ خَبَرِ قِصَّةِ صاحِبِ الجنَّتَينِ.

5- ضَربُ المَثَلِ للحياةِ الدُّنيا بما يدُلُّ على فَنائِها وذَهابِ زُخرُفِها.

6- ذِكرُ شَيءٍ مِن مَشاهِدِ يومِ القيامةِ.

7- بيانُ عَداوةِ إبليسَ لآدَمَ وذُرِّيَّتِه، وفِسقِه عن أمرِ رَبِّه.

8- بيانُ سُنَّةِ اللهِ في إهلاكِ الظَّالمينَ، ورحمةِ اللهِ وإمهالِه للمُذنبينَ إلى أجَلٍ مَعلومٍ.

9- قِصَّةُ موسى عليه السَّلامُ مع العبدِ الصَّالحِ.

10- قِصَّةُ ذي القَرنَينِ.

11- إبطالُ الشِّركِ ووعيدُ أهلِه، وبيانُ ما أعدَّ اللهُ للمؤمنينَ.

12- التَّمثيلُ لِسَعةِ عِلمِ اللهِ تعالى، وبيانُ أنَّ القرآنَ وَحيٌ مِن اللهِ تعالى إلى رَسولِه صلَّى اللهُ عليه وسَلَّم.

سورةُ الكَهفِ

الآيات (1–6)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

غريب الكلمات:

عِوَجًا: أي: زَيغًا وتحريفًا، وأصْلُ (عوج): يدلُّ على المَيلِ في الشَّيءِ.

قَيِّمًا: أي: مُستَقيمًا، أو مُقَوِّمًا لأمورِ مَعاشِهم ومَعادِهم، وأصلُ (قوم): يَدُلُّ على انتِصابٍ أو عَزمٍ.

كَبُرَتْ: أي: عَظُمَت، وأصلُ (كبر): يدُلُّ على خِلافِ الصِّغَرِ.

بَاخِعٌ: أي: قاتِلٌ ومُهلِكٌ، وأصلُ (بخع): يَدلُّ على الجَهدِ.

على آثَارِهِمْ: أي: مِن بَعدِ تَوَلِّيهم وإعراضِهم عنك، يقال: جئتُ على أثرِ فلانٍ، كأنَّ المرادَ أثرُ سلوكِه الطريقَ، ثم استعمل بمعنى (بَعْدَ)، فيُقال: مات فلانٌ على أثرِ فلانٍ، أي: بعدَه، وأصلُه من الأثَرِ: الذي هو العَلامةُ.

تفسير الآيات:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1).

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ.

أي: الحمدُ لله الذي أنزَلَ على عَبدِه مُحَمَّدٍ القُرآنَ.(14)

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا.

أي: أنزَلَه على عَبدِه والحالُ أنَّه لم يجعَلْ فيه أيَّ نوعٍ مِن المَيلِ والزَّيغِ عن الحَقّ، والتَّناقُضِ والاختِلافِ، والخللِ في ألفاظِه ومَعانيه؛ فأخبارُه صادِقةٌ، وأحكامُه عادِلةٌ.(15)

كما قال تعالى: قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ [الزمر: 28].

---

(14) قال ابنُ عثيمين: (قولُه تعالى: الْحَمْدُ هو وصفُ المحمودِ بالكمالِ محبةً وتعظيمًا).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 7).

وقال السعدي: (الْحَمْدُ لِلَّهِ هو الثناءُ عليه بصفاتِه، التي هي كلُّها صفاتُ كمالٍ، وبنعمِه الظاهرةِ والباطنةِ، الدينيةِ والدنيويةِ، وأجلُّ نِعَمِه على الإطلاقِ إنزالُه الكتابَ العظيمَ على عبدِه ورسولِه محمدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم).

((تفسير السعدي)) (ص: 469).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (2/12).

(15) قال ابنُ عُثَيمين: (يجِبُ الوقوفُ على قولِه: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا؛ لأنَّك لو وَصَلْتَ لصار في الكلامِ تناقُضٌ؛ إذ يُوهِمُ أنَّ المعنى لم يكُنْ له عِوَجٌ قَيِّمٌ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 9).

ويُنظر: ((المكتفى في الوقف والابتدا)) لأبي عمرو الداني (ص: 124)، ((إيضاح الوقف والابتداء)) لأبي بكر الأنباري (756/2).

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا [النساء: 82].

وقال سُبحانَه: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا [الأنعام: 115].

قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2).

قَيِّمًا.

أي: أنزله مُستقيمًا،(16) قائمًا على مَصالِحِ العِبادِ في دِينهم ودُنياهم،(17) مُهيمِنًا على سائرِ الكُتُبِ الإلهيَّةِ، مُصَدِّقًا لها، وشاهِدًا بصِحَّتِها.(18)

---

(16) ممَّن اختار مِنَ المُفسِّرين أنَّ قَيِّمًا تعني مُستَقيمًا: مقاتلُ بنُ سليمان، وابنُ جرير، وابنُ كثير، والشنقيطي -ونسَبه للجمهورِ- ، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (2/572)، ((تفسير ابن جرير)) (15/140-141)، ((تفسير ابن كثير)) (5/135)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/192، 193)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 9).

وممن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ، وقتادةُ، والضحَّاكُ، وابنُ إسحاقَ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/140).

(17) وممَّن اختار أنَّ المرادَ: قائمًا على هَدْيِ الأُمَّةِ، ومصالِحِ العبادِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّة: الرازي، وأبو السعود، وابنُ عاشورٍ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (21/422-423)، ((تفسير أبي السعود)) (5/202)، ((تفسير ابن عاشور)) (15/248).

وذكَر الشنقيطي أنَّ هذا الوجهَ يستلْزِمُه الوجهُ الآتي، وهو أنَّه قَيِّمٌ على ما قبلَه مِن الكتبِ السَّماويَّةِ، أي: مهيمِنٌ عليها.

يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/193).

(18) وممن جمَع بينَ المعاني المذكورة: البقاعي، فقال: (قَيِّمًا تصريحًا باللازمِ؛ تأكيدًا له، ومفيدًا أنَّه مهيمنٌ على ما قبلَه مِن الكتبِ، مقيمٌ لغيرِه).

((نظم الدرر)) (12/4).

كما قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء: 9].

لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ.

أي: أنزَلَ اللهُ القُرآنَ على نبيِّه مُحمَّدٍ؛ لِيُنذِرَ[19] الكافِرينَ عَذابًا شَديدًا في الدُّنيا والآخِرةِ، يأتيهم مِن عِندِ اللهِ.

كما قال تعالى: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ [الأنعام: 19].

وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا.

أي: وأنزَلَ اللهُ القُرآنَ على نَبيِّه؛ لِيُبَشِّرَ المُؤمِنينَ باللهِ ورَسولِه وبكُلِّ ما يَجِبُ عليهم الإيمانُ به، وقد صَدَّقوا إيمانَهم بقِيامِهم بالأعمالِ الصَّالِحةِ؛ يُبَشِّرُهم بأنَّ لهم ثَوابًا عَظيمًا جَميلًا، وهو الجنةُ.

قال الرسعني: (قال أكثرُ العلماءِ باللغةِ والتفسيرِ: في هذه الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، التقديرُ: أنزَلَ على عبدِه الكتابَ قيمًا، ولم يجعلْ له عوجًا).

((تفسير الرسعني)) (241/4).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (142/15)، ((البسيط)) للواحدي (520/13)، ((تفسير الماوردي)) (284/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (63/3).

ومِن المفسِّرينَ مَن قال: ليس في الكلامِ تقديمٌ ولا تأخيرٌ، ومنهم: الرازي، والسمين الحلبي.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (423/21)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (435/7).

(19) قال ابنُ عُثَيمين: (الضَّميرُ في قَولِه: لِيُنْذِرَ يَحتمِلُ أن يكونَ عائِدًا على عَبْدِه، ويَحتمِلُ أن يكونَ عائِدًا على الْكِتَابَ، وكلاهما صحيحٌ؛ فالكتابُ نزَل على الرَّسولِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ لأجْلِ أن يُنذِرَ به، والكِتابُ نفسُه مُنذِرٌ، يُنذِرُ النَّاسَ...، والإنذارُ: هو الإخبارُ بما يُخَوِّفُ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 9، 10).

كما قال تعالى: وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقرة: 25].

وقال سُبحانَه: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [الإسراء: 9– 10].

مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3).

أي: والحالُ أنَّهم باقُونَ في الأجرِ الحَسَنِ الذي أعَدَّه اللهُ لهم، بلا زَوالٍ ولا انقِطاعٍ.

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا [النساء: 122].

وقال سُبحانَه: يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ [التوبة: 21، 22].

وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4).

أي: ويُنذِرَ الكافِرينَ –الذينَ قالوا: اتَّخَذ اللهُ لِنفسِه ولَدًا– عَذابَه الشَّديدَ في العاجِلِ والآجِلِ.

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5).

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ.

أي: ما للقائلينَ بذلك أيُّ شَيءٍ مِن العِلمِ بأنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ لنَفسِه ولَدًا، ولا لآبائِهم الجاهِلينَ مِن قَبلِهم الذين قالوا بمِثلِ قَولِهم.[20]

كما قال تعالى: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ [النساء: 157].

وقال سُبحانَه: إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ [الصافات: 69، 70].

كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ.

أي: عَظُمَت كَلِمتُهم هذه كَلِمةً تخرُجُ مِن أفواهِهم، بقَولِهم: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، فما أشنَعَها مِن مَقالةٍ، وما أفظَعَ اجتِراءَهم على التلَفُّظِ بها!

---

(20) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٦٤) أن الضمير في ﴿به﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يعود على القول الذي يتضمنه ﴿قالوا﴾ المتقدم، وتكون جملة قوله: ﴿ما لهم به من علم﴾ في موضع الحال، أي: قالوا جاهلين.

الثاني: أن يعود على «الولد» الذي ادعوه؛ فتكون الجملة صفة للولد.

ونسبه للمهدوي.

وانتقده مستندًا إلى دلالة عقلية، فقال: «وهو معترض؛ لأنه لا يصفه إلا القائل، وهم ليس في قصدهم أن يصفوه».

ثم رجَّح أنه نفي مُؤتَنَف، فقال: «والصواب عندي أنّه نفي مؤتنف، أخبر الله تعالى بجهلهم في ذلك، فلا موضع للجملة من الإعراب».

وذهب ابنُ جرير (١٥/ ١٤٧) إلى عود الضمير على الله – عز وجل –، وعلَّق عليه ابنُ عطية بقوله: «وهذا التأويل أذمُّ لهم، وأقضى بالجهل التام عليهم».

كما قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا [مريم: 88 – 91].

إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا.

أي: ما يَقولُ القائِلونَ بِنسبةِ الوَلَدِ إلى اللهِ إلَّا كَذِبًا على اللهِ تعالى؛ فهو قَولٌ مُنافٍ للصِّدقِ، مُخالِفٌ للواقِعِ، لا حَقيقةَ له بوَجهٍ مِنَ الوُجوهِ.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)﴾.

أي: فلعلَّك[21] –يا مُحَمَّدُ– قاتِلٌ نَفسَك ومُهلِكُها؛ لشِدَّةِ الحزنِ[22] بعدَ تَولِّيهم وإعراضِهم عنك، إن لم يُؤمِنوا بهذا القُرآنِ الذي أنزلتُه عليكَ.[23]

---

(21) (لعل) للترجِّي في المحبوبِ، وللإشفاقِ في المحذورِ.

قيل: وُضِعَت هنا موضِعَ النَّهيِ، فالمعنى: لا تبخَعْ نَفسَك.

وقيل: وُضِعَت موضِعَ الاستفهامِ، وتقديرُه: هل أنت باخِعٌ نفسَك؟ وقيل: هي تقريرٌ وتوقيفٌ بمعنى الإنكارِ عليه، أي: لا تكُنْ كذلك.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (138/7).

(22) علَّق ابنُ عطية (٥/ ٥٦٥ – ٥٦٦) على تفسير ﴿أسفا﴾ بالحزن بقوله: «ومن هذه اللفظة قول الأعشى:

أرى رجلًا منكم أسيفًا كأنما ...

يضم إلى كَشْحَيه كفًّا مخضّبا

يريد: حزينًا كأنه مقطوع اليد».

اختلف في معنى قوله: ﴿أسفا﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: غضبًا.

والثاني: جزعًا.

والثالث: حزنًا عليهم.

واختار ابنُ جرير (١٥/ ١٤٩ – ١٥٠) المعنى الثالث مستندًا إلى أقوال السلف.

ورأى ابنُ كثير (٩/ ١٠٤) تقارب الأقوال، فقال: «والمعنى متقارب، أي: لا تأسف عليهم، بل أبلغهم رسالة الله، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات».

ونقل ابنُ عطية (٥/ ٥٦٥) عن الزجاج قوله: والأسف: المبالغة في حزْن أو غضب.

وعلق عليه بقوله: «والأسف –في هذا الموضع–: الحزن؛ لأنه على مَن لا يملكه ولا هو تحت يد الآسف، وأنه لو كان الأسف من مقتدر على مَن هو في قبضته وملْكه لكان غضبًا، كقوله تعالى: ﴿فَلَمّا آسَفُونا﴾ [الزخرف: ٥٥]، أي: أغضبونا».

(23) ممن اختار أنَّ معنى الأسفِ: الحزنُ الشديدُ: الزمخشري، والرازي، والرسعني، والشنقيطي، وابنُ عاشور.

ينظر: ((تفسير الزمخشري)) (704/2)، ((تفسير الرازي)) (426/21)، ((تفسير الرسعني)) (244/4)، ((العذب النمير)) للشنقيطي (186/1)، ((تفسير ابن عاشور)) (255/15).

كما قال تعالى: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [آل عمران: 176].

وقال عزَّ وجلَّ: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [الشعراء: 3].

وقال جلَّ جلالُه: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ [فاطر: 8].

وقال سُبحانَه: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ [الحجر: 87 – 89].

قال ابنُ عطية: (و«الأسفُ» في هذا الموضعِ: الحزنُ، لأنَّه على مَن لا يملكُه، ولا هو تحتَ يدِ الآسفِ، ولو كان الأسفُ مِن مقتدرٍ على مَن هو في قبضتِه وملكِه لكان غضبًا، كقولِه تعالى: فَلَمَّا آسَفُونَا [الزخرف: 55] أي أغضبونا، وإذا تأملت هذا في كلامِ العربِ اطَّرد، وذكَره منذرُ بنُ سعيدٍ).

((تفسير ابن عطية)) (3/ 496).

وقيل: أَسَفًا: أي: غضبًا وحزنًا.

يُنظر: ((المفردات)) للراغب (ص: 75)، ((تفسير القرطبي)) (353/10)، ((البسيط)) للواحدي (528/13)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (12/12).

وقال الواحدي: (والقولانِ متقاربان؛ لأنَّ الغضبَ مِن الحزنِ، والحزنَ مِن الغضبِ، فإذا جاءك ما تكرهُ ممَّن هو دونَك غضِبت، وإذا جاءك ممَّن هو فوقَك حزِنت، يسمَّى أحدُهما: حزنًا، والآخرُ: غضبًا، وأصلُهما أن يصيبَك ما تكرهُ).

((البسيط)) (9/ 366).

وينظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/ 137).

سورةُ الكَهفِ

الآيتان (7–8)

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا

صَعِيدًا جُرُزًا (8)

غريب الكلمات:

صَعِيدًا: أي: ترابًا، والصعيدُ: الأملسُ المستوي، ويُطلقُ أيضًا على وجهِ الأرضِ، وأصلُ (صعد): يدلُّ على ارتفاعٍ ومشقةٍ.

جُرُزًا: أي: جَرداءَ لا نباتَ فيها، وأصلُ (جرز): يدلُّ على قَطعٍ.

تفسير الآيتين:

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7).

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا.

أي: إنَّا جَعَلْنا ما على وَجهِ الأرضِ من الحيواناتِ والنباتِ والجمادِ زِينةً لها،[24] فجعَلَ اللهُ تعالى الدنيا مُستطابةً في ذَوقِها، مُستَحسَنةً في مَنظَرِها وزُخرُفِها.

كما قال تعالى: الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الكهف: 46].

وقال سُبحانَه: وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ [النحل: 5، 6].

---

(24) قال الواحدي: (قولُه: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا بما عليها مِن الماءِ والنباتِ والأشجارِ، والمعادنِ مِن الذهبِ والفضةِ وأنواعِ الجواهرِ، ويدخلُ في هذا كلِّه ما على الأرضِ مِن ذي الرُّوحِ والجمادِ).
((الوسيط)) (136/3).
وقال ابنُ عثيمين: (سَواءٌ أكانت هذه الزينةُ فيما خلَقه اللهُ عزَّ وجلَّ وأوجَده، أم مما صنَعه الآدميُّ).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 18).
وقيَّد بعضُ المفسِّرينَ قولَه تعالى: مَا عَلَى الْأَرْضِ بما يصلُحُ أن يكونَ زينةً لها، ومنهم: الزمخشري، وابنُ جزي، والشوكاني.
يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (704/2)، ((تفسير ابن جزي)) (459/1)، ((تفسير الشوكاني)) (320/3).
وممن اختار العمومَ: القرطبيُّ، فقال: (والزِّينةُ كلُّ ما على وجهِ الأرضِ، فهو عمومٌ؛ لأنَّه دالٌّ على بارئِه... والقولُ بالعمومِ أولَى، وأنَّ كلَّ ما على الأرضِ فيه زينةٌ مِنْ جِهَةِ خَلْقِه وصُنْعِه وإحْكامِه).
((تفسير القرطبي)) (354/10).
ويُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (203/3).

وقال عزَّ وجلَّ: وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [النحل: 8].

وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – قال: ((أخوَفُ ما أخافُ عليكم ما يُخرِجُ اللهُ لكم مِن زَهرةِ الدُّنيا، قالوا: وما زَهرةُ الدُّنيا يا رسولَ اللهِ؟ قال: بَرَكاتُ الأرضِ)).[25]

وعن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه، عن النَّبيِّ – ﷺ – قال: ((إنَّ الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرةٌ،[26] وإنَّ اللهَ مُستَخلِفُكم فيها، فيَنظُرُ كيف تَعمَلونَ؛ فاتَّقوا الدُّنيا، واتَّقوا النِّساءَ؛ فإنَّ أوَّلَ فِتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النِّساءِ)).[27]

وعن حَكيمِ بنِ حِزامٍ رَضِي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلوةٌ)).[28]

ثُمَّ بيَّن الله تعالى الحكمةَ في خلقِ الأرضِ وزينتِها، فقال:

---

(25) رواه البخاري (6427)، ومسلم (1052) واللفظ له.

(26) حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ: أي: غَضَّةٌ ناعِمةٌ طيِّبةٌ، مُزَيَّنةٌ في عُيونِكم وقُلوبِكم، وإنَّما وَصَفها بالخَضِرَة؛ لأنَّ العربَ تُسَمِّي الشَّيءَ النَّاعِمَ خَضِرًا، أو لتَشَبُّهِها بالخَضْرَواتِ في سُرعةِ زَوالِها.

يُنظر: ((المعلم بفوائد مسلم)) للمازري (2/33)، ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (5/2044).

(27) رواه مسلم (2742).

(28) رواه البخاري (6441)، ومسلم (1035).

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

أي: جعَلْنا ما على الأرضِ زِينةً لها؛ لِنختبِرَ النَّاسَ: أيُّهم أصلَحُ عمَلًا –أي: أخلَصُه لله، وأصوَبُه مِن جِهةِ مُوافقَتِه للشَّرعِ – وأزهدُ في زينةِ الدُّنيا.(29)

كما قال تعالى: ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ [يونس: 14].

وقال سُبحانَه: وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [هود: 7].

---

(29) قال الشوكاني: (والمرادُ بالابتلاءِ: أنَّه سبحانَه يعامِلُهم معاملةً لو كانت تلك المعاملةُ مِنْ غيرِه لكانت مِنْ قبيلِ الابتلاءِ والامتحانِ).

((تفسير الشوكاني)) (3/320).

وقال ابنُ عطيَّةَ: (وكان أبي رَضِيَ اللهُ عنه يقولُ: أحسَنُ العَمَلِ: أخْذٌ بحَقٍّ، وإنفاقٌ في حَقٍّ، مع الإيمانِ، وأداءِ الفَرائضِ، واجتنابِ المحارِمِ، والإكثارِ مِن المندوبِ إليه).

((تفسير ابن عطية)) (3/497).

وقال القرطبي: (قلتُ: هذا قَولٌ حَسَنٌ وجيزٌ في ألفاظِه، بليغٌ في معناه، وقد جمعه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في لفظٍ واحدٍ، وهو قَولُه لسفيانَ بنِ عبدِ الله الثَّقَفيِّ لَمَّا قال: يا رسولَ الله، قُلْ لي في الإسلامِ قَولًا لا أسألُ عنه أحدًا بعدك– في رواية : غيرَك– قال: «قُل آمنْتُ باللهِ ثمَّ استقِمْ».

أخرجه مسلم [(38)]).

((تفسير القرطبي)) (10/355).

قولُه تعالى: أَحْسَنُ عَمَلًا قال الفضيلُ بنُ عياضٍ: (أخلصُه وأصوبُه).

والخالصُ: أن يكونَ لله، والصوابُ: أن يكونَ على السنةِ، وهما أصلانِ عظيمانِ: أحدُهما: أن لا نعبدَ إلا الله، والثاني: أن لا نعبدَه إلا بما شرَع، لا نعبدُه بعبادةٍ مبتدَعةٍ، وهذان الأصلانِ هما تحقيقُ شهادةِ أن لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمدًا رسولُ الله.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (1/333).

وقال عزَّ وجلَّ: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [الملك: 2].

وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8).

أي: وإنَّا لِمُصَيِّرونَ ما على وَجهِ الأرضِ[30] مِن زينتِها تُرابًا مُستويًا خاليًا، يابسًا لا نباتَ فيه، ولا ماءَ ولا بِناءَ.[31]

كما قال تعالى: إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [يونس: 24].

وقال سُبحانَه: وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا [الكهف: 45].

وقال عزَّ وجلَّ: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105 – 107].

---

(30) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٦٧ بتصرف) أن الصعيد: وجه الأرض، ثم قال: «وقيل: الصعيد: التراب خاصة.
وقيل: الأرض الطيبة.
وقيل: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة».

(31) قال ابنُ الجوزي: (قال المفَسِّرون: وهذا يكونُ يومَ القيامة؛ يجعَلُ اللهُ الأرضَ مُستويةً لا نباتَ فيها ولا ماءَ).
((تفسير ابن الجوزي)) (3/65).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (9–12)

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى
آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا
(12)

غريب الكلمات:

الْكَهْفِ: أي: الغارِ الواسعِ في الجبلِ.

وَالرَّقِيمِ: أي: الكِتابِ، وهو فَعيلٌ بمعنى مَفعولٍ، والأصلُ فيه المرقومُ، وسُمِّيَ رَقيمًا؛ لأنَّ أسماءَ أصحابِ الكَهفِ كانت مَرقومةً -أي: مَكتوبةً- فيه. وقيل: الرقيمُ اسمُ الجبلِ الذي فيه الكهفُ، أو: اسمُ الوادي. وأصلُ (رقم): يدُلُّ على خَطٍّ وكِتابةٍ.

الْفِتْيَةُ: أي: الشبابُ، جمعُ فتًى، وأصلُ (فتى) هنا: يدُلُّ على طَراوةٍ وجِدَّةٍ.

رَشَدًا: الرَّشَدُ، والرُّشْدُ: نقيضُ الضلالِ، وهو الاهتداءُ والدَّيمومةُ عليه، وأصلُ (رشد): يدُلُّ على استقامةِ الطَّريقِ.

الْحِزْبَيْنِ: أي: الطائفتينِ، أو: الفريقينِ، والحزبُ: الجماعةُ مِنَ النَّاسِ الَّذينَ تَوافَقوا على شيءٍ واحدٍ، وأصلُ (حزب): تجمُّعُ الشَّيءِ.

أَمَدًا: أي: زَمانًا وغايةً.

تفسير الآيات:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9).

أي: أظنَنْتَ –يا مُحمَّدُ– أنَّ أصحابَ الكَهفِ[32] والكِتابِ[33] كانوا مِن آياتِنا العَجيبةِ؟ بل في آياتِنا ما هو أعجَبُ مِن ذلك.[34]

---

(32) انتقد ابنُ كثير (٩/ ١١٣ – ١١٤ بتصرف) تحديد مكان الكهف، فقال: «وقد تكلَّف بعض المفسرين، فذكروا فيه أقوالًا، والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه، فقد قال رسول الله – ﷺ –: «ما تركت شيئًا يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به»».

(33) ممَّن اختار أنَّ المرادَ بالرقيمِ: الكتابُ: ابنُ جريرٍ، وابنُ كثير، والسعدي، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (161/15)، ((تفسير ابن كثير)) (139/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 471)، ((تفسير ابن عاشور)) (260/15)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (206/3)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 21).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ في روايةٍ عنه، وسعيدُ بنُ جُبير، وابنُ زيدٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (159/15).

قال ابنُ عاشور: (الرَّقيمُ: كتابٌ كان معَ أصحابِ الكهفِ في كهفِهم.

قيل: كَتَبوا فيه ما كانوا يدينونَ به من التوحيدِ، وقيل: هو كتابُ دينِهم؛ دينٍ كان قبلَ عيسى عليه السلامُ.

وقيل: هو دينُ عيسَى.

وقيل: كَتَبوا فيه الباعِثَ الذي بعَثَهم على الالتجاءِ إلى الكهفِ فِرارًا مِن كُفرِ قَومِهم).

((تفسير ابن عاشور)) (260/15).

وقال الشنقيطي: (أظهَرُ الأقوالِ عندي بحسَبِ اللغةِ العربيَّةِ وبعضِ آياتِ القرآنِ: أنَّ الرقيمَ معناه: المرقومُ، فهو «فعيل» بمعنى «مفعول» من: رقَمْتُ الكتابَ: إذا كتبْتَه، ومنه قوله تعالى: كِتَابٌ مَرْقُومٌ [المطففين: 9] سواءٌ قُلنا: إنَّ الرقيمَ كتابٌ كان عندهم فيه شَرعُهم الذي تمسَّكوا به، أو لوحٌ مِن ذهَبٍ كُتِبَت فيه أسماؤُهم وأنسابُهم وقِصَّتُهم وسبَبُ خُروجِهم، أو صخرةٌ نُقِشَت فيها أسماؤهم.

والعلمُ عند الله تعالى.

والظاهِرُ أنَّ أصحابَ الكَهفِ والرَّقيمِ: طائفةٌ واحِدةٌ أضيفَت إلى شيئينِ أحَدُهما معطوفٌ على الآخرِ).

((أضواء البيان)) (206/3).

وقيل: الرقيمُ: اسمُ الجبلِ الَّذي فيه كهفُهم، وممن قال بذلك مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ في روايةٍ عنه، والحسنُ، وعطيةُ في روايةٍ عنه.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (159/15)، ((تفسير ابن الجوزي)) (66/3).

وقيل: الرقيمُ: اسمُ الوادي الذي فيه الكهفُ، وممن قال بذلك مِن السلفِ: ابنُ عباس في روايةٍ عنه، وعطيةُ في روايةٍ عنه، وقتادةُ، والضحاكُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (158/15)، ((تفسير ابن الجوزي)) (66/3).

وقال كعبٌ: هو اسمُ القريةِ التي خرَجوا منها.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (158/15)، ((تفسير ابن الجوزي)) (66/3).

وقيل غير ذلك.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (66/3).

اختُلِف في معنى ﴿الرقيم﴾؛ فقال قوم: هو اسم قرية، أو واد.

وقال غيرهم: اسم جبل أصحاب الكهف.

وقال آخرون: الكتاب.

ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ١٦١ بتصرف) مستندًا إلى اللغة، والإسرائيليات القولَ الأخير الذي قاله ابن عباس من طريق علي، وسعيد بن جبير، وابن زيد، فقال: «وأولى الأقوال بالصواب في ﴿الرقيم﴾ أن يكون معنيًّا به: لوح أو حجر أو شيء كتب فيه كتاب.

وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف ...

وإنما الرقيم فعيلٌ، أصله: مرقوم، ثم صرف إلى فعيلٍ، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته، ومنه قيل للرقم في الثوب: رقم؛ لأنه الخطّ الذي يعرف به ثمنه».

وكذا رجَّحه ابنُ كثير (٩/ ١٠٧)، فقال: «وهو الظاهر من الآية».

ولم يذكر مستندًا.

وعلَّق ابنُ عطية (٥/ ٥٦٨ – ٥٦٩) بعد ذكره لهذه الأقوال بقوله: «ويظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قومًا مؤرخين للحوادث، وذلك من قبل المملكة، وهو أمر مفيد، وهذه الأقوال مأخوذة من الرّقم، ومنه: ﴿كتاب مرقوم﴾ [المطففين: ٩]، ومنه:» الأرقم «لتخطيطه، ومنه: رَقْمَةُ الوادي، أي: مكان جرْي الماء وانعطافه، يقال: عليك بالرقمة، وخَلِّ الضِّفة».

(34) وقال السعدي: (وليس المرادُ بهذا النَّفيِ أن تكونَ قِصَّةُ أصحابِ الكَهفِ مِن العجائِب، بل هي من آياتِ اللهِ العَجيبةِ، وإنَّما المرادُ أنَّ جِنسَها كثيرٌ جدًّا؛ فالوقوفُ معها وَحدَها في مقامِ العَجَبِ والاستغراب: نَقصٌ في العِلمِ والعَقلِ، بل وظيفةُ المؤمِنِ التفكُّرُ بجميعِ آياتِ الله، التي دعا اللهُ العبادَ إلى التفكيرِ فيها؛ فإنَّها مِفتاحُ الإيمانِ، وطريقُ العلمِ والإيقانِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 471).

وقال الشنقيطي: (أظهرُ الأقوالِ في معنى الآيةِ الكريمةِ: أنَّ اللهَ يقولُ لنبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: إنَّ قِصَّةَ أصحابِ الكهفِ وإن استعظَمَها الناسُ وعَجِبوا منها، فليست شيئًا عجبًا بالنسبةِ إلى قُدرتِنا وعظيمِ صُنعِنا؛ فإنَّ خَلْقَنا للسَّمواتِ والأرضِ، وجَعْلَنا ما على الأرضِ زينةً لها، وجعْلَنا إيَّاها بعدَ ذلك صعيدًا جُرُزًا: أعظَمُ وأعجَبُ ممَّا فعَلْنا بأصحابِ الكهفِ، ومن كَونِنا أنَمْناهم هذا الزمَنَ الطويلَ ثمَّ بعَثْناهم).

((أضواء البيان)) (205/3).

وقال ابن كثير: (قال العَوفي عن ابنِ عباسٍ: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا يقولُ: الذي آتيتُك من العِلمِ والسُّنَّة والكتابِ: أفضَلُ مِن شأنِ أصحابِ الكَهفِ والرَّقيم.

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10).

إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ.

أي: واذكُرْ حينَ لجأ أولئك الشَّبابُ[35] إلى كَهفِ جَبَلٍ؛ خَوفًا مِن أن يَفتِنَهم قَومُهم الكُفَّارُ عن دِينِهم.[36]

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ: ما أظهَرتُ مِن حُجَجي على العبادِ أعجَبُ مِن شأنِ أصحابِ الكَهفِ والرَّقيم).
((تفسير ابن كثير)) (138/5).

اختُلِف في تفسير قوله: ﴿كانوا من آياتنا عجبا﴾؛ فقال قوم: المعنى: قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

وقال آخرون: بل المعنى: إنّ الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه.

ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ١٥٧) مستندًا إلى أحوال النزول القولَ الأول الذي قاله مجاهد، وقتادة، وابن إسحاق، فقال: «لأن الله – عز وجل – أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجًا بها على المشركين من قومه ...

إذ سألوه عنها اختبارًا منهم له بالجواب عنها صِدْقه، فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنهم، وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه؛ أشبهَ من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم».

(35) علَّق ابنُ كثير (٩/ ١١١) على حدَث اجتماعهم هذا بقوله: «كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقًا، من حديث يحي بن سعيد، عن عمرة، عن عائشة – رضي الله عنها –، قالت: قال رسول الله – ﷺ –: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي – ﷺ –.

والناس يقولون: الجنسية علة الضم».

(36) وممَّن ذهب إلى أنَّ الظَّرفَ مُتعَلِّقٌ بفِعلٍ محذوفٍ تَقديرُه: (اذكر): الواحدي، والرازي، والشنقيطي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (537/13)، ((تفسير الرازي)) (429/21)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (207/3)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 22).

واختار ابنُ عاشورٍ أنَّ (إذ) ظَرفٌ مُضافٌ إلى الجُملةِ بَعدَه، متعَلِّقٌ بـ كَانُوا.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (265/15).

قال الله تعالى: إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ الشُّبَّانُ أقبَلُ للحَقّ وأهدى للسَّبيلِ مِن الشُّيوخِ؛ ولهذا كان أكثرُ المستجيبينَ لِلَّهِ ولرَسولِه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ شَبابًا، وأمَّا المشايخُ مِنْ قُرَيْشٍ فعامَّتُهم بَقُوا علَى دينِهم، ولم يُسْلِمْ منهم إلَّا القليلُ.

فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً.

أي: فبادَرَ أولئك الشَّبابُ حين أَوَوا إلى الكَهفِ إلى الدُّعاءِ، فقالوا: ربَّنا أعطِنا مِن عِندِك رحمةً عَظيمةً تَرحَمُنا بها.(37)

وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا.

وهكذا أخبرَ تعالَى عن أصحابِ الكهفِ أنَّهم كانوا فتيةً شبابًا.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/140).

(37) قيل: الرحمةُ: هي المغفرةُ والرزقُ والأمنُ مِن الأعداءِ.

وممن اختار هذا القولَ: الزمخشري، والرسعني، والشوكاني، والقاسمي، واقتَصر الواحدي والقرطبي على تفسيرِها بالمغفرةِ والرزقِ.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (13/537)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 654)، ((تفسير الزمخشري)) (2/705)، ((تفسير القرطبي)) (10/362)، ((تفسير الرسعني)) (4/247)، ((تفسير الشوكاني)) (3/323)، ((تفسير القاسمي)) (7/8).

ونسَب ابنُ عطيةَ تفسيرَ الرحمةِ بالرزقِ إلى المفسِّرينَ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/499).

قال ابنُ عاشور: (سألوا رحمةً خاصَّةً وافرةً في حينِ تَوَقُّعِ ضِدِّها، وقصدوا الأمنَ على إيمانِهم مِنَ الفتنةِ، ولئلَّا يُلاقوا في اغترابِهم مشقَّةً وألَمًا، وأن لا يُهينَهم أعداءُ الدِّينِ فيصيروا فتنةً للقومِ الكافرينَ).

((تفسير ابن عاشور)) (15/266).

ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٧٥) أن قوله: ﴿إِذْ قامُوا فَقالُوا﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون هذا وصفَ مقامهم بين يدي الملك الكافر؛ فإنه مقام يحتاج إلى الربط على القلب، حيث طُلبوا عليه، وخالفوا دينه، ورفضوا في ذات الله هيبته.

والآخر: أن يعبِّر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله ومنابذة الناس، كما تقول: قام فلان إلى أمر كذا.

إذا عزم عليه بغاية الجد.

أي: وأعِدَّ لنا أسبابًا وأحوالًا تكونُ عاقِبَتُها حُصولَ ما خَوَّلْتَنا مِن الثَّباتِ على الحَقِّ، والنَّجاةِ من المُشرِكينَ، وحُصُولَ العِلمِ النَّافِعِ، والعَمَلِ به، فيكونُ أمرُ دِينِنا ودُنيانا صالِحًا مُوافِقًا للصَّوابِ.(38)

فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11).

أي: فألقَيْنا عليهم نَوْمًا ثَقيلًا عَميقًا لسِنينَ ذواتِ عَدَدٍ كثيرٍ.

ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12).

---

(38) قال الشنقيطي: (ومِنْ في قوله: مِنْ أَمْرِنَا فيها وجهان: أحدُهما أنها هنا للتجريدِ، وعليه فالمعنى: اجعَلْ لنا أمْرَنا رشدًا كُلَّه، كما تقول: لقيتُ مِن زيدٍ أسدًا، ومن عمرٍو بحرًا.

والثاني: أنَّها للتبعيض، وعليه فالمعنى: واجعَلْ لنا بعضَ أمرِنا –وهو البعضُ الذي نحن فيه من مُفارقةِ الكُفَّارِ– رشَدًا، حتى نكونَ بسَبَبِه راشدين مُهتَدين).

((أضواء البيان)) (3/207).

وقال ابن عاشور: (الأمرُ هنا: الشأنُ والحالُ الذي يكونون فيه، وهو مجموعُ الإيمانِ والاعتصامِ إلى محَلِّ العُزلةِ عن أهلِ الشِّركِ. وقد أعدَّ الله لهم مِن الأحوالِ ما به رُشدُهم؛ فمِن ذلك صَرفُ أعدائِهم عن تتبُّعِهم، وأنْ ألهَمَهم موضِعَ الكهفِ، وأنْ كان وضعُه على جهةٍ صالحةٍ ببقاءِ أجسامِهم سليمةً، وأنْ أنامَهم نومًا طويلًا ليمضيَ عليهم الزمَنُ الذي تتغَيَّرُ فيه أحوالُ المدينةِ، وحصَلَ رُشدُهم إذ ثَبَتوا على الدِّينِ الحَقِّ، وشاهدوه منصورًا مُتَّبَعًا، وجعَلَهم آيةً للنَّاسِ على صِدقِ الدِّينِ، وعلى قُدرةِ الله، وعلى البَعثِ).

((تفسير ابن عاشور)) (15/267).

أي: ثمَّ أيقَظْناهم مِن نَوْمِهم -بعدَ مُضِيّ تلك السِّنينَ الكَثيرةِ- لنعلمَ علمًا يَظهرُ في الوجودِ:[39] أيُّ الفَريقَينِ المُختلِفَينِ في مِقدارِ نَومِهم في الكَهفِ[40] أضبَطُ وأتقَنُ في حِسابِ تلك المُدَّةِ.[41]

---

(39) قال ابنُ تيميَّةَ: (أمَّا قولُه تعالى: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ [البقرة: 143] ، وقولُه: لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ونحوُ ذلك؛ فهذا هو العِلمُ الذي يتعَلَّقُ بالمَعلومِ بعدَ وُجودِه، وهو العِلمُ الذي يترتَّبُ عليه المدحُ والذَّمُّ، والثَّوابُ والعِقابُ).

((مجموع الفتاوى)) (8/496).

وقال الشِّنقيطي: (معنى لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أي: نعلمَ ذلك عِلمًا يُظهِرُ الحقيقةَ للنَّاسِ، فلا يُنافي أنَّه كان عالِمًا به قبلَ ذلك دونَ خَلْقِه).((أضواء البيان)) (3/210).

(40) قيل: هما فَريقانِ مِن أصحابِ الكَهفِ، كما قال تعالى عنهم: وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ [الكهف: 19] .

وممَّن ذهب إلى هذا القولِ: الشنقيطي.

يُنظر: ((أضواء البيان)) (3/208).

ويحتملُ أنَّ الحِزبَينِ مِن أهلِ زمانِهم، فاختلفوا فيهم.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (2/705)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (12/19-20).

قال ابن عاشور: (فالوجهُ: أنَّ المرادَ بالحزبيْنِ حِزبانِ مِنَ النَّاسِ؛ أهلِ بَلَدِهم اختَلَفَتْ أقوالُهم في مُدَّةِ لُبْثِهم بعدَ أنْ علموا انبعاثَهم مِنْ نومَتِهم، أحدُ الفريقَينِ مصيبٌ والآخَرُ مخطِئٌ، واللهُ يعلمُ المصيبَ منهم والمخطِئَ، فهما فريقانِ في جانبَيْ صوابٍ وخطأٍ كما دلَّ عليه قولُه: أَحْصَى).

((تفسير ابن عاشور)) (15/269).

وجمع ابنُ عثيمين بين القولينِ فقال: (تنازعوا أمْرَهم فقالوا: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ وقال آخرون: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ، ثمَّ الناسُ مِن بعدِهم اختلفوا كم لَبِثوا).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 25).

وقيل: المرادُ بالحزبينِ: أصحابُ الكهفِ، والحزبُ الثاني هم أهلُ المدينةِ الذين بُعِث الفتيةُ على عهدِهم.

وهذا الذي استَظْهَره القرطبي، ونسَب القولَ به إلى جمهورِ المفسِّرينَ، واختاره ابنُ جزي.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (10/364)، ((تفسير ابن جزي)) (1/460).

(41) قال السعدي: (وفي العِلمِ بمقدارِ لُبثِهم ضَبطٌ للحِسابِ، ومعرفةٌ لكمالِ قُدرةِ الله تعالى وحِكمتِه ورَحمتِه، فلو استمَرُّوا على نَومِهم، لم يحصُلِ الاطِّلاعُ على شَيءٍ مِن ذلك من قِصَّتِهم).

((تفسير السعدي)) (ص: 471).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (13–15)

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا
شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15)

غريب الكلمات:

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ: أي: ثبَّتْنا قلوبَهم، وألْهَمناهم الصَّبرَ، وأصلُ (ربط): يدُلُّ على شَدٍّ وثَباتٍ.

شَطَطًا: أي: قَولًا جائِرًا بعيدًا عن الحَقِّ، وأصلُ (شطط): يدُلُّ على البُعدِ.

بِسُلْطَانٍ: أي: بحُجَّةٍ، وأصْلُ السُّلطانِ: القوَّةُ والقَهرُ، مِن التَّسلُّطِ؛ ولذلك سُمِّي السُّلطانُ سُلطانًا.

تفسير الآيات:

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ.

أي: نحن -يا مُحَمَّدُ- لا غيرُنا نَروي لك خبرَ أصحابِ الكَهفِ بالصِّدقِ المُطابِقِ للواقِعِ، واليَقينِ الذي لا شَكَّ فيه.

إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ.

أي: إنَّ أصحابَ الكَهفِ شَبابٌ آمنُوا باللهِ حقًّا،(42) فوحَّدُوه ولم يُشرِكُوا به شَيئًا.

وَزِدْنَاهُمْ هُدًى.

أي: وبسَبَبِ أصلِ اهتدائِهم مِن قَبلُ إلى الإيمانِ، زِدْنَاهم إيمانًا، وعِلمًا بالحقِّ، وعملًا صالحًا.

كما قال تعالى: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [محمد: 17].

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14).

---

(42) قال ابن كثير: (ذُكِرَ أنَّهم كانوا على دينِ عيسى ابنِ مريمَ عليه السلام، واللهُ أعلم. والظَّاهِرُ أنَّهم كانوا قبل مِلَّةِ النصــرانيَّة بالكليَّةِ؛ فإنَّهم لو كانوا على دينِ النصــرانيَّة لما اعتنى أحبارُ اليهود بحِفظِ خَبرِهم وأمرِهم؛ لِمُباينتِهم لهم).

((تفسير ابن كثير)) (5/140).

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ.

أي: وشَدَدْنا على قُلوبِهم، وثَبَّتْناها بالإيمانِ والصَّبرِ، فاشتَدَّ عَزمُهم، وقَوِيَ صَبْرُهم.

كما قال تعالى: وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [القصص: 10].

إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا.

أي: رَبَطْنا على قُلوبِهم حِينَ قاموا لله، فقالوا مُعلِنينَ الحقَّ:(43) رَبُّنا الذي خَلَقَنا ويَملِكُنا ويَرزُقُنا ويُدَبِّرُ أمورَنا، هو الرَّبُّ المتفَرِّدُ بخَلقِ السَّمواتِ والأرضِ ومِلْكِها وتَدبيرِها، لن نَعبُدَ(44) غيرَه أبدًا؛ فهو الإلهُ المُستَحِقُّ للعبادةِ وَحْدَه لا شريكَ له.

---

(43) قيل: قاموا بين يَدَي مَلِكِهم.
وممَّن قال بهذا: ابن جرير.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (179/15).
وقيل: قاموا في قَومِهم.
وممن قال بذلك: ابنُ عثيمين، وذكره ابنُ عاشورٍ احتمالًا.
يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 26)، ((تفسير ابن عاشور)) (272/15).
قال ابنُ عطية: (قَولُه تعالى: إِذْ قَامُوا فَقَالُوا يحتَمِلُ مَعنَيينِ؛ أحدُهما: أن يكونَ هذا وَصفَ مُقامِهم بينَ يَدَي المَلِك الكافِرِ؛ فإنَّه مقامٌ يَحتاجُ إلى الرَّبطِ على القَلبِ؛ حيث صَلُبوا عليه، وخالفوا دينَه، ورَفَضوا في ذاتِ اللهِ هَيبَتَه، والمعنى الثاني: أن يُعَبَّرَ بالقيامِ عن انبعاثِهم بالعَزمِ إلى الهُروبِ إلى الله، ومُنابَذةِ النَّاسِ، كما تقولُ: قام فلانٌ إلى أمرِ كذا: إذا اعتَزَم عليه بغايةِ الجِدِّ). ((تفسير ابن عطية)) (501/3).
(44) قال ابنُ عثيمين: (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لن ندعُوَ -دُعاءَ مسألةٍ ولا دُعاءَ عِبادةٍ- إلهًا سِواه).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 27).

لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا.

أي: لو دَعَوْنا غيرَ اللهِ لَكُنَّا قد أفرَطْنا وغَلَوْنا في قَولِ الكَذِبِ، والتحَدُّث بالباطِلِ والبهتانِ.

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15).

هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً.

أي: قال الفِتيةُ المُؤمِنونَ:[45] هؤلاءِ أهلُ عَصْرِنا وبَلَدِنا اتَّخذوا مِن دُونِ اللهِ آلِهةً يَعبُدونَها.

لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ.

أي: فهلَّا يأتي قَومُنا بحُجَّةٍ واضِحةٍ تدُلُّ على صَوابِ عِبادةِ تلك الآلهةِ التي يَتَّخِذونَها؟!

---

(45) قال ابنُ عطيةَ: (وقولُهم: هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا مَقالةٌ تَصلُحُ أن تكونَ مِمَّا قالوا في مقامِهم بين يَدَيِ المَلِك، وتصلُحُ أن تكونَ مِن قَولِ بَعضِهم لبعضٍ عند قيامِهم للأمرِ الذي عَزَموا عليه).
((تفسير ابن عطية)) (501/3).

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.

أي: فلا أحدَ أشَدُّ ظُلمًا ممَّن اختَلَقَ الكَذِبَ على اللهِ، فادَّعى أنَّ له شَريكًا يُعبَدُ.(46)

---

(46) قال ابنُ عاشور: (المعنى: أنَّ هؤلاء افتَرَوا على اللهِ كَذِبًا، وذلك أنَّهم أشركوا معه غيرَه في الإلهيَّةِ؛ فقد كَذَبوا عليه في ذلك؛ إذ أثبتوا له صِفةً مُخالِفةً للواقِعِ).

((تفسير ابن عاشور)) (275/15).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (16–18)

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ
لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا
غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ
الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ
ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18)

غريب الكلمات:

اعْتَزَلْتُمُوهُمْ: أي: فارَقْتُموهم، وأصلُ (عزل): يدُلُّ على تنحيةٍ.

فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ: أي: فصِيروا إليه، واجْعَلوه مَأْواكم، والمأْوَى: المكانُ الَّذي يُرْجَعُ إليه ليلًا أو نهارًا، يُقال: أَوَى إلى كذا، أي: انضمَّ إليه، وأصْلُه: التَّجمُّعُ.

يَنْشُرْ: أي: يبسُطْ ويُوَسِّعْ، وأصلُ (نشر): يدُلُّ على فتحِ شيءٍ وتَشَعُّبِه.

مِرْفَقًا: أي: ما ترتَفِقون به، أي: تَنْتَفعون به، والمِرفَقُ والمَرفِقُ: ما يُرتفَقُ به، والارتفاقُ: الانتفاعُ، وأصلُ (رفق): يدُلُّ على مُوافَقةٍ ومُقارَبةٍ بلا عُنفٍ.

تَزَاوَرُ: أي: تَميلُ، وأصلُ (زور): يدلُّ على مَيلٍ وعُدولٍ.

تَقْرِضُهُمْ: أي: تُجاوِزُهم وتَدَعُهم، أي: لا تَطلُعُ في كَهفِهم، يُقالُ: قرضْتُ موضعَ كذا؛ إذا قطعته فجاوزتَه، وأصلُ (قرض): يدلُّ على القَطعِ.

فَجْوَةٍ: أي: مُتَّسَعٍ، وأصلُ (فجو): يدُلُّ على اتِّساعٍ في شَيءٍ.

بِالْوَصِيدِ: أي: فِناءِ الكَهفِ، وأصلُ (وصد): يدُلُّ على ضَمِّ شَيءٍ إلى شَيءٍ.

تفسير الآيات:

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا (16).

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ.

أي: قال بعضُ الفِتيةِ لِبَعضٍ:[47] ولأجلِ[48] أنَّكم انفرَدْتُم وتباعَدْتُم عن مُخالطةِ قَومِكم الكافرينَ، وتَرَكتُم ما يَعبُدونَ مِن الآلهةِ سوى اللهِ؛ فاتَّخِذوا الكَهفَ[49] مأوًى لكم؛ لِتختَفوا فيه مِن قَومِكم، وتَعبُدوا اللهَ وَحدَه.[50]

---

(47) قال ابن عاشور: (يتعيَّنُ أن يكونَ هذا من كلامِ بَعضِهم لبعضٍ، على سبيلِ النُّصحِ والمشورةِ الصَّائبةِ، وليس يلزَمُ في حكايةِ أقوالِ القائلينَ أن تكون المحكيَّاتُ كُلُّها صادِرةً في وقتٍ واحدٍ).

((تفسير ابن عاشور)) (276/15).

وقيل: هو كلامٌ معترضٌ؛ إخبارٌ مِن الله تعالى عن الفتيةِ أنَّهم لم يعبدوا غيرَ الله تعالى.

يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (257/4).

(48) قال الشـــنقيطي: («إذْ» في قولِه: وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ للتَّعليلِ، على التَّحقيقِ، كما قالَه ابنُ هشـــامٍ، وعليه فالمعنَى: ولأجلِ اعتزالِكم قومَكم الكفَّارَ وما يعبدونَه مِنْ دُونِ اللهِ، فاتَّخذوا الكهفَ مأوًى ومكانَ اعتصامٍ).

((أضواء البيان)) (217/3).

(49) قال ابنُ عاشور: (التعريفُ في الْكَهْفِ يجوزُ أن يكونَ تَعريفَ العَهدِ، بأن كان الكَهفُ مَعهودًا عندهم يتعَبَّدون فيه مِن قَبلُ، ويجوزُ أن يكونَ تَعريفَ الحقيقةِ، مثل: وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ [يوسف: 13] ، أي: فأْوُوا إلى كهفٍ مِن الكهوفِ).

((تفسير ابن عاشور)) (277/15).

(50) قال الشنقيطي: (قَولُه: إِلَّا اللَّهَ قيل: هو استثناءٌ متَّصِلٌ، بناءً على أنَّهم كانوا يعبدون اللهَ والأصنامَ.

وقيل: هو استثناءٌ منقَطِعٌ، بناءً على القَولِ بأنَّهم كانوا لا يعبدون إلَّا الأصنامَ، ولا يعرفون اللهَ ولا يعبدونَه).

((أضواء البيان)) (217/3).

يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.

أي: فإنِ اعتزَلْتُم قومَكم وما يَعبُدونَ مِن دُونِ اللهِ، وصِرتُم إلى الكَهفِ؛ يَبسُطْ لكم ربُّكم مِن رَحمتِه، فيَحفَظْ لكم دينَكم، ويُنجِكم مِن قَومِكم.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا [الحج: 38].

وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا.

أي: ويُسَهِّلْ لكم ربُّكم مِن أمْرِكم الذي أنتم فيه ما تَنتَفِعونَ به في أمرِ مَعيشَتِكم، فيأتِكم باليُسرِ والرِّفقِ واللُّطفِ.

كما قال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق: 2، 3].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا [الطلاق: 4].

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17).

وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ.

أي: وترى[51] الشَّمسَ إذا أشرَقَتْ تَميلُ عن الكَهفِ[52] الذي أوَى إليه الفِتيةُ، إلى جِهةِ يمينِه؛ لئلَّا تصيبَهم أشعَّتُها.[53]

وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ.

أي: وترى الشَّمسَ إذا غَرَبَت تَعدِلُ عن الفتيةِ وتَترُكُهم جِهةَ شِمالِ الكَهفِ، فلا يُصيبُهم شُعاعُها.

---

(51) المخاطَبُ قيل: هو محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم.

وممَّن قال بذلك: ابنُ جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (184/15).

وقيل: المخاطَبُ غيرُ مُعَيَّنٍ.

وممن قال بذلك: الرازي، والقرطبي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (443/21)، ((تفسير القرطبي)) (368/10)، ((تفسير ابن عاشور)) (278/15).

قال الشـنقيطي: (المعنى: أنَّك لو رأيتَهم لرأيتَهم كذلك، لا أنَّ المُخاطَبَ رآهم بالفِعلِ، كما يدُلُّ لهذا المعنى قولُه تعالى: لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا، والخِطابُ بمِثلِ هذا مشهورٌ في لغةِ العَرَبِ التي نزل بها هذا القرآنُ العظيمُ).

((أضواء البيان)) (220/3).

(52) قال ابنُ كثير: (أخبَرَ اللهُ تعالى بذلك، وأراد منا فَهْمَه وتدَبُّرَه، ولم يخبِرْنا بمكانِ هذا الكهفِ في أيِّ البلادِ مِن الأرضِ؛ إذ لا فائدةَ لنا فيه ولا قَصْدَ شرعيٌّ.

وقد تكلَّف بعضُ المفسِّرين فذكروا فيه أقوالًا...

واللهُ أعلم بأيِّ بلادِ اللهِ هو.

ولو كان لنا فيه مصلحةٌ دينيَّةٌ لأرشَدَنا اللهُ ورسولُه إليه...

فأعلَمَنا تعالى بصِفتِه، ولم يُعلِمْنا بمكانِه).

((تفسير ابن كثير)) (143/5).

(53) قال ابنُ جرير: (لأنَّها لو طلَعَت عليهم قُبالَهم لأحرَقَتْهم وثيابَهم، أو أشحَبَتْهم).

((تفسير ابن جرير)) (187/15).

وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ.

أي: والفتيةُ في مكانٍ متَّسِعٍ داخِلَ الكَهفِ.

ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

أي: فعلُنا الذي فعَلْنا بهؤلاء الفِتيةِ؛ من تيسيرِ الكهفِ لحفظِهم فيه، وميلِ الشمسِ عنهم عندَ طلوعِها، وتركِها لهم عندَ غروبِها– مِن عجائبِ صُنعِ اللهِ الدَّالَّةِ على عَظيمِ قُدرَتِه وسُلطانِه، ولُطفِه بعِبادِه.

مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ.

أي: مَن يُرشِدْه اللهُ ويوفِّقْه للاهتداءِ إلى الحَقّ، فهو المهتدي حقًّا، مِثل هؤلاء الفِتيةِ الذين هداهم اللهُ مِن بَينِ قَومِهم.

وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

أي: ومَن يَخذُلْه اللهُ، فلن تجِدَ له –يا مُحَمَّدُ– خليلًا ومُعِينًا يتولَّى إرشادَه إلى الحَقِّ.

كما قال تعالى: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء: 88].

وقال سُبحانَه: وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [الرعد: 33].

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ [الإسراء: 97].

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18).

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ.

أي: وتَظُنُّ[54] هؤلاء الفِتية -لو رأيتَهم- أيقاظًا، والحالُ أنَّهم نائِمونَ![55]

---

(54) قيل: الخِطابُ لمحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلم.

وممن قال بذلك: ابن جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (190/15).

وممن قال بذلك من السلفِ: قتادةُ.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2352/7).

وقيل: الخطابُ لغيرِ مُعَيَّنٍ، أي: تظنُّهم أيُّها المُخاطَبُ، أو أيُّها الرَّائي.

وممن قال بذلك: السعدي، والشنقيطي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 472)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (224/3)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 34).

على هذا القول فالرائي يحسبهم أيقاظًا لكون عيونهم مفتحة وهم رقود.

وهو ما ذكره ابنُ عطية (٥/ ٥٨٠ - ٥٨١ بتصرف)، ثم قال: «ولو صحَّ فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في أن يحسب عليهم التيقُّظ».

ثم ساق احتمالين آخرين: أحدهما: أنّ الرائي يحسبهم أيقاظًا لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقِلّة التغير، وذلك أن الغالب على النُّوّام أن يكون لهم استرخاء وهيئات تقتضي النوم، وربّ نائم على أحوال لم تتغير على حالة اليقظة، فيحسبه الرائي يقظانًا وإن كان مسدود العينين.

والآخر: أن التقلب هو الذي من أجله كان الرائي يحسبهم أيْقاظًا.

وانتقده مستندًا لمخالفته لظاهر الآية، فقال: «وهذا -وإن كان التقلب لمن صادف رؤيته دليلًا على ذلك- فإنّ ألفاظ الآية لم تسقْه إلا خبرًا مستأنفًا».

(55) قال ابن عطية: (قال أهلُ التفسيرِ: كانت أعينُهم مفتوحةً وهم نائمونَ؛ فلذلك كان الرَّائي يحسَبُهم أيقاظًا.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾.

أي: ونقلِّبُهم على جُنوبِهم؛ مرَّةً للجَنبِ الأيمَنِ، ومرَّةً للأيسَرِ.(56)

ويحتَمِل أن يحسَبَ الرَّائي ذلك؛ لشِدَّةِ الحِفظِ الذي كان عليهم، وقِلَّةِ التَّغيُّر، وذلك أنَّ الغالِبَ على النوَّامِ أن يكون لهم استرخاءٌ وهَيئاتٌ تقتضي النَّومَ، ورُبَّ نائمٍ على أحوالٍ لم يتغيَّرْ عن حالةِ اليقظةِ، فيَحسَبُه الرائي يقظانَ، وإن كان مسدودَ العينين، ولو صَحَّ فَتحُ أعيُنِهم بسندٍ يقطَعُ العُذرَ، كان أبيَنَ في أن يُحسَبَ عليهم التيقُّظُ).

((تفسير ابن عطية)) (503/3).

وقال ابنُ كثيرٍ: (ذَكَر بعضُ أهلِ العلمِ أنَّهم لَمَّا ضرَب اللهُ على آذانِهم بالنَّومِ، لم تَنْطَبِقْ أعينُهم؛ لئلَّا يُسْرِعَ إليها البِلَى، فإذا بَقِيَتْ ظاهرةً للهواءِ كانَ أبقَى لها؛ ولهذا قالَ تعالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾).

((تفسير ابن كثير)) (143/5).

وقال الزجاج: (وقيل: لكثرةِ تقلُّبِهم يُظَنُّ أنَّهم غيرُ نيامٍ، ويدلُّ عليه ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾).

((معاني القرآن وإعرابه)) (274/3).

(56) قال الشنقيطي: (وكلامُ المفسِّرينَ هنا في عددِ تَقَلُّبِهم مِنْ كثرةٍ وقِلَّةٍ لا دليلَ عليه).

((أضواء البيان)) (224/3).

وقال ابن عاشور: (المعنى: أنَّ الله أجرى عليهم حالَ الأحياءِ الأيقاظِ، فجعَلَهم تتغيَّرُ أوضاعُهم من أيمانِهم إلى شمائِلِهم والعكس؛ وذلك لحكمةٍ لعَلَّ لها أثرًا في بقاءِ أجسامِهم بحالةِ سَلامةٍ).

((تفسير ابن عاشور)) (281/15).

وقيل: الحكمةُ مِن تقليبِهم: أنَّهم لو لم يُقَلَّبوا لأكَلَتْهم الأرضُ.

وممن قال به مِن السلفِ: ابنُ عباس، وسعيدُ بنُ جبير، والضحَّاكُ.

وقيل: قلَّبهم؛ لينالَ رَوحُ النسيمِ جميعَ أبدانِهم، ولا يتأثر ما يلي الأرضَ منها بطولِ المكثِ.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (29/12).

وقيل: الحكمةُ من تقليبِهم: مِن أجلِ توازنِ الدمِ في الجسدِ، حتَّى لا يكونَ في جانبٍ واحدٍ.

علَّق ابنُ عطية (٥/ ٥٨١) بعد ذكره لأقوال المفسرين بقوله: «وآية الله في نومهم هذه المدة الطويلة وحياتهم دون تَغَذٍّ أذهب في الغرابة مِن حفظهم مع مسّ الشمس ولزوم الأرض، ولكنها روايات تختلف وتتأمل بعد».

وذكر أن ظاهر كلام المفسرين أن التقليب كان بأمر الله وفعل ملائكته.

ثم ساق احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل أن يكون ذلك بإقدار الله إياهم على ذلك وهم في غمرة النوم، وهم لا ينتبهون، كما يعتري كثيرًا من النّوام؛ لأن القوم لم يكونوا موتى».

وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ.

أي: وكَلبُ[57] هؤلاء الفِتيةِ جالسٌ على بَطنِه مادٌّ يَدَيه عندَ مَدخَلِ الكَهفِ بفِنائِه؛[58] لحِراستِهم.[59]

---

(57) قال ابنُ كثير: (اختلفوا في لونِه على أقوالٍ لا حاصِـــلَ لها، ولا طائِلَ تحتها، ولا دليلَ عليها، ولا حاجةَ إليها، بل هي مما يُنهَى عنه؛ فإنَّ مُستنَدَها رجمٌ بالغَيبِ).

((تفسير ابن كثير)) (144/5).

اختُلِف في لون الكلب، وهو ما انتقده ابنُ كثير (٩/ ١١٧) لعدم الدليل على شـيء منها، فقال: «واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها، ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها، ولا حاجة إليها، بل هي مما ينهى عنه؛ فإن مستندها رجم بالغيب».

اختُلِف هل كان كلْب أصحاب الكهف كلب من كلابهم كان معهم، أم كان لغيرهم وتبعهم؟

ورجَّح ابنُ كثير (٩/ ١١٦) القول الأول، وهو أنّ الكلب كان كلب صيد لأحدهم.

فقال: «وهو الأشبه».

ولم يذكر مستندًا.

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٨١) أنّ أكثر المفسرين على القول الأول، ثم ذكر قولًا بأنه كان أحدهم، وكان قعد عند باب الغار طليعة لهم.

ووجَّهه بقوله: «فسُـمِّي باسـم الحيوان الملازم لذلك الموضـع من الناس، كما سُمِّي النجم التابع للجوزاء: كلبًا؛ لأنه منها كالكلب من الإنسان، ويقال له: كلب الجبّار».

وانتقده مسـتندًا لدلالة العقل، فقال: «أما إن هذا القول يضـعفه بسـط الذراعين؛ فإنهما في العرف في صـفة الكلب حقيقة، ومنه قول النبي – ﷺ –: «ولا يبسط أحدكم ذراعيه في السجود انبساط الكلب»».

ثم قال: «وقد حكى أبو عمر المطرز في كتاب اليواقيت أنه قُرِئ: (وكالِبُهُم باسِـطٌ ذِراعَيْه) فيحتمل أن يريد بـــــ» الكالب «هذا الرجل على ما روي؛ إذْ بسْط الذراعين واللصوق بالأرض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الربيئة المستخفي بنفسه، ويحتمل أن يريد بالكالب: الكلب».

(58) اختُلِف في تأويل الوصيد على أقوال: الأول: الفِناء.

والثاني: الباب.

والثالث: الصَّعيد.

ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ١٩٤ بتصرف) مستندًا إلى دلالة اللفظ القول الأول والثاني، دون الثالث الذي قاله ابن عباس من طريق العوفي، وسـعيد بن جبير، وعمرو، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصـواب قولُ مَن قال: الوصـيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب.

وذلك أن الباب يوصد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه، من قول الله – عز وجل –: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ [الهمزة: ٨] ...

فكأن معنى الكلام: وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه».

وبنحوه ابنُ عطية (٥/ ٥٨٢)، وابنُ كثير (٩/ ١١٥).

لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا.

أي: لو أشرَفْتَ(60) على أصحابِ الكَهفِ فرأيتَهم وهم رُقودٌ، لفَرَرْتَ منهم هارِبًا.(61)

وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا.

---

(59) قال ابنُ كثير: (رَبَضَ كلبُهم على البابِ كما جرَتْ به عادةُ الكلابِ.

قال ابنُ جُريج: يحرُسُ عليهم الباب.

وهذا مِنْ سجيَّتِه وطبيعته، حيثُ يَربِضُ ببابِهم كأنَّه يحرُسُهم، وكان جلوسُه خارجَ البابِ؛ لأنَّ الملائكةَ لا تدخلُ بيتًا فيه كلبٌ، كما ورَد في الصحيحِ).

((تفسير ابن كثير)) (144/5).

(60) قال ابنُ عاشور: (الخطابُ لغيرِ معيَّنٍ، أي: لو اطلعتَ عليهم أيُّها السامعُ حينَ كانوا في تلك الحالةِ قبلَ أن يبعثَهم الله).

((تفسير ابن عاشور)) (281/15).

وقيل: الخطابُ للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم.

يُنظر: ((حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي)) (82/6).

(61) قال ابن كثير: (أي: أنَّه تعالى ألقى عليهم المهابةَ، بحيث لا يقعُ نظَرُ أحدٍ عليهم إلَّا هابَهم؛ لِما أُلبِسوا مِن المهابةِ والذُّعرِ؛ لئلَّا يدنوَ منهم أحدٌ، ولا تَمسَّهم يدُ لامسٍ، حتى يبلُغَ الكِتابُ أجَلَه، وتنقَضِيَ رِقدتُهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم؛ لِما له في ذلك من الحُجَّةِ والحِكمةِ البالغةِ، والرَّحمةِ الواسعةِ).

((تفسير ابن كثير)) (145/5).

وقال القرطبي: (قيل: الفِرارُ منهم لطولِ شُعورِهم وأظفارِهم، وذكره المهدويُّ والنحَّاس والزجَّاج والقُشيري.

وهذا بعيدٌ؛ لأنَّهم لَمَّا استيقَظوا قال بعضُهم لبعضٍ: لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ودَلَّ هذا على أنَّ شُعورَهم وأظفارَهم كانت بحالِها، إلَّا أن يُقال: إنما قالوا ذلك قبل أن ينظُروا إلى أظفارِهم وشعورِهم.

قال ابن عطية: «والصحيحُ في أمرِهم أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حَفِظ لهم الحالةَ التي ناموا عليها؛ لتكونَ لهم ولغيرِهم فيهم آية، فلم يَبْلُ لهم ثوبٌ ولم تُغيَّرْ صِفةٌ، ولم يُنكِرِ النَّاهِضُ إلى المدينةِ إلَّا معالِمَ الأرضِ والبناءِ، ولو كانت في نفسِه حالةٌ يُنكِرُها لكانت عليه أهَمَّ»).

((تفسير القرطبي)) (373/10).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (504/3، 505)، ((تفسير الشوكاني)) (326/3).

أي: ولامتَلأَتْ نفسُك خَوفًا وفَزَعًا منهم.[62]

(62) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٨٣) قولًا مفاده: أن فتية أهل الكهف إنما حفَّهم هذا الرعب لطول شعورهم وأظفارهم.
وانتقده مستندًا لمخالفته لظاهر القرآن، فقال: «وهذا قول بعيد، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا: ﴿لَبِثْنا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾».
ثم قال: «وإنما الصحيح في أمرهم: أنّ الله – عز وجل – حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها؛ لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية، فلم يبْلَ لهم ثوب، ولا تغيرت صفة، ولا أنكر الناهض إلى المدينة إلا معالم الأرض والبناء، ولو كانت في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه أهم، ولروي ذلك».

سورةُ الكَهفِ

الآيتان (19–20)

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)

غريب الكلمات:

بِوَرِقِكُمْ: الوَرِقُ: الفِضَّةُ المَضروبةُ، وهي الدَّراهِمُ، وأصلُ (ورق): يدُلُّ على خَيرٍ ومالٍ.

أَزْكَى: أي: أطْيبُ، وأحلُّ، وأطهرُ، والزَّكوُ: الزِّيادةُ في الخيرِ والنَّفعِ، وأصلُ الزكاءِ: النَّماءُ والزِّيادةُ.

بِرِزْقٍ: أي: بطعامٍ تأكلونَه، وقوتٍ تقتاتونَه، والرِّزقُ يُطلَقُ على ما يصِلُ إلى الجوفِ ويُتغذَّى به؛ فيُطلَقُ على الطَّعامِ والثِّمارِ وعلى ما هو أعمُّ مِن ذلك مما يُنتفَعُ به، وأصلُ (رزق): يَدُلُّ على عطاءٍ لِوَقْتٍ.

وَلْيَتَلَطَّفْ: أي: ولْيُدقِّقِ النَّظرَ، ولْيَحتَلْ حتى لا يطَّلِعَ عليه أحَدٌ، ويُعبَّرُ باللَّطافةِ واللُّطفِ عن الحَرَكةِ الخفيفةِ، وعن تعاطي الأُمورِ الدَّقيقةِ، وأصلُ (لطف): يدُلُّ على رِفقٍ.

يَظْهَرُوا: أي: يَطَّلِعوا ويُشرِفوا على مكانِكم أو على أنفُسِكم، والظُّهورُ أصلُه: البروزُ دونَ ساترٍ، ويُطلَقُ على الظَّفَرِ بالشَّيءِ، وعلى الغَلَبةِ على الغَيرِ، وهو المرادُ هنا.

يَرْجُمُوكُمْ: أي: يَقْتُلوكم بالرَّجْمِ، والرَّجْمُ: الرَّميُ بالرِّجامِ، وهي الحجارةُ، وأصلُ (رجم): الرَّميُ بالحجارةِ.

تفسير الآيتين:

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19).

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ.

أي: وكما أنَّنا هؤلاء الفِتيةَ فحَفِظناهم في الكَهفِ، كذلك أيقَظْناهم مِن نَومِهم الطَّويلِ بذاتِ الحالةِ التي كانوا عليها، دونَ أن يتغيَّرَ مِن أحوالِهم وهَيئاتِهم شَيءٌ؛ لِيَسألَ بَعضُهم بعضًا عن مُدَّةِ نَومِهم، فإذا تبيَّنوا طولَ الزَّمانِ عليهم، وهم بنَفسِ هَيئتِهم التي رَقَدوا بها، ازدادوا مَعرفةً بعَظيمِ سُلطانِ اللهِ وعجائِبِ قُدرتِه، وبحُسنِ دِفاعِ اللهِ عن أوليائِه، وازدادوا بصيرةً في أمْرِهم الذي هم عليه مِن التبَرُّؤِ مِن عبادةِ الآلهةِ، وإخلاصِ العبادةِ للهِ وَحْدَه لا شريكَ له.[63]

---

(63) ظاهِرُ عباراتِ كثيرٍ مِن المفسِّرينَ أنَّ اللامَ في قولِه تعالى: لِيَتَسَاءَلُوا للتعليل.
ومنهم: ابنُ جرير، وابنُ الجوزي، وابنُ كثير، والشنقيطي، وصرَّح بذلك السعدي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/195-196)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/72)، ((تفسير ابن كثير)) (5/145)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/227)، ((تفسير السعدي)) (ص: 473).
قال ابن الجوزي: (أي: ليكونَ بينهم تساؤلٌ وتنازعٌ واختلافٌ في مُدَّةِ لُبثِهم، فيُفيد تساؤلُهم اعتبارَ المُعتَبِرين بحالِهم).
((تفسير ابن الجوزي)) (3/72).
وقيل: اللامُ هنا للعاقبةِ والصَّيرورةِ.
وممَّن نصَّ على ذلك: القرطبي، وابنُ عثيمين.

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ.

أي: قال قائلٌ مِن الفِتيةِ لأصحابِه: كم كانت مُدَّةُ نَومِكم؟!

قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.

أي: فأجابه الآخَرونَ بما يَظُنُّونَ: لَبِثْنا في نَومِنا يومًا كاملًا أو بعضًا منه.(64)

قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ.

أي: قالوا مُفَوِّضينَ العِلمَ لله: ربُّكم أعلَمُ منكم بمدَّةِ نَومِكم.(65)

فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (10/374)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 37).

(64) قال ابنُ كثير: (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ كان دخولُهم إلى الكهفِ في أوَّلِ نهارٍ، واستيقاظُهم كان في آخِرِ نهار؛ ولهذا استدرَكوا فقالوا: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...).

((تفسير ابن كثير)) (5/145).

(65) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/196)، ((تفسير الشوكاني)) (3/327)، ((تفسير السعدي)) (ص: 473).

قال ابنُ عاشور: (القائلونَ: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ يجوز أن يكونَ جميعهم، وهو الظاهرُ.

ويجوزُ أن يكونَ قَولَ بعضِهم، فأُسنِدَ إليهم؛ لأنهم رأوه صوابًا).

((تفسير ابن عاشور)) (15/284).

وقال السعدي: (ولعلَّ اللهَ تعالى -بعد ذلك- أطلعَهم على مُدَّة لُبثِهم؛ لأنَّه بعَثَهم ليتساءلوا بينهم، وأخبر أنَّهم تساءلوا، وتكلَّموا بمبلغِ ما عندهم، وصار آخِرَ أمرِهم الاشتباهُ، فلا بدَّ أن يكون قد أخبرهم يقينًا، عَلِمْنا ذلك من حكمتِه في بَعثِهم، وأنه لا يفعَلُ ذلك عبثًا، ومن رحمتِه بمن طلب عِلمَ الحقيقة في الأمور المطلوبِ عِلمُها، وسعى لذلك ما أمكنَه؛ فإن الله يوضِّحُ له ذلك، وبما ذُكِرَ فيما بعدَه من قولِه: وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا [الكهف: 21] ، فلولا أنَّه حصل العِلمُ بحالهم، لم يكونوا دليلًا على ما ذُكِر).

((تفسير السعدي)) (ص: 473).

أي: قال الفِتيةُ: فأرسلوا واحِدًا مِنَّا بهذه الدَّراهِمِ الفِضِّيةِ التي بحوزَتِنا، إلى مَدينَتِنا التي فرَرْنا منها.[66]

فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ.

أي: فلْيَنظُرْ مَن ستُرسِلونَه: أيُّ أهلِ المدينةِ[67] أطيَبُ وأحَلُّ وأطهَرُ طعامًا مِن غَيرِه،[68] فلْيَشترِ لكم قُوتًا منه، ولْيُحضِرْه إليكم لِتَأكلوه.

(66) قال ابن جزي: (إن قيل: كيفَ اتَّصل بعثُ أحدِهم بتذكرِ مدةِ لبثِهم؟ فالجوابُ: أنَّهم كانوا قالوا: ربُّكم أعلمُ بما لبثتُم، ولا سبيلَ لكم إلى العلمِ بذلك، فخُذوا فيما هو أهمُّ مِن هذا وأنفعُ لكم).

((تفسير ابن جزي)) (461/1).

(67) قال الشوكاني: (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا أي: يَنظُر أيُّ أهلِها أطيبُ طعامًا، وأحلُّ مكسبًا، أو أرخصُ سعرًا. وقيل: يجوزُ أن يعودَ الضميرُ إلى الأطعمةِ المدلولِ عليها في المقامِ).

((تفسير الشوكاني)) (327/3).

وقال ابنُ عاشور: (أي: فلينظُرْ أيُّ مكانٍ منها هو أزكَى طعامًا، أي: أزكَى طعامُه مِن طعامِ غيرِه).

((تفسير ابن عاشور)) (285/15).

اختُلِف في المراد بقوله: ﴿أيها أزكى طعاما﴾ على أقوال: الأول: أكثر طعامًا.

والثاني: أحل طعامًا.

والثالث: خير طعامًا.

ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ٢١٣ – ٢١٤) القول الثاني والثالث مستندًا إلى الدلالات العقلية، فقال: «وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قولُ مَن قال: معنى ذلك: أحل وأطهر.

وذلك أنّه لا معنى في اختيار الأكثر طعامًا للشراء منه، إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعامًا، كان خليقًا أن يكون الأفضل منه عنده أوجد، وإذا شُرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلًا الجيد أو كثيرًا».

وبنحوه ابنُ كثير (٩/ ١١٨).

(68) قيل: معنى أَزْكَى طَعَامًا: أي: أَحَلُّ ذبيحة، قاله ابنُ عباسٍ، وعطاءٌ.وقيل: أَحَلُّ طعامًا، قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ.

وقيل: أجودُ، قاله قتادةُ.

وقيل: أكثرُ، قاله عكرمةُ.

وَلْيَتَلَطَّفْ.

أي: ولْيَترفَّقِ الذي ستُرسِلونَه لشِراءِ الطَّعامِ، فيتخَفَّ ويتحَيَّلْ في دخولِه المدينةَ، وشِرائِه، وخُروجِه منها، ومجيئِه إلى الكَهفِ.

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا.

أي: ولا يُعلِمَنَّ أحدًا من النَّاسِ بمَكانِكم الذي تختَبِئونَ فيه، فلا يقولَنَّ أو يفعَلَنَّ ما يُؤَدِّي مِن غيرِ قَصدٍ منه إلى الشُّعورِ بكم.

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20).

وقيل غيرُ ذلك.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (294/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (73/3).

قال الشـــنقيطي: (في قولِه في هذه الآيةِ: أَزْكَى قولانِ للعلماءِ: أحدهما: أنَّ المرادَ بكونِه أَزْكَى: أطيبُ؛ لكونِه حلالًا ليسَ ممَّا فيه حرامٌ ولا شبهةٌ.

والثَّاني: أنَّ المرادَ بكونِه أزكَى: أنَّه أكثرُ...

والقولُ الأوَّلُ هو الَّذي يدلُّ له القرآنُ؛ لأنَّ أكلَ الحلالِ والعملَ الصَّـــالحَ أمَر اللَّهُ به المؤمنينَ كما أمَر المرســـلينَ، قال: يَا أَيُّهَا الرُّسُـــلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَـــالِحًا الآيةَ [المؤمنون: 51]، وقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [البقرة: 172]، ويكثرُ في القرآنِ إطلاقُ مادَّةِ الزَّكاةِ على الطَّهارةِ...

فاللَّائقُ بحالِ هؤلاءِ الفتيةِ الأخيارِ المتَّقينَ أنْ يكونَ مطلبُهم في مأكِلِهم الحليةَ والطَّهارةَ، لا الكثرةَ).

((أضواء البيان)) (227/3).

إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ.

أي: وذلك لأنَّ قومَكم الكُفَّارَ إن يَعلَموا بمكانِكم في الكَهفِ ويَظفَروا بكم، يَقتُلوكم رَجمًا بالحِجارةِ(69) إن ثَبَتُّم على ما أنتم عليه مِن الحَقِّ.(70)

أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ.

أي: أو يَرجِعوكم لِتَدخُلوا قَهرًا في دِينِهم، فتُصبِحوا كُفَّارًا مِثلَهم.(71)

كما قال تعالى: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ

---

(69) اختُلِف هل المراد الرجم بالحجارة، أو بالقول؟

ورجَّح ابنُ عطية (٥/ ٥٨٦) مستندًا إلى دلالة العقل، والتاريخ القولَ الأول الذي قاله مقاتل، وابن سلام، فقال: «وهو الأصح؛ لأنه كان عازمًا على قتلهم لو ظفر بهم، والرجم فيما سلف هي كانت –على ما ذكر– قِتْلة مخالف دين الناس، إذ هي أشفى لجملة ذلك في الدين، ولهم فيها مشاركة».

(70) وقيل: المعنى: يرجموكم شتمًا بالقولِ.

وممن قال بذلك: ابنُ جريرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (214/15).

(71) قال الشـــوكاني: (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ أي: يَرُدُّوكم إلى مِلَّتِهم الَّتي كنتُم عليها قبلَ أنْ يهدِيَكم اللَّهُ، أو المرادُ بالعودِ هنا: الصَّيْرورَةُ، على تقديرِ أَنَّهم لم يَكونوا على مِلَّتِهم).

((تفسير الشوكاني)) (327/3).

قال الزمخشري: (والعَودُ في معنى الصَّيرورةِ أكثَرُ شَيءٍ في كلامِهم؛ يقولون: ما عُدتُ أفعلُ كذا، يريدون ابتداءَ الفعلِ).

((تفسير الزمخشري)) (711/2).

ويُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (214/5).

مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ [الأعراف: 88- 89].

وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا.

أي: ولن تفوزوا بالخَيرِ أبدًا في الدُّنيا ولا في الآخِرةِ إن عُدتُم في ملَّتِهم.(72)

(72) قال البقاعي: (وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أي: إذا عُدتُم فيها مُطمئنِّينَ بها؛ لأنَّكم وإن أُكرِهتُم ربما استدرجَكم الشيطانُ بذلك إلى الإجابةِ حَقيقةً).
((نظم الدرر)) (12/39).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (21–26)

وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ
بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ
عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ
فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ
غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ
هَذَا رَشَدًا (24) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي
حُكْمِهِ أَحَدًا (26)

غريب الكلمات:

أَعْثَرْنَا: أي: أظهَرْنا وأطلَعْنا، وأصلُ (عثر) هنا: يدُلُّ على الاطِّلاعِ على الشَّيءِ.

رَجْمًا بِالْغَيْبِ: أي: ظنًّا غيرَ يقينٍ، ويُعَبَّرُ بالرَّجمِ عن الرَّميِ بالظنِّ، وأصلُ (رجم): يدُلُّ على الرَّميِ بالحجارةِ، وأصلُ (غيب): يدُلُّ على تَستُّرِ الشَّيءِ عن العيونِ.

تُمَارِ مِرَاءً: المِراءُ: الجِدالُ، يُقالُ: مارَى يُماري مُماراةً ومِراءً، أي: جادَل؛ مِن: مَرَيْتُ الشاةَ؛ إذا استخرجتَ لبنَها، كأنَّ المجادلَ يستخرِجُ غضبَ خصمِه أو ما عندَه. وقيل: أصلُه يدُلُّ على صلابةٍ في شيءٍ؛ لأنَّ المراءَ كلامٌ فيه بعضُ الشِّدَّةِ.

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ: أي: ما أبصَرَه وأسمَعَه!

تفسير الآيات:

وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21).

وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ.

أي: وكما أنمْنا الفِتيةَ وبَعَثْناهم مِن نَومِهم على هَيئتِهم، أطلَعْنا عليهم أهلَ المدينةِ في ذلك الزَّمانِ؛ ليَعلَموا أنَّ وعدَ اللهِ بإحياءِ الموتى حقٌّ، فلا يَشكُّونَ في قُدرةِ الله على البَعثِ؛ لأنَّ حالةَ أصحابِ الكَهفِ في نَومِهم وانتباهتِهم بعدَ مُدَّةٍ طَويلةٍ كحالِ مَن يموتُ ثُمَّ يُبعَثُ.[73]

---

(73) قال ابنُ الجوزي: (قَولُه تعالى: لِيَعْلَمُوا في المشارِ إليهم بهذا العلمِ قولان: أحدهما: أنَّهم أهلُ بلدِهم حينَ اختصموا في البعثِ، فبعَث الله أهلَ الكهفِ؛ ليعلموا أنَّ وعدَ اللَّهِ بالبعثِ والجزاءِ حَقٌّ، وأنَّ القيامةَ لا شكَّ فيها، هذا قولُ الأكثرين.
والثاني: أنَّهم أهلُ الكهفِ، بعثناهم؛ ليرَوْا بعدَ علمِهم أنَّ وعدَ الله حقٌّ).
((تفسير ابن الجوزي)) (73/3).
قال الزجاج: (أي: لِيَعلَمَ الذين يُكَذِّبون بالبعثِ أنَّ وَعدَ الله حَقٌّ، ويزدادَ مَن يؤمِنُ به إيمانًا).
((معاني القرآن)) (276/3).
وقال ابنُ كثير: (ذكر غيرُ واحدٍ مِن السلفِ أنَّه كان قد حصَل لأهلِ ذلك الزمانِ شَكٌّ في البَعثِ وفي أمرِ القيامةِ.
وقال عِكرمةُ: كان منهم طائفةٌ قد قالوا: تُبعَثُ الأرواحُ ولا تُبعَثُ الأجسادُ، فبَعَث اللهُ أهلَ الكهف؛ حُجَّةً ودَلالةً وآيةً على ذلك).
((تفسير ابن كثير)) (146/5).
وقال القاسمي: (وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ أي: كما أنمناهم وبعَثْناهم لِما في ذلك من الحكمةِ، أطلَعْنا عليهم أهلَ المدينةِ حتى دخَلَها مَن بعثوه للطَّعامِ، وأخرج وَرِقَهم المتقادمةَ العَهدِ).

وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا.

أي: وأنَّ القيامةَ حَقٌّ، لا شَكَّ في مجيئِها، ووقُوعِ الثَّوابِ والعقابِ فيها.

كما قال تعالى: إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ [غافر: 59].

إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ.

((تفسير القاسمي)) (15/7).

وقال ابن عثيمين: (لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ إمَّا أنَّ المعنى: بقيامِ الساعة الذي كان يُنكِرُه هؤلاء، أو لأنَّ الله تعالى ينجِّي المؤمنينَ مِن الكفار؛ لأنَّ هؤلاء السبعةَ نَجَوا من أمَّةٍ عَظيمةٍ تقاتِلُهم وتنهاهم عن التوحيدِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 40).

اختُلِف أكان بعثهم ليعرفوا عظمة الله وسلطانه وقدرته على البعث؟ أم كان لقطع ما تجادل فيه أهل القرية من أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور؟.

ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ٢١١) مستندًا إلى ظاهر القرآن القول الثاني، فقال: «لأن الله -عز ذكره- كذلك أخبر عباده في كتابه، وإن الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم عليهم ليتحقق عندهم -ببعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا، ولم يشيبوا على مر الأيام والليالي عليهم، ولم يهرموا على كر الدهور والأزمان فيهم- قدرته على بعث من أماته في الدنيا من قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة؛ لأن الله -عز ذكره- بذلك أخبرنا، فقال: ﴿وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾».

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٨٦ - ٥٨٧ بتصرف) أن قوله تعالى: ﴿إذ يتنازعون بينهم﴾ تشير إلى القول الثاني.

وأنه يحتمل أن يعمل في ﴿أنَّ﴾ على القول الثاني ﴿أعْثَرْنا﴾، ويحتمل أن يعمل فيه ﴿لِيَعْلَمُوا﴾.

ثم ذكر أن الضمير في قوله: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ يحتمل أن يعود على أصحاب الكهف، أي: يجعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور.

ثم قال: «وقوله: ﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ﴾ -على هذا التأويل- ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم، والعامل في ﴿إِذْ﴾ فعل مضمر، تقديره: واذكر، ويحتمل أن يعمل فيه ﴿فَقالُوا﴾، ويكون المعنى: فقالوا إذ يتنازعون: ابنوا عليهم.

والتنازع على هذا التأويل إنما هو في أمر البناء أو المسجد، لا في أمر القيامة».

أي: أعْثَرْنا على أصحابِ الكهفِ حينَ اختَلف أهلُ ذلك الزمانِ في البعثِ بعدَ الموتِ، فمِنهم مَن يؤمنُ به، ومِنهم مَن ينكرُه.(74)

---

(74) وممَّن قال بأنَّ التنازعَ كان في أمرِ البعثِ: يحيى بنُ سلام، وابنُ جريرٍ، ومكي، والزمخشري، والرسعني، والبيضاوي، وابنُ كثيرٍ، والشوكاني، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (1/176)، ((تفسير ابن جرير)) (15/216)، ((الهداية الى بلوغ النهاية)) لمكي (6/4352)، ((تفسير الزمخشري)) (2/711)، ((تفسير الرسعني)) (4/263)، ((تفسير البيضاوي)) (3/277)، ((تفسير ابن كثير)) (5/147)، ((تفسير الشوكاني)) (3/328)، ((تفسير السعدي)) (ص: 473).

وممن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: عكرمة.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (3/74).

قال الزمخشري: (أي: أعثَرْناهم عليهم حين يتنازَعون بينهم أمرَ دينِهم ويختَلِفون في حقيقةِ البَعثِ، فكان بعضُهم يقول: تُبعَثُ الأرواحُ دون الأجسادِ.

وبعضُهم يقول: تُبعَثُ الأجسادُ مع الأرواحِ؛ ليرتفِعَ الخلافُ، وليتبيَّنَ أنَّ الأجسادَ تُبعَثُ حيَّةً حسَّاسةً فيها أرواحُها كما كانت قبل الموتِ).

((تفسير الزمخشري)) (2/711).

ويُنظر: ((الرد على المنطقيين)) لابن تيمية (ص: 319)، ((تفسير القرطبي)) (10/378-379).

وممن اختار أنَّ التنازعَ كان في أمرِ الفتيةِ: مقاتلُ بنُ سليمانَ، وابنُ جزي، وجلال الدين المحلي، والعليمي، والشربيني، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (2/580)، ((تفسير ابن جزي)) (1/462)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 383)، ((تفسير العليمي)) (4/163)، ((تفسير الشربيني)) (2/363)، ((تفسير ابن عاشور)) (15/289)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 40).

وممن قال مِن السلفِ: إنَّ المتنازَعَ فيه هو أمرُ أصحابِ الكهفِ: ابنُ عباسٍ، ومقاتلٌ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (2/580)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/74).

واختُلِف في المتنازَعِ عليه مِن أمرِ الفتيةِ؛ فقيل: تنازعوا في قدرِ مكثِهم في الكهفِ.

وقيل: في عددِهم.

وقيل: فيما يفعلونَ بعدَ أن اطَّلعوا عليهم.

وقيل: تنازعوا هل هم أمواتٌ أو أحياءٌ.

وقيل: تنازعوا في البنيانِ، والمسجدِ.

فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ.

أي: فقال الذين أعثَرَهم اللهُ على أصحابِ الكَهفِ حين ماتُوا: ابنُوا عليهم بنيانًا يَستُرُهم ؛ ربُّهم أعلَمُ بهم وبِشَأنِهم وحالِهم.[75]

قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (573/13)، ((تفسير ابن الجوزي)) (74/3).

وقال ابن عاشور: (وضميرُ أَمْرَهُمْ يجوزُ أن يعودَ إلى أصحابِ الكهف، والأمرُ هنا بمعنى الشأنِ.

والتنازعُ: الجِدالُ القويُّ، أي: يتنازعُ أهلُ المدينة بينهم شأنَ أهل الكهف، مثل: أكانوا نيامًا أم أمواتًا، وأيبقَون أحياءً أم يموتون، وأيبقَون في ذلك الكَهفِ أم يَرجِعون إلى سُكنى المدينة؟ وفي مدَّةِ مُكثِهم.

ويجوزُ أن يكون ضميرُ أَمْرَهُمْ عائدًا إلى ما عاد عليه ضميرُ يَتَنَازَعُونَ، أي: شأنَهم فيما يفعلونه بهم).

((تفسير ابن عاشور)) (288/15-289).

(75) قال الرازي: (ثمَّ قال تعالى: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ وهذا فيه وجهان: أحدُهما: أنَّه من كلام المتنازِعين، كأنهم لَمَّا تذاكروا أمْرَهم وتناقلوا الكلامَ في أسمائِهم وأحوالِهم ومُدَّةِ لُبثِهم، فلمَّا لم يهتدوا إلى حقيقةِ ذلك قالوا: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ.

الثاني: أنَّ هذا من كلامِ الله تعالى؛ ذكَرَه ردًّا للخائضينَ في حديثِهم من أولئك المتنازِعِين).

((تفسير الرازي)) (447/21).

أي: قال رُؤساءُ المدينةِ الذين غَلَبوا على أهلِها:[76] لَنبنيَنَّ عليهم مَسجِدًا يُعبَدُ اللهُ فيه.[77]

---

(76) وممَّن قال: إنَّ المرادَ بقولِه: الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ: هم أهلُ الغلبةِ وأصحابُ الكلمةِ والنُّفوذِ مِن الولاةِ والرؤساءِ: القرطبي، وابنُ كثير، وابنُ رجب، والسعدي، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (351/10)، ((تفسير ابن كثير)) (147/5)، ((فتح الباري)) لابن رجب (193/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 473)، ((تفسير ابن عاشور)) (290/15)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 41).

قال ابنُ كثير: (حكى ابنُ جرير في القائلين ذلك قولين: أحدُهما: أنَّهم المسلمون منهم.

والثاني: أهلُ الشرك منهم، فالله أعلم.

والظاهِرُ أنَّ الذين قالوا ذلك هم أصحابُ الكلمة والنُّفوذ.

ولكِنْ هل هم محمودونَ أم لا؟ فيه نظرٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: «لعن اللهُ اليهودَ والنَّصارى؛ اتَّخذوا قبورَ أنبيائِهم وصالِحيهم مساجِدَ»).

((تفسير ابن كثير)) (147/5).

وقال ابنُ باز في قولِه تعالى: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا: (إنَّ الله سبحانه وتعالى أخبَرَ عن الرُّؤساءِ وأهلِ السَّيطرةِ في ذلك الزمانِ أنَّهم قالوا هذه المقالةَ، وليس ذلك على سبيلِ الرضا والتقرير لهم، وإنَّما هو على سبيلِ الذمّ والعيبِ والتنفيرِ مِن صنيعِهم، ويدُلُّ على ذلك أنَّ الرَّسولَ صلَّى الله عليه وسلم الذي أُنزِلَت عليه هذه الآيةُ وهو أعلَمُ النَّاسِ بتأويلِها: قد نهى أمَّتَه عن اتخاذِ المساجدِ على القبور، وحَذَّرهم من ذلك، ولعن وذَمَّ مَن فعلَه، ولو كان ذلك جائزًا لَمَّا شَدَّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذلك التَّشديدَ العظيمَ، وبالغ في ذلك حتى لَعَن مَن فَعلَه، وأخبر أنَّه من شرارِ الخَلق عند الله عزَّ وجَلَّ، وهذا فيه كفايةٌ ومَقنعٌ لطالبِ الحَقّ، ولو فرَضْنا أنَّ اتخاذَ المساجِدِ على القبورِ جائزٌ لِمن قَبْلَنا، لم يجُزْ لنا التأسِّي بهم في ذلك؛ لأنَّ شريعتَنا ناسِخةٌ للشرائعِ قَبلَها، ورسولُنا عليه الصلاة والسلام هو خاتَمُ الرُّسُلِ).

((مجموع فتاوى ابن باز)) (435/1).

ويُنظر: ((فتح الباري)) لابن رجب (193/3).

(77) قال الواحدي في قوله: لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا: (ومعنى: عَلَيْهِمْ هاهنا وفي قوله: ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا أنَّهم يجعلون وراء ذلك، كما يقال: بني عليه جِدارًا: إذا حوَّطه وجعله وراءَ الجِدارِ).

((البسيط)) (574/13).

قيل: بَنَوا على بابِ الكهفِ مسجِدًا للصلاةِ فيه.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (580/2)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 657)، ((تفسير ابن جزي)) (462/1).

اختُلِف في القائلين: ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾؛ فقال قوم: هم المسلمون.

وقال غيرهم: أهل الشرك.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22).

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ.

أي: سيقولُ بَعضُ الخائِضينَ في عَدَدِ أصحابِ الكَهفِ: هم ثلاثةُ أشخاصٍ، والرَّابِعُ هو كَلبُهم.[78]

ورجَّح ابنُ كثير (٩/ ١٢٠) بحسب الظاهر أنهم أصحاب الكلمة والنفوذ، فقال: «والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ».

(78) قال القرطبي: (الضميرُ في سَيَقُولُونَ يرادُ به أهلُ التوراة، ومُعاصِرو النبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ وذلك أنَّهم اختلفوا في عددِ أهل الكهفِ هذا الاختلافَ المنصوصَ.

وقيل: المرادُ به: النصارى؛ فإنَّ قومًا منهم حَضَروا النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِن نجران، فجرى ذِكرُ أصحابِ الكهفِ.

فقالت اليعقوبيَّة: كانوا ثلاثةً رابعُهم كلبُهم.

وقالت النسطوريةُ: كانوا خمسةً سادِسُهم كلبُهم.

وقال المسلمونَ: كانوا سبعةً ثامِنُهم كلبُهم).

((تفسير القرطبي)) (382/10).

ويُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (277/3)، ((تفسير أبي السعود)) (216/5).

وقال الشوكاني: (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ...

هؤلاءِ القائلونَ بأنَّهم ثلاثةٌ أو خمسةٌ أو سبعةٌ، هم المتنازعونَ في عددِهم في زمنِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مِنْ أهلِ الكتابِ والمسلمينَ، وقيلَ: هم أهلُ الكتابِ خاصَّةً).

((تفسير الشوكاني)) (329/3).

وقال ابن عثيمين: (كيف يمكِنُ أن يكون قولان لغائبٍ واحدٍ؟ هذا يُخَرَّج على وجهَينِ: الوجه الأول: أنَّ المعنى: سيقول بعضُهم: ثلاثةٌ رابِعُهم كلبُهم، ويقولُ البعضُ الآخَرُ: خمسةٌ سادِسُهم كلبُهم، ويقول البعض الثالث: سبعةٌ وثامِنُهم كلبُهم.

والوجه الثاني: أن المعنى أنهم سيترددون؛ مرةً يقولون: ثلاثةٌ، ومرة يقولون: خمسةٌ، ومرة يقولون: سبعةٌ.

وكلاهما محتَمِلٌ ولا يتنافيان، فتجدُهم أحيانًا يقولون كذا، وأحيانًا يقولون كذا، حسَبَ ما يكونُ في أذهانِهم).

وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ.

أي: وسيقولُ بَعضُهم: هم خمسةُ أشخاصٍ، والسَّادِسُ هو كَلبُهم.

رَجْمًا بِالْغَيْبِ.

أي: إنَّما يقولُ الخائِضونَ في عَددِ الفتيةِ ما يقولونَ بمُجَرَّدِ الظَّنِّ والتَّخمينِ، مِن غيرِ عِلمٍ ولا يقينٍ.

وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ.

أي: ويقولُ بَعضُهم: عدَدُ أصحابِ الكَهفِ سَبعةٌ، والثَّامِنُ هو كَلبُهم.(79)

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 41-42).

ومن اختار الوجهَ الأوَّلَ: ابنُ جرير، والشوكاني، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (218/15)، ((تفسير الشوكاني)) (329/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 474).

قال الشوكاني: (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ أي: هم ثلاثةُ أشخاصٍ، وجملةُ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ في محلِّ نصبٍ على الحالِ، أي: حالَ كونِ كلبِهم جاعلَهم أربعةً بانضمامِه إليهم، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ الكلامُ فيه كالكلامِ فيما قبله).

((تفسير الشوكاني)) (329/3).

(79) قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن اختلافِ النَّاسِ في عِدَّةِ أصحاب الكهفِ، فحكى ثلاثةَ أقوال، فدلَّ على أنَّه لا قائل برابعٍ، ولَمَّا ضعَّف القولين الأوَّلَينِ بقولِه: رَجْمًا بِالْغَيْبِ أي: قولًا بلا علمٍ، كمن يرمي إلى مكانٍ لا يَعرِفُه، فإنَّه لا يكادُ يصيبُ، وإن أصاب فبلا قَصدٍ؛ ثم حكى الثالثَ وسكت عليه أو قرَّره بقولِه: وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ؛ فدَلَّ على صِحَّتِه، وأنَّه هو الواقِعُ في نفسِ الأمر).

((تفسير ابن كثير)) (147/5).

ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (367/13-368).

وقال أيضًا: (الصَّحيح عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّهم كانوا سبعةً، وهو ظاهرُ الآيةِ).

((تفسير ابن كثير)) (148/5).

وقال الرسعني: (على هذا أكثرُ العلماءِ؛ أنَّ عِدَّةَ أصحابِ الكهفِ سبعةٌ).

((تفسير الرسعني)) (265/4).

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾.

أي: قل -يا مُحَمَّدُ- للخائِضينَ في عَدَدِ أصحابِ الكَهفِ بلا عِلمٍ: ربِّي أعلَمُ مِن غَيرِه بعَدَدِ الفِتيةِ عِلمًا تامًّا.

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

أي: ما يعلَمُ عَدَدَ أصحابِ الكَهفِ على الصَّوابِ إلَّا قليلٌ مِن خَلقِه.

قال ابنُ عطية (٥/ ٥٨٨): «والواو في قوله: ﴿وثامنهم كلبهم﴾ طريق النحويين فيها أنها واو عطف دخلت في آخر إخبار عن عددهم؛ لتفصل أمرهم، وتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام، ولو كانت فيما قبل من قوله: ﴿رابعهم﴾ و﴿سادسهم﴾ لصح الكلام.
وتقول فرقة منها ابن خالويه: هي واو الثمانية.
وذكر ذلك الثعلبي عن أبي بكر بن عياش أنّ قريشًا كانت تقول في عددها: ستة سبعة وثمانية تسعة، فتدخل الواو في الثمانية».
ثم قال: «وقد أمر الله تعالى نبيه - ﷺ - في هذه الآية أن يرد علم عدتهم إليه - عز وجل -، ثم أخبر أن عالم ذلك من البشر قليل، والمراد به قوم من أهل الكتاب، وكان ابن عباس يقول: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم.
ويستدل على هذا من الآية بأن القرآن لما حكى قول مَن قال: ثلاثة، وخمسة.
قرَنَ بالقول أنه رجم بالغيب؛ فقدح ذلك فيها، ثم حكى هذه المقالة، ولم يقدح فيها بشيء، بل تركها مسجلة، وأيضًا فيقوي ذلك على القول بواو الثمانية؛ لأنها إنما تكون حيث عدد الثمانية صحيح».

فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا.

أي: فلا تُحاجِجْ -يا مُحمَّدُ[80] - في أصحابِ الكَهفِ[81] إلَّا مُحاجَّةً ظاهِرةً،[82] ولا تُجهِدْ نَفسَك فيما لا طائِلَ مِن ورائِه.

---

(80) قيل: لا تحاجِجْ أهلَ الكتاب.

وممن قال بذلك: ابنُ جرير، وابنُ أبي زمنين، وابنُ جزي، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (220/15)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (54/3)، ((تفسير ابن جزي)) (463/1)، ((تفسير القاسمي)) (18/7).

وقيل: لا تُحاجِج المشركينَ.

وممن قال بذلك: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (294/15).

(81) قيل: المرادُ: لا تمارِ في عددِهم.

وممن قال بذلك: ابنُ جرير، وابنُ عطية، والقرطبي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (220/15)، ((تفسير ابن عطية)) (508/3)، ((تفسير القرطبي)) (384/10)، ((تفسير ابن عاشور)) (294/15).

وقيل: المرادُ: لا تمارِ في شأنِهم.

وممن قال بذلك: الشوكاني.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (329/3).

وقال ابنُ عثيمين: (فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ أي: في شأنِهم، في زمانِهم، في مكانِهم، في مآلِهم).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 43).

(82) اختلف المفسِّرونَ في تفسيرِ المِراءِ الظاهِرِ، وذكر الواحدي بعضَ أقوالِ السلفِ، ثم قال: (فعلى ما قالوا: المراءُ الظاهِرُ هو: أن يجادلَهم بما أُنزِل إليه مِن أنَّه لا يعلمُ عددَهم إلَّا القليلُ).

((البسيط)) (580/13).

وممن قال مِن السلفِ أنَّ المرادَ: حسبُك ما قصَصْنا عليك مِن شأنِهم، وأظهَرْنا لك مِن أمرِهم: ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، وقتادةُ، والضحَّاكُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (221/15).

وقال ابن عاشور: (والمِراءُ الظَّاهِرُ: هو الَّذي لا سبيلَ إلى إنكارِه، ولا يطولُ الخوضُ فيه.

وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

أي: ولا تَسألْ –يا مُحمَّدُ– في أصحابِ الكَهفِ[83] أحدًا مِن أهلِ الكِتابِ.[84]

وذلك مثلُ قولِه: قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ، وقولِه: مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ؛ فإنَّ هذا ممَّا لا سبيلَ إلى إنكارِه وإبايَتِه؛ لوُضوحِ حُجَّتِه، وما وراءَ ذلك محتاجٌ إِلَى الحجَّةِ؛ فلا يَنْبَغِي الاشتغالُ به لقلَّةِ جَدْواه).

((تفسير ابن عاشور)) (294/15).

وقيل: هو أن يقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون.

قاله ابنُ زيدٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (75/3).

ويُنظر أيضًا: ((تفسير الماوردي)) (298/3).

وقال ابنُ كثير: (قال تعالَى: فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا أي: سَهلًا هَيِّنًا؛ فإنَّ الأمرَ في معرفةِ ذلك لا يترتَّبُ عليه كبيرُ فائدةٍ).

((تفسير ابن كثير)) (148/5).

ويُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (463/1).

وقيل: إلَّا مراءً على اللِّسانِ لا يصِلُ إلى القَلبِ؛ لأنَّه إذا وصل الجِدالُ إلى القَلبِ اشتَدَّ المجادِلُ، وغَضِبَ وانتفَخَت أوداجُه وتأثَّر، في أمرٍ ليس للجِدالِ فيه كبيرُ فائدةٍ.

وممن قال بذلك: ابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 43).

(83) قيل: في عَدَدِهم.

قاله ابنُ جريرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (222/15).

وقيل: في شأنِهم.

قاله الشوكاني، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (330/3)، ((تفسير السعدي)) (ص: 474).

(84) وممَّن قال بأنَّ المراد بالضميرِ في مِنْهُمْ يعود إلى أهلِ الكِتابِ: ابنُ جرير، والواحدي، والقرطبي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (222/15)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 657)، ((تفسير القرطبي)) (384/10)، ((تفسير السعدي)) (ص: 474).

وممن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ، وقتادةُ، ومجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (222/15)، ((تفسير ابن الجوزي)) (76/3).

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23).

أي: ولا تَقولَنَّ –يا محمَّدُ– لأيِّ شيءٍ تعزِمُ على فِعْلِه: إنِّي فاعلٌ ذلك الأمرَ في المُستَقبلِ.[85]

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24).

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

قال ابنُ كثير: (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا أي: فإنَّهم لا عِلمَ لهم بذلك إلَّا ما يقولونَه مِن تلقاءِ أنفُسِهم رجمًا بالغيبِ، أي: مِن غيرِ استنادٍ إلى كلامِ مَعصومٍ، وقد جاءك اللهُ –يا محمَّدُ– بالحَقِّ الذي لا شَكَّ فيه ولا مِريةَ؛ فهو المقَدَّمُ الحاكِمُ على كُلِّ ما تقَدَّمَه من الكُتُبِ والأقوالِ).

((تفسير ابن كثير)) (148/5).

قال الرسعني: (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا أي: ولا تستَفْتِ في أصحابِ الكَهفِ مِن أهلِ الكتابِ أحدًا؛ لأنَّ سؤالَهم إمَّا تعنُّتٌ أو استرشادٌ؛ والأوَّلُ ليس من أخلاقِك المَرْضيَّةِ، والثاني لا حاجةَ بك إليه؛ لأنَّك قد علِمْتَه بإيحائِنا إليك، وقَصَصِنا عليك).

((تفسير الرسعني)) (267/4).

وقيل: المرادُ بقولِه: مِنْهُمْ: عمومُ النَّاسِ، سواءٌ من أهلِ الكتابِ أم مِن غيرِهم.

وممَّن قال بذلك: ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 44).

(85) قال ابن القيم: (الذي أجمع عليه المفسِّرون: أنَّ أهلَ مكَّةَ سألوا النبيَّ عن الرُّوحِ، وعن أصحابِ الكَهفِ، وعن ذي القَرنَينِ، فقال: أُخبِرُكم غدًا.

ولم يقُلْ: إن شاء الله.

فتلبَّثَ الوحيُ أيَّامًا، ثم نزَلت هذه الآيةُ).

((مدارج السالكين)) (403/2).

أي: إلَّا أن تقولَ مع ذلك القَولِ: إن شاء اللهُ.[86]

كما قال تعالى: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ [الإنسان: 30].

وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ.

أي: إن قُلتَ -يا محمَّدُ-: سأفعَلُ شيئًا غدًا، ونَسِيتَ أن تقولَ: إن شاءَ اللهُ، فاذكُرْ رَبَّك بعد نِسيانِك بقَولِك: إن شاء اللهُ.[87]

---

(86) ذكر ابنُ جرير (١٥/ ٢٢٤ - ٢٢٥) قولًا بأنه جائز أن يكون معنى قوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء من القول، لا من الفعل كأن معناه: لا تقولن قولًا إلا أن يشاء الله ذلك القول.

وانتقده مســتندًا لمخالفته الإجماع، وظاهر الآية، فقال: «وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل، مع خلافه تأويل أهل التأويل».

وكذا انتقده ابنُ عطية (٥/ ٥٩٠)، فقال: «وهو من الفساد بحيث كان الواجب ألّا يُحْكى».

(87) وممن اختار هذا المعنى المذكورَ: ابنُ القيم، والسعدي، واستظهره الشنقيطي، ونسبه إلى الجمهورِ، وقال به ابنُ عثيمين.

يُنظر: ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (58/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 474)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (254/3)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 47).

وممَّن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ، وأبو العاليةِ، والحسنُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (225/15)، ((تفسير ابن الجوزي)) (76/3).

قال ابنُ كثير: (ويحتَمِلُ في الآيةِ وجهٌ آخرُ، وهو أن يكونَ اللهُ عزَّ وجَلَّ قد أرشَدَ مَن نَسِيَ الشيءَ في كلامِه إلى ذِكرِ الله تعالى؛ لأنَّ النسيانَ مَنشؤُه مِن الشَّيطانِ، كما قال فتى موسى: وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ [الكهف: 63] ، وذِكْرُ اللهِ تعالى يطرُدُ الشَّيطانَ، فإذا ذهب الشَّيطانُ ذهب النِّسيانُ، فذِكْرُ الله سببٌ للذِّكرِ).

((تفسير ابن كثير)) (150/5).

ويُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (254/3).

قال السعدي: (ويُؤخَذُ مِن عمومِ قولِه: وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ الأمرُ بذكرِ الله عندَ النسيانِ، فإنَّه يزيلُه، ويُذكِّرُ العبدَ ما سها عنه).

((تفسير السعدي)) (ص: 474).

وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا.

أي: وقُلْ –يا محمَّدُ– داعيًا ربَّك: أرجو أن يوفِّقَني ربِّي، ويَدُلَّني إلى طريقٍ هو أقرَبُ الطُّرُقِ المُوصِلةِ إلى الرَّشادِ، ويُثبِّتَني عليه.(88)

وقيل: هذه الآيةُ فيمَن نسِي صلاةً فعليه أن يُصلِّيَها إذا ذكَرها، وهو مرويٌّ عن السُّديّ والضَّحَّاكِ.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (586/13)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (255/3).

اختلف في تفسير قوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾؛ فقال قوم: استثن في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين.

وقال آخرون: بل معناه: واذكر ربك إذا غضبت.

ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ٢٢٦) مستندًا إلى اللغة القول الأول دون الثاني الذي قاله عكرمة، فقال: «لأنّ أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك».

وكذا رجَّحه ابنُ القيم (٢/ ١٥٨)، فقال: «وهو الصواب».

ولم يذكر مستندًا.

وساق ابنُ كثير (٩/ ١٢٤) هذه الأقوال، ثم ذكر احتمالًا آخر، فقال: «ويحتمل في الآية وجه آخر، وهو أن يكون الله – عز وجل – قد أرشد مَن نسي الشيء في كلامه إلى ذِكر الله تعالى؛ لأن النسيان منشؤه من الشيطان، كما قال فتى موسى: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ [الكهف: ٦٣]، وذِكْرُ الله تعالى يطرد الشيطان، فإذا ذهب الشيطان ذهب النسيان، فذِكْرُ اللهِ سببٌ للذِّكر؛ ولهذا قال: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾».

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٩٠) أنه تُكلِّم في هذه الآية في الأيمان، ثم رجَّح كونها ليست فيه، فقال: «والآية ليست في الأيمان، وإنما هي في سنة الاستثناء في غير اليمين».

(88) قيل: المرادُ: قلْ عسَى أن يُعطِيَني من الآياتِ والدَّلالاتِ على النبوَّةِ ما يكونُ أقربَ في الرَّشَدِ وأدَلَّ من قصَّةِ أصحابِ الكهفِ.

فالمشارُ إليه بقولِه مِنْ هَذَا –على هذا القولِ– هو نَبَأُ أصحابِ الكهفِ.

وممَّن اختار هذا المعنى: الزجاج، وابن أبي زمنين، والواحدي، والبيضاوي، وابن جزي، والشوكاني، وابن عاشور.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (278/3)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (56/3)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 658)، ((تفسير البيضاوي)) (278/3)، ((تفسير ابن جزي)) (463/1)، ((تفسير الشوكاني)) (330/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (298/15– 299).

قال البيضاوي: (وقد هداه لأعظَمَ مِن ذلك، كقَصَصِ الأنبياءِ المتباعِدةِ عنه أيَّامُهم، والإخبارِ بالغُيوبِ والحوادثِ النازلةِ في الأعصارِ المُستقبَلةِ إلى قيامِ الساعةِ).

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25).

أي: وبَقِيَ الفِتيةُ في الكَهفِ نِيامًا مُدَّةَ ثَلاثِمئةِ سَنةٍ وزيادة تِسعِ سنينَ.[89]

((تفسير البيضاوي)) (278/3).

وقال ابنُ عاشـور: (لَمَّا أبَرَّ اللهُ وَعدَ نبيِّه صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم الذي وعَدَه المُشـرِكين أن يبيِّنَ لهم أمْرَ أهلِ الكَهفِ، فأوحاه إليه وأوقَفَهم عليه؛ أعقَبَ ذلك بعتابِه على التصَدِّي لمجاراتِهم في السؤالِ عَمَّا هو خارجٌ عن غرَضِ الرِّسالةِ دون إذنٍ مِن اللهِ، وأمَرَه أن يذكُرَ نهيَ ربِّه، ويعزِمَ على تدريبِ نَفسِه على إمساكِ الوَعدِ ببيانِ ما يُسألُ منه بيانُه دون أن يُؤذِنَه الله به؛ أمرَه هنا أن يخبِرَ سـائليه بأنَّه ما بُعِث للاشـتغالِ بمثلِ ذلك، وأنَّه يرجو أنَّ اللهَ يهديه إلى ما هو أقرَبُ إلى الرُّشـدِ مِن بيانِ أمثالِ هذه القِصَّةِ، وإن كانت هذه القِصَّةُ تشتَمِلُ على موعِظةٍ وهُدًى، ولكِنَّ الهدى الذي في بيانِ الشَّريعةِ أعظَمُ وأهَمُّ).

((تفسير ابن عاشور)) (298/15-299).

وقيل: المعنى: إذا نسيتَ شيئًا فاذكُرْ رَبَّك بأن تقولَ: عسى ربِّي أن يهديَني لشيءٍ آخرَ بدَلَ هذا المنسيِّ أقرَبَ منه رَشَدًا، وأدنى خيرًا ومنفعةً.

والإشارةُ -بناءً على هذا القولِ- إلى قوله: وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ.

وممن قال بذلك: النسفي.

يُنظر: ((تفسير النسفي)) (296/2).

وقيل: المعنى: إذا سُئِلتَ عن شيءٍ لا تعلمُه، فاسألِ اللهَ فيه، وتوجَّهْ إلى الله أن يوفِّقَك للصوابِ والرشدِ.

وممن ذهَب إلى هذا المعنى: ابنُ كثيرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (150/5).

وقال ابنُ جرير: (يقولُ عزَّ ذِكرُه لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم: قلْ: ولعلَّ اللهَ أن يهديَني فيُسَدِّدَني لأسَدَّ ممَّا وعدتُكم وأخبَرْتُكم أنَّه سيكونُ، إن هو شاء).

((تفسير ابن جرير)) (227/15-228).

(89) وهذه الآيةُ إخبارٌ مِن الله تعالى عن قدرِ لبثِهم في الكهفِ، وأنَّهم لبثوا فيه ثلاثَمِئةِ سنةٍ وتسعَ سنينَ.

ونسَبه الكرماني للجمهور.

يُنظر: ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) (658/1).

وممَّن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: مجاهدٌ، وعبدُ الله بنُ عبيدِ بنِ عميرٍ، والضحاكُ، وابنُ زيدٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (229/15)، ((البسيط)) للواحدي (588/13)، ((تفسير ابن الجوزي)) (78/3).

وقيل في فائدةِ قولِه: وَازْدَادُوا تِسْعًا بعدَ قولِه تعالى: وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ: أنَّها ثلاثُمِئةِ سنةٍ بحسابِ السَّنةِ الشَّمسيَّةِ، وثلاثُمِئةِ سنةٍ وتسعُ سنينَ بحسابِ السَّنةِ القمريَّةِ.

وممن ذهَب إلى هذا القولِ: الماوردي، وابنُ كثير، والبقاعي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير الماوردي)) (3/300)، ((تفسير ابن كثير)) (3/70)، (5/150)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (12/46)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/227).

ونسَب ابنُ عطيةَ هذا القولَ للنقاشِ، ونسَبه الشوكاني للزجَّاجِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/510)، ((تفسير الشوكاني)) (3/331).

قال ابنُ عاشور بعدَ أن ذكَر هذا القولَ: (وبهذا تظهرُ نكتةُ التَّعبيرِ عن التِّسعِ السِّنينِ بالازديادِ، وهذا مِنْ علمِ القرآنِ وإعجازِه العلميِّ الَّذي لم يَكُنْ لعمومِ العربِ علمٌ به).

((تفسير ابن عاشور)) (15/301).

وضَعَّف ابنُ عثيمين هذا القَولَ، وردَّه من وجهينِ: الأولُ: أنَّه لا يمكِنُ أنْ نشهَدَ على اللهِ أنه أراد هذا.

الثاني: أنَّ عِدَّةَ الشُّهورِ والسَّنواتِ عندَ الله بالأهِلَّةِ؛ فقد قال تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ [يونس: 5] ، وقال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ [البقرة: 189].

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 50).

وقيل أيضًا في فائدةِ قولِه: وَازْدَادُوا تِسْعًا: أنَّه لعلَّهم لما استكمل لهم ثلاثَمِئةِ سنةٍ، قرُب أمرُهم من الانتباهِ، ثمَّ اتَّفق ما أوجَب بقاءَهم في النَّومِ بعدَ ذلك تسعَ سنينَ.

يُنظر: ((تفسير الرازي)) (21/453)، ((تفسير ابن عادل)) (12/464).

وقيل: إنَّ هذه الآيةَ إخبارٌ عن أهلِ الكتابِ أنَّهم قالوا ذلك.

وممن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عباسٍ، وقتادةُ، ومطرٌ الوراقُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/229)، ((البسيط)) للواحدي (13/587)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/78).

قال ابن تيميَّةَ: (بعضُ المفسِّرينَ زعَموا أنَّ هذا قَولُ بَعضِ أهل الكتابِ؛ لقوله تعالى: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا، وليس كذلك؛ فإنَّ اللهَ لم يذكُرْ هذا عن أهلِ الكتابِ، بل ذكَرَه كلامًا منه تعالى).

((الجواب الصحيح)) (4/246).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/510).

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26).

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا.

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ-: اللهُ أعلَمُ بمُدَّةِ لُبثِ الفِتيةِ في الكَهفِ نائِمينَ، وقد أخبَرَنا بمقدارِ تلك المُدَّةِ بالحَقِّ، والصِّدقِ المطابِقِ للواقِعِ، فلا نقبَلُ قَولَ غَيرِه.[90]

لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: للهِ وَحدَه عِلمُ ما غاب وخَفِيَ في السَّمواتِ والأرضِ، ولا يخفى عليه شَيءٌ فيهما.

---

(90) وقيل: المعنى: اللهُ أعلَمُ بما لَبِثوا بعد أن قبَضَ أرواحَهم مِن بعدِ أن بعَثَهم مِن رَقدِتِهم إلى يومِنا هذا، فلا يعلَمُ بذلك غيرُ اللهِ.
وممن قال بذلك: ابنُ جرير.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (231/15).
قال الخازن: (يعني: إن نازعوك في مدَّةِ لُبثِهم في الكَهفِ، فقل أنت: الله أعلَمُ بما لَبِثوا، أي: هو أعلَمُ منكم، وقد أخبر بمدَّةِ لُبثِهم).
((تفسير الخازن)) (162/3).
وقال ابنُ كثير: (قولُه: قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا أي: إذا سُئِلْتَ عن لُبثِهم وليس عندك عِلمٌ في ذلك وتوقيفٌ مِن الله عزَّ وجَلَّ، فلا تتقدَّمْ فيه بشَيءٍ، بل قُلْ في مثلِ هذا: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ [الكهف: 26] أي: لا يعلَمُ ذلك إلا هو أو من أطلَعَه اللهُ عليه مِن خَلْقِه.
وهذا الذي قُلْناه عليه غيرُ واحدٍ مِن عُلَماءِ التفسيرِ، كمجاهد، وغيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ والخَلَفِ).
((تفسير ابن كثير)) (150/5).

كما قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام: 59].

وقال سُبحانَه: وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [يونس: 61].

وقال عزَّ وجلَّ: عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ [الرعد: 9].

وقال سُبحانَه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ [آل عمران: 5].

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ.

أي: ما أبصَرَ اللهَ لكُلِّ مَوجودٍ، وما أسمَعَه لكُلِّ صَوتٍ، فلا يخفى عليه شَيءٌ من ذلك![91]

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ [الحج: 75].

مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ.

---

(91) قال الزجاج: (أجمَعَت العلماءُ أنَّ معناه: ما أسمَعَه وأبصَرَه! أي: هو عالمٌ بقِصَّةِ أصحابِ الكَهفِ وغَيرِهم).
((معاني القرآن)) (3/280).
وقال السعدي: (قوله: أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ تعجُّبٌ مِن كمالِ سَمعِه وبَصَرِه، وإحاطتِهما بالمسموعاتِ والمُبصَراتِ، بعد ما أخبَرَ بإحاطة عِلمِه بالمعلوماتِ).
((تفسير السعدي)) (ص: 474).

أي: ما لجَميعِ الخَلقِ في السَّمَواتِ والأرضِ مِن دونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ يلي أمرَهم، ويُدَبِّرُ شُؤونَهم، ومن ذلك أنَّه تولَّى شأنَ أصحابِ الكَهفِ بلُطفِه وكَرَمِه، ولم يَكِلْهم إلى أحَدٍ مِن خَلقِه.(92)

وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.

أي: ولا يُشرِكُ اللهُ في قَضائِه بين خَلقِه وفي تدبيرِهم أحدًا سواه؛ فهو المتفرِّدُ وَحدَه بالحُكمِ في خَلقِه قَضاءً وقَدَرًا، وخلْقًا وتدبيرًا، وبالحُكمِ فيهم أمرًا ونهيًا، وثوابًا وعقابًا.(93)

كما قال تعالى: أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا [الأنعام: 114].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ [الأنعام: 57].

وقال سُبحانَه: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ [الشورى: 10].

---

(92) قال الشنقيطي: (قال بعضُ العُلَماءِ: الضميرُ في قولِه: مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ راجِعٌ لأهلِ السَّمَواتِ والأرضِ المفهومينَ مِن قَولِه تعالى: لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ [الكهف: 26].

وقيل: الضميرُ في قولِه: مَا لَهُمْ راجعٌ لمعاصِري النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الكُفَّارِ، ذكَرَه القرطبي.

وعلى كلِّ حالٍ فقد دلَّت الآياتُ المتقدِّمةُ أنَّ وِلايةَ الجَميعِ لخالِقِهم جلَّ وعلا، وأنَّ منها وِلايةَ ثوابٍ وتوفيقٍ وإعانةٍ، وولايةَ مِلْكٍ وقَهرٍ ونُفوذٍ ومَشيئةٍ.

والعِلمُ عند اللهِ تعالى).

((أضواء البيان)) (3/258).

(93) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٩٥ – ٥٩٦) أن من قرأ: ﴿ولا تُشْرِكْ﴾ بالنهي، عطف قوله: ﴿واتلُ﴾ عليه، ومن قرأ: ﴿ولا يشرك﴾ جعل هذا أمرًا بُدئ به كلام آخر ليس من الأول، وكأن هذه الآية في معنى العتاب للنبي – عليه السلام – عقب العتاب الذي كان تركه الاستثناء، كأنه يقول: هذه أجوبة الأسئلة فاتْل وحْي الله إليك، أي: اتبع في أعمالك.

وقيل: اسرد بتلاوتك ما أوحي إليك من كتاب ربك.

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ وَلَا تُشْرِكْ بالتاء والجزمِ، بتوجيهِ الخطابِ[94] بالنَّهيِ عن الإشراكِ باللهِ في حُكمِه، فلا يَحكُم بين النَّاسِ بغيرِ حُكمِ اللهِ.[95]

2- قِراءةُ وَلَا يُشْرِكُ بالياء والرَّفع، على الخبَرِ عن اللهِ تعالى أنَّه نفى عن أيِّ أحدٍ مِن خَلقِه إشراكَه في حُكمِه وقَضائِه، أي: لا يُشرِكُ اللهُ في حُكمِه أحدًا سواه؛ فهو المتفرِّدُ وَحدَه بالحُكمِ بين العبادِ.[96]

---

(94) قال ابنُ خالَويه: (والحُجَّةُ لِمَن قرأه بالتاءِ والجزمِ: أنَّه قصد الرَّسولَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ووجَّهَه إلى غيرِه، وجعَل «لا» للنَّهيِ؛ فجزَم بها).
((الحجة في القراءات السبع)) (ص: 223).
وقال أبو علي الفارسي: (قراءةُ ابنِ عامرٍ: وَلَا تُشْرِكْ أنت –أيُّها الإنسانُ– في حُكمِه؛ على النهيِ عن الإشراكِ في حُكمِه).
((الحجة للقراء السبعة)) (141/5).

(95) قرأ بها ابن عامر.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (310/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير السمرقندي)) (344/2)، ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه (ص: 223)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (141/5).

(96) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (310/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (234/15)، ((الكشف)) لمكي (59/2)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (141/5).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (27–29)

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27)
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا
(28) وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ
مُرْتَفَقًا (29)

غريب الكلمات:

مُلْتَحَدًا: أي: مَلجأً تَميلُ إليه، وأصلُ (لحد): يدُلُّ على مَيلٍ.

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ: الغَداةُ: أوَّلُ النَّهارِ، وأصلُ (غدو): يَدُلُّ على زَمانٍ. والعَشِيُّ: مِنْ زوالِ الشَّمْسِ إلى الصَّباحِ، وآخِرُ النَّهارِ، وأصلُ (عشو): يدُلُّ على ظَلامٍ، وقِلَّةِ وضوحِ الشَّيءِ.

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ: أي: لا تَصرِفْ عَينيك عنهم، ولا تُجاوِزْهم إلى غَيرِهم، وأصلُ (عدو): يدُلُّ على التَّجاوزِ في الشَّيءِ.

أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ: أي: شغَلْنا قلبَه، وجعَلْناه غافلًا، والغفلةُ: سهوٌ يعتري الإنسانَ مِن قلَّةِ التَّحفُّظِ والتَّيقُّظِ. وقيل: المعنى: تركناه غُفْلًا، أي: فارغًا، والغُفْلُ: الشيءُ الفارغُ، والأرضُ الغُفْلُ: التي لا علامةَ بها.

فُرُطًا: أي: سَرَفًا وتَفريطًا وضَياعًا، وهو مِنَ الإفراطِ في الشَّيءِ والتَّجاوُزِ فيه، وقيل: أصلُه مِن التفريطِ، وهو تقديمُ العَجْزِ، فمَن قدَّم العَجْزَ في أمرِه أضاعَه وأهلَكه.

سُرَادِقُهَا: أي: فُسطاطُها وسُورُها، وكُلُّ ما أحاط بشيءٍ واشتمَلَ عليه مِن ثَوبٍ أو حائطٍ، يقالُ له: سُرادِقٌ، وهو فارسيٌّ مُعَرَّب.

كَالْمُهْلِ: المُهلُ: ما انتهى حَرُّه مِمَّا أُذيبَ من النُّحاس والرَّصاصِ وأشباهِ ذلك، أو عَكَرُ الزَّيتِ، وأصلُ (مهل): يدل على جِنسٍ مِن الذَّائباتِ.

مُرْتَفَقًا: أي: مَنزِلًا، ومَقرًّا يُعَدُّ للارتفاقِ والانتفاعِ، أو مجلسًا، وأصلُ الارتفاقِ: الاتكاءُ على المِرْفقِ، وأصلُ (رفق): يدُلُّ على مُوافَقةٍ ومُقارَبةٍ بلا عنفٍ، ويُشتَقُّ منه كلُّ شيءٍ يَدْعو إلى راحةٍ وموافَقَةٍ.

تفسير الآيات:

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27).

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ.

أي: واقرأ –يا محمَّدُ– ما أوحَى اللهُ إليك مِن القرآنِ، وأبلِغْه إلى النَّاسِ، واتَّبِعْه بتصديقِ أخبارِه والعَمَلِ بما فيه، بامتثالِ أوامِرِه واجتنابِ نواهيه.

كما قال تعالى: اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ [الأنعام: 106].

وقال سُبحانه: إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ [النمل: 91– 92].

وقال عزَّ وجَلَّ: فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الزخرف: 43].

وقال جلَّ جلالُه: وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [المزمل: 4].

لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ.

أي: لا أحدَ يَستطيعُ أن يغيِّرَ كَلماتِ اللهِ[97] الشرعيةَ، فيُحَرِّفَ القرآنَ بتغييرِ أخبارِه، وتبديلِ أحكامِه، أو صرفِها عن معانيها الصَّحيحةِ،[98] ولا أن يُغيِّرَ كَلِماتِه الكونيةَ.[99]

---

(97) قال ابن الجوزي: (في قوله: لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ قولان: أحدهما: لا يَقدِرُ المُفتَرون على الزيادةِ فيها والنقصانِ منها. والثاني: لا خُلفَ لمواعيده، ولا مغيِّرَ لحُكمِه).

((تفسير ابن الجوزي)) (2/69).

ويُنظر: (2/24).

وقال ابن جرير: (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ يقول: لا مُغَيِّرَ لما أَوعَدَ بكلماتِهِ التي أنزلها عليك أهلَ معاصيه، والعاملينَ بخلافِ هذا الكتابِ الذي أوحيناه إليك).

((تفسير ابن جرير)) (15/234).

وقال ابن جُزي: (يحتملُ أن يُرادَ بالكلماتِ هنا: القرآنُ، فالمعنى: لا يُبدِّلُ أحدٌ القرآنَ ولا يغيِّره، ويحتمِلُ أن يريدَ بالكلماتِ: القَضاءَ والقدَرَ).

((تفسير ابن جزي)) (1/464).

ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (16/245).

(98) قال البقاعي: (فلا عُذرَ في التقصيرِ في إبلاغِها).

((نظم الدرر)) (12/48).

(99) يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 57).

قال ابن عثيمين: (قولُه: لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ يعني: لا أحدَ يستطيعُ أن يُبدِّلَ كلماتِه، لا الكونيةَ ولا الشرعية).

((المصدر السابق)).

وقال أيضًا: (أمَّا الشرعيَّةُ فلا أحدَ يستطيعُ شرعًا أن يبدِّلَها.

والنفيُ هنا ليس نفيًا للوجودِ، ولكنَّ النفيَ هنا للإمكانِ الشَّرعيّ، فلا أحَدَ يستطيعُ شرعًا أن يبدِّلَ كَلِماتِ اللهِ الشَّرعيَّة؛ فالواجِبُ على الجميعِ أن يستسلِموا لله، فلو قال قائلٌ: وجَدْنا من يبدِّلُ كلامَ اللهِ...

قلنا: هذا تبديلٌ شَرعيٌّ، والتبديلُ الشَّرعيُّ قد يقَعُ مِن البَشَرِ، فيُحَرِّفونَ الكلامَ عن مواضِعِه، ويفَسِّرونَ كلامَ اللهِ بما لا يريدُه اللهُ).

((المصدر السابق)).

كما قال تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ [الأنعام: 115].

وقال سُبحانَه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [الحجر: 9].

وقال عزَّ وجلَّ: وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي [يونس: 15].

وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا.

أي: ولن تَجِدَ –يا مُحمَّدُ– مِن دونِ اللهِ مَلجأً تَهْرُبُ إليه، وتحتمي به مِن العذابِ، إن أنتَ لم تتلُ القُرآنَ فتَتَّبِعْه وتُبَلِّغْه.

كما قال تعالى: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا [الجن: 22].

وقال سُبحانَه: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة: 67].

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا

(28).

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ.

أي: واحبِسْ نفسَك -يا مُحمَّدُ- مع أصحابِك الذين يَعبُدونَ رَبَّهم أوَّلَ النَّهارِ وآخِرَه، ويَدْعونَه ويَذكُرونَه مُخلِصينَ له في ذلك.[100]

كما قال تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الأنعام: 52].

وعن سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((كنَّا مع النبيِّ - ﷺ - سِتَّةَ نَفَرٍ، فقال المُشرِكونَ للنبيِّ - ﷺ -: اطرُدْ هؤلاء لا يجترئونَ علينا! قال: وكنتُ أنا وابنُ مسعودٍ، ورجلٌ مِن هُذَيل، وبِلالٌ، ورجلانِ لستُ أُسمِّيهما، فوقع في نفسِ رَسولِ الله - ﷺ - ما شاء اللهُ أن يقعَ، فحدَّث نفسَه، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الأنعام: 52])).[101]

وعن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: ((لَأنْ أقعُدَ مع قَومٍ يَذكُرونَ اللهَ تعالى مِن صَلاةِ الغَداةِ حتى تَطلُعَ الشَّمسُ، أحَبُّ إليَّ مِن أن أُعتِقَ أربعةً مِن ولَدِ إسماعيلَ، ولَأنْ أقعُدَ مع قومٍ يَذكُرونَ اللهَ مِن صلاةِ العَصرِ إلى أن تَغرُبَ الشَّمسُ، أحَبُّ إليَّ مِن أن أُعتِقَ أربعةً)).[102]

---

(100) قال ابنُ عطية (٥/ ٥٩٨): «ويدخل في الآية مَن يدعو في غير صـــلاة، ومَن يجتمع لمذاكرة علم، وقد روى عبد الله بن عمر عن النبي - ﷺ - أنه قال: «لذكر الله بالغداة والعشـــي أفضـــل من حطْم الســـيوف في ســـبيل الله، ومن إعطاء المال سَحًّا»».

(101) رواه مسلم (2413).

(102) أخرجه أبو داود (3667) واللفظ له، والطبراني في ((الدعاء)) (1878)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (561). حسَّن إسنادَه العراقي في ((تخريج الإحياء)) (54/1)، وحسَّنه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (3667).

وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أي: ولا تَصرِفْ عينَيك -يا مُحَمَّدُ- عن الذين يَعبُدونَ رَبَّهم بالغَداةِ والعَشيِّ؛ لرثاثةِ هيئتِهم وزِيِّهم، مُحتَقِرًا لهم، فتتجاوزَهم إلى أهلِ الشَّرَفِ والجاهِ، والغنَى والثروةِ، طامحًا إلى مُجالَستِهم بدلًا مِن أولئك.(103)

كما قال تعالى: لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر: 88].

وقال سُبحانَه: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى [طه: 131].

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا.

أي: ولا تُطِعْ -يا مُحَمَّدُ- من جعَلْنا قلبَه غافلًا(104) عن ذِكرِنا وعبادتِنا وعن القرآنِ، وانشغل عن ذلك بالدُّنيا.(105)

---

(103) قال القرطبي: (لم يُرِدِ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يفعلَ ذلك، ولكنَّ الله نهاه عن أن يفعلَه، وليس هذا بأكثَرَ مِن قولِه: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر: 65] وإن كان اللهُ أعاذه مِن الشِّركِ).
((تفسير القرطبي)) (391/10).

(104) قال السعدي: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا غفَلَ عن الله فعاقَبَه بأن أغفَلَه عن ذِكرِه).
((تفسير السعدي)) (ص: 475).

(105) وذهب مقاتلُ بنُ سليمان والجلال المحلي إلى أنَّ المرادَ بـ ذِكْرِنَا : القرآنُ.
يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (583/2)، ((تفسير الجلالين)) (ص: 384).
وقال ابن الجوزي: (عَنْ ذِكْرِنَا أي: عن التوحيدِ والقرآنِ والإسلامِ).

كما قال تعالى: فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [النجم: 29].

وقال عزَّ وجلَّ: وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ [الأحزاب: 1].

وقال سُبحانَه: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان: 24].

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ.

أي: وآثَرَ اتِّباعَ شَهواتِ نَفسِه، فاختار الكُفرَ والشِّركَ والمعاصيَ على الإيمانِ والتَّوحيدِ والطَّاعةِ.

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا.

أي: وكانت شُؤونُه وأعمالُه سَفَهًا وتفريطًا وضَياعًا، قد تجاوَز فيها الحَدَّ، وتقدَّم فيها على الحَقِّ، نابذًا له وراءَ ظَهرِه.(106)

((تفسير ابن الجوزي)) (3/79).

وقال ابن عثيمين: (أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا يعني: عن ذِكْرِه إيَّانا، أو عن الذِّكرِ الذي أنزَلْناه؛ فعلى الأولِ: يكونُ المرادُ الإنسانَ الذي يذكُرُ اللهَ بلسانِه دونَ قَلبِه، وعلى الثاني: يكونُ المرادُ الرجُلَ الذي أغفل اللهُ قَلبَه عن القرآنِ فلم يرفَعْ به رأسًا، ولم يَرَ في مخالفتِه بأسًا).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 62).

اختُلِف في المشار إليه بقوله: ﴿من أغفلنا قلبه﴾؛ فقال قوم: عيينة بن حصن.

وقال غيرهم: أمية بن خلف.

وقال آخرون: كل من هذه صفته.

وعلَّق ابنُ عطية (٥/ ٥٩٨) على القول الأخير الذي قاله ابن عباس، فقال: «وإنما المراد أولًا: كفار قريش؛ لأن الآية مكية».

(106) قيل: معنى قوله: وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا: تَفْريطٌ وضَياعٌ.

وممن اختار هذا المعنى: ابن كثير، والسعدي، وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/154)، ((تفسير السعدي)) (ص: 475)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 62).

ومن قال بنحوِ هذا القولِ من السلفِ: مجاهدٌ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (242/15).

وقيل: مِن الإفراطِ الذي هو مجاوزةُ الحدِّ، كقولِ الكُفَّارِ المُحتقِرينَ لفُقراءِ المؤمنين: نحن أشرافُ مُضَرَ وساداتُها، إن اتَّبعناك اتَّبَعك جميعُ الناس.

وهذا مِن التكبُّرِ والإفراطِ في القولِ.

وممن ذهب إلى هذا المعنى: ابنُ جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (243/15).

قال ابن جرير: (معناه: وكان أمرُ هذا الذي أغفَلْنا قلبَه عن ذِكرِنا في الرياءِ والكبرِ واحتقارِ أهل الإيمانِ سَــرَفًا، قد تجاوز حدَّه، فضَيَّع بذلك الحَقَّ وهَلَك).

((تفسير ابن جرير)) (243/15).

وقال الشـنقيطي بعدَ أن ذكَر كلا المعنيين: (وأظهرُ الأقوالِ في معنى الآيةِ الكريمةِ عندي بحسَب اللغة العربية التي نزل بها القرآن: أنَّ معنى قوله: فُرُطًا أي: متقدِّمًا للحقِّ والصواب، نابذًا له وراءَ ظَهرِه...

وإلى ما ذكرْنا في معنى الآية تَرجِعُ أقوالُ المفســرين كلها، كقول قتادة ومجاهد: فُرُطًا أي: ضــياعًا، وكقول مقاتل بن حيان: فُرُطًا أي: سَرَفًا، وكقول الفراء: فُرُطًا أي: متروكًا، وكقول الأخفش: فُرُطًا أي: مجاوِزًا للحدِّ، إلى غيرِ ذلك مِن الأقوالِ).

((أضواء البيان)) (3/265، 266).

وذهب البقاعي إلى نحوِ قولِ الشـنقيطي، فقال: (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا أي: مُتجاوزًا للحَدِّ مُسرِفًا فيه، متقدمًا على الحَقِّ، فيكون الحقُّ منبوذًا به وراء الظَّهرِ مُفرَّطًا فيه بالتَّقصيرِ).

((نظم الدرر)) (51/12).

اختُلِف في معنى ﴿فرطا﴾ على أربعة أقوال: الأول: ضياعًا.

والثاني: هلاكًا.

والثالث: ندمًا.

والرابع: خلافًا للحق.

ورجّح ابنُ جرير (١٥/ ٢٤٣) الجمع بين الأقوال مســتندًا إلى اللغة، فقال: «وأولى الأقوال في ذلك بالصــواب قولُ مَن قال: معناه: ضــياعًا وهلاكًا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطًا؛ إذا أســرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله: ﴿وكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في البسار والكبر واحتقار أهل الإيمان سرفًا قد تجاوز حدّه، فَضَيَّع بذلك الحقّ وهلك».

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٩٨) أن «الفرط» يحتمل أن يكون بمعنى: التفريط والتضــييع، أي: أمره الذي يجب أن يلتزم، ويحتمل أن يكون بمعنى: الإفراط والإسراف، أي: أمره وهواه الذي هو بسبيله.

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29).

ثم قال: «قد فسَّره المتأولون بالعبارتين: أعني: التضييع والإسراف، وعبر خباب عنه بالهلاك، وداود بالندامة، وابن زيد بالخلاف للحق، وهذا كله تفسير بالمعنى».

ورأى ابنُ القيم (٢/ ٢٦٠) تقارب الأقوال، فقال بعد سردها: «وكلها أقوال متقاربة»

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي: وقُلْ -يا محمَّدُ- مُعلِنًا:[107] هذا الذي جِئتُكم به مِن عندِ رَبِّكم هو الحقُّ بلا شَكٍّ، فلا تطلُبوه مِن غَيرِه؛ فهو وَحدَه الذي يَهدي إليه مَن يَشاءُ مِن عِبادِه، ويُضِلُّ مَن يشاءُ منهم.[108]

---

(107) قيل: المرادُ: أن يقولَ للذين أغفلَ اللهُ قلوبَهم عن ذِكرِه، واتَّبعوا أهواءَهم.

وممن قال بذلك: ابنُ جرير، والقرطبي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (244/15)، ((تفسير القرطبي)) (393/10).

وقيل: المرادُ: أن يقولَ للنَّاسِ.

وممن قال بذلك: ابنُ كثير، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (154/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 475)، ((أضواء البيان)) (266/3).

(108) قال القرطبي: (فاللهُ يؤتي الحَقَّ مَن يشاءُ وإن كان ضعيفًا، ويَحرِمُه مَن يشاءُ وإن كان قويًّا غنيًّا، ولستُ بطاردِ المؤمنينَ لِهواكم).

((تفسير القرطبي)) (393/10).

وقال الشنقيطي: (وفي إعرابِه وجهانِ؛ أحدُهما: أنَّ الحَقُّ مبتدأٌ، والجارَّ والمجرورَ خبَرُه، أي: الحقُّ الذي جئتُكم به في هذا القرآنِ العظيمِ، المتضَمِّنُ لدينِ الإسلامِ: كائنٌ مبدؤه مِن ربِّكم جلَّ وعلا؛ فليس من وحيِ الشَّيطانِ، ولا مِن افتراءِ الكَهَنةِ، ولا مِن أساطيرِ الأوَّلينَ، ولا غيرِ ذلك.

بل هو مِن خالِقِكم جلَّ وعلا، الذي تلزَمُكم طاعتُه وتوحيدُه، ولا يأتي مِن لَدُنْه إلَّا الحَقُّ الشامِلُ للصِّدقِ في الأخبارِ، والعَدلِ في الأحكامِ، فلا حَقَّ إلَّا منه جلَّ وعلا.

الوجه الثاني: أنَّه خبَرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أي: هذا الذي جئتُكم به الحَقُّ).

((أضواء البيان)) (266/3).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (52/12).

وممَّن ذهب إلى المعنى الأولِ: ابنُ جرير، والقرطبي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (244/15)، ((تفسير القرطبي)) (393/10).

وممَّن ذهب إلى المعنى الثاني: الزجَّاجُ، وابنُ كثير، والسعدي.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (281/3)، ((تفسير ابن كثير)) (154/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 475).

قال الشوكاني: (أي: قُلْ لهم: إنَّ ما أُوحِيَ إليك، وأُمِرتَ بتلاوتِه: هو الحَقُّ الكائنُ مِن جهةِ اللهِ، لا مِن جهةِ غَيرِه حتى يمكِنَ فيه التَّبديلُ والتغييرُ).

فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.

أي: فإنْ شِئتُم فآمِنوا، وإن شِئتُم فاكفُروا؛ فإن اختَرتُم الإيمانَ فلكم الجنَّةُ، وإن اختَرْتُم الكُفرَ فقد أُعِدَّت لكم النَّارُ.(109)

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا.

أي: إنَّا أعدَدْنا وأرصَدْنا وهيَّأْنا للكافرينَ نارًا يُحيطُ بهم سُورُها مِن كُلِّ جانبٍ، فلا سبيلَ لهم إلى الخُروجِ منها.(110)

((تفسير الشوكاني)) (334/3).
ويُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (146/3).
(109) والمرادُ مِن الأمرِ هنا: التهديدُ والتَّخويفُ والوعيدُ الشديدُ، لا التخييرُ بينَ الكفرِ والإيمانِ.
وممن نصَّ على ذلك: ابنُ جرير، والقرطبي، وابنُ كثير، والسعدي، والشنقيطي.
يُنظر: المصادر السابقة.
ذكر ابنُ عطية (٥/ ٥٩٩) أن الآية تهديد ووعيد.
ثم ذكر قولًا مفاده أنّ المعنى: من شاء الله إيمانه فليؤمن، ومن شاء الله كفره فليكفر.
ووجَّهه بقوله: «وهو متوجه، أي: فحقه الإيمان وحقه الكفر، ثم عبّر عن ذلك بلفظ الأمر إلزامًا وتحريضًا، ومن حيث للإنسان في ذلك التكسُّب الذي به يتعلق ثواب الإيمان وعقاب الكفر».
(110) وممن قال بأنَّ المرادَ بسُرادقِها: سورُها: يحيى بن سلام، وابنُ أبي زَمَنين، وابنُ كثير، والسعدي.
يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (182/1)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (385/1)، ((تفسير ابن كثير)) (154/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 475).
وممن قال بنحوِ هذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عبَّاسٍ.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (246/15).
قال الشنقيطي: (أمَّا المرادُ بالسُّرادِقِ في الآيةِ الكريمةِ، ففيه للعُلَماءِ أقوالٌ مَرجِعُها إلى شَيءٍ واحدٍ، وهو إحداقُ النَّارِ بهم من كلِّ جانبٍ، ...

كما قال تعالى: وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: 254].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان: 13].

وقال عزَّ وجلَّ: وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا [الإنسان: 31].

وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ.

فمعنى الآية الكريمة: أنَّ النَّارَ مُحيطةٌ بهم من كلِّ جانبٍ، كما قال تعالى: لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ [الأعراف: 41]، وقال: لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ [الزمر: 16]، وقال: لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ [الأنبياء: 39]، إلى غيرِ ذلك مِنَ الآياتِ).

((أضواء البيان)) (3/268-269).

أي: وإنْ يَطلُبِ الكافِرونَ المعذَّبونَ في النَّارِ الماءَ؛ مِن شِدَّةِ عَطَشِهم، يُؤتَوا بماءٍ مُنتِنٍ غَليظٍ أسودَ، غاية في الحرارةِ، يشوي وُجوهَهم(111)؛ مِن شِدَّةِ حَرِّه.(112)

---

(111) قال البقاعي: (يَشْوِي الْوُجُوهَ أي: إذا قُرِّب إلى الفَمِ، فكيف بالفَمِ والجوفِ؟!).

((نظم الدرر)) (54/12).

وبنحو ذلك قال ابنُ كثير، والسعدي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (155/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 475)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 63).

اختلف في تفسير «المُهل» على ثلاثة أقوال: الأول: ما أذيب وانماع.

والثاني: الدم والقيح الأسود.

والثالث: ما انتهى حرُّه.

ورأى ابنُ جرير (١٥/ ٢٥٠) تقارب الأقوال بدلالة العقل، فقال: «وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها فمتقاربات المعنى، وذلك أنّ كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرُّه، وأن ما أُوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدُرْدِيّ الزيت فقد انتهى أيضًا حرُّه».

وبنحوه ابنُ كثير (٩/ ١٣٣)، فقال: «وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر، فإنّ المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود مُنتِن غليظ حارٌّ؛ ولهذا قال: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾، أي: مِن حرّه».

(112) قال ابنُ جرير بعدَ أن ذكَر جملةً مِن الأقوالِ في معنَى المُهْلِ: (وهذه الأقوالُ وإن اختلَفت بها ألفاظُ قائليها، فمتقارباتُ المعنى؛ وذلك أنَّ كُلَّ ما أُذيبَ مِن رَصاصٍ أو ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ فقد انتهى حَرُّه، وأنَّ ما أُوقِدَت عليه من ذلك النَّارُ حتى صار كدُرديِّ الزيتِ، فقد انتهى أيضًا حَرُّه...

فالمُهْلُ إذَن هو كُلُّ مائعٍ قد أوقِدَ عليه حتى بلغَ غايةَ حَرِّه، أو لم يكُنْ مائعًا فانماعَ بالوُقودِ عليه، وبلغ أقصى الغايةِ في شِدَّةِ الحَرِّ).

((تفسير ابن جرير)) (251-250/15).

وقال الشنقيطي: (المهلُ في اللغةِ: يطلقُ على ما أُذيبَ مِن جواهرِ الأرضِ، كذائبِ الحديدِ والنحاسِ، والرصاصِ ونحوِ ذلك.

ويُطلقُ أيضًا على دُرْدِيِّ الزيتِ وهو عكرُه.

والمراد بالمهلِ في الآيةِ: ما أُذيب مِن جواهرِ الأرضِ.

وقيل: دُردي الزيتِ.

وقيل: هو نوعٌ مِن القطرانِ.

وقيل: السمُّ).

((أضواء البيان)) (269/3).

ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) (394/10- 395)، ((تفسير ابن كثير)) (154/5-155).

بِئْسَ الشَّرَابُ.

أي: بئسَ شَرابُ الكافرينَ هذا الماءُ الذي يُؤتَونَ به، فيكونُ زيادةً في عقابِهم.

وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا.

أي: وقبُحَت جهنَّمُ مُقامًا يَستَقِرُّ فيه الكافِرونَ.

كما قال تعالى: إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [الفرقان: 66].

وقال ابنُ كثيرٍ بعدَ أن ذكَر أقوالَ السلفِ في معنى المهلِ، قال: (وهذه الأقوالُ ليس شيءٌ منها ينفي الآخرَ، فإنَّ المهلَ يجمعُ هذه الأوصافَ الرَّذيلةَ كُلَّها، فهو أسودُ مُنْتِنٌ غليظٌ حارٌّ).

((تفسير ابن كثير)) (155/5).

سورةُ الكَهفِ

الآيتان (30-31)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ
جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا
مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)

غريب الكلمات:

أَسَاوِرَ: جمعُ أسورةٍ، وأسورةٌ جمعُ سِوارٍ، وهو الذي يُلبَسُ في الذِّراعِ مِن ذهبٍ.

سُنْدُسٍ: أي: رَقيقِ الحَريرِ.

وَإِسْتَبْرَقٍ: أي: غليظِ الحريرِ.

الْأَرَائِكِ: أي: جمعُ أريكةٍ، وهي السريرُ في الحجالِ، وأصلُ (أرك) هنا: إقامةٌ، سُمِّيت بذلك؛ لكونِها مكانًا للإقامةِ.

تفسير الآيتين:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30).

أي: إنَّ الذين آمَنوا بكُلِّ ما يجِبُ عليهم الإيمانُ به، وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالحاتِ، إنَّا لا نُضيعُ جَزاءَهم؛ لأنَّهم أحسَنوا عَمَلَهم، ولا نُضيعُ جزاءَ كُلِّ مَن أحسَنَ عمَلَه كذلك، فجعَلَه خالِصًا لله، واتَّبع فيه شَرْعَه على هَدْيِ رَسولِه.

كما قال تعالى: فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى [آل عمران: 195].

وقال سُبحانَه: إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ [التوبة: 120].

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31).

أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ.

أي: أولئك -الذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ- لهم بساتينُ إقامةٍ دائِمةٍ، تجري الأنهارُ الكَثيرةُ بينَ أيديهم مِن تَحتِ غُرَفِهم ومَنازِلِهم وأشجارِهم.

كما قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التوبة: 72].

يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ.

أي: يُزيَّنُ المؤمنونَ في الجنَّةِ بأساورَ مِن ذَهَبٍ في أيديهم.(113)

وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ.

أي: ويَلبَسونَ ثيابًا خَضراءَ مِن الحريرِ الرَّقيقِ، ومِنَ الحَريرِ الغليظِ.(114)

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ.

أي: والحالُ أنَّهم متَّكِئونَ(115) في الجنَّةِ على السُّررِ المزيَّنةِ المغطَّاةِ بقُبَّةٍ مِن الثِّيابِ الفاخِرةِ.

---

(113) قال ابن عثيمين: (مِنْ في مِنْ أَسَاوِرَ إمَّا أن تكون للتبعيض: أي يُحلَّونَ فيها بعضَ أساوِرَ، أي: يُحلَّى كلُّ واحدٍ منهم شَيئًا من هذه الأساورِ، وحينئذٍ لا يكونُ إشكالٌ، وإمَّا أن تكون «للبيان» أي: بيان ما يُحلَّون، وهو أساوِرُ، وليس قلائِدَ أو خُروصًا مثلًا، وأما قولُه: مِنْ ذَهَبٍ فهي بيانيَّة، أي: لبيان الأساورِ أنَّها مِن ذَهَبٍ).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 66).

(114) قال ابن عاشور: (السندسُ: صِنفٌ مِن الثياب، وهو الدِّيباجُ الرَّقيقُ يُلبَسُ مُباشرًا للجِلدِ؛ ليقيَه غِلَظَ الإستبرق. والإستبرق: الدِّيباجُ الغَليظُ المنسوجُ بخُيوطِ الذهب، يُلبَسُ فوق الثيابِ المباشِرةِ للجِلدِ).

((تفسير ابن عاشور)) (313/15).

(115) قال ابنُ كثير: (قولُه: مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ الاتكاءُ: قيل: الاضطجاعُ. وقيل: التربُّعُ في الجلوس، وهو أشبَهُ بالمراد هاهنا، ومنه الحديثُ في الصحيح: «أمَّا أنا، فلا آكُلُ مُتَّكِئًا» فيه القولان).

((تفسير ابن كثير)) (156/5).

وقال البقاعي: (استأنفَ الوَصفَ عن حالِ جُلوسِهم فيها بأنَّه جُلوسُ الملوكِ المتمكِّنينَ مِن النَّعيمِ، فقال تعالى: مُتَّكِئِينَ فِيهَا أي: لأنَّهم في غايةِ الرَّاحةِ).

كما قال تعالى: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ [يس: 55- 56].

نِعْمَ الثَّوَابُ.

أي: نِعمَ ثَوابُ المؤمنينَ تلك الجنَّاتُ التي وصَفَ اللهُ بعضَ نَعيمِها؛ جزاءً لهم على أعمالِهم الصَّالحةِ.

وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا.

أي: وحسُنَت تلك الجنَّاتُ مُقامًا ومَنزِلًا يَستَقِرُّ فيه الذين آمَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ.

قال تعالى: أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا [الفرقان: 75- 76].

وقال عزَّ وجلَّ: أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا [الفرقان: 24].

((نظم الدرر)) (55/12).

وقال ابن عثيمين: (الاتكاءُ يدُلُّ على راحةِ النَّفسِ وعلى الطُّمأنينةِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 67).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (32–34)

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34)

غريب الكلمات:

حَفَفْنَاهُمَا: أي: أحَطْناهما مِن جوانِبِهما، والحَفُّ: الإطافةُ بالشَّيءِ، يقالُ: حَفَّ القَومُ بسَيِّدهم: إذا أطافُوا به، وأصلُ (حف): يدُلُّ على إطافةِ شَيءٍ بشَيءٍ.

أُكُلَهَا: أي: ثَمَرَها، وما يُؤكَلُ منها، وسُمِّي الثَّمرُ أُكُلًا؛ لأنَّه يُؤْكَلُ، وأصْلُ (أكل): التَّنَقُّصُ.

تَظْلِمْ: أي: تَنقُصْ، والظُّلمُ: وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعِه المختَصِّ به، إمَّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإمَّا بعدولٍ عن وقتِه أو مكانِه، وأصلُ (ظلم): وضعُ الشَّيءِ غيرَ موضعِه تعدِّيًا.

نَفَرًا: أي: عَشيرةً وأعوانًا، والنَّفَرُ: ما بين الثلاثةِ إلى العَشرةِ، وأصلُ (نفر): يدلُّ على تجافٍ وتباعُدٍ، وسُمُّوا نَفَرًا؛ لأنَّهم يَنفِرونَ للنُّصرةِ.

تفسير الآيات:

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32).

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ.

أي: واذكُرْ –يا مُحَمَّدُ– لهؤلاء المُشرِكينَ المُستَكبرينَ، الذين سألوك أن تطرُدَ الضُّعَفاءَ والمَساكينَ الذين يَدْعونَ رَبَّهم بالغَداةِ والعَشيِّ ابتغاءَ وَجهِه؛ اذكُرْ لهم مَثَلًا[116] قِصَّةَ رَجُلَينِ[117] أحَدُهما مؤمِنٌ، والآخَرُ كافِرٌ؛ لِيَعتَبِروا بحالِهما، ويتَّعِظوا بما جرَى لهما.

جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ.

---

(116) قال القرطبي: (هذا مَثَلٌ لِمَن يتعَزَّزُ بالدنيا ويستنكِفُ عن مجالسةِ المؤمنين، وهو متَّصِلٌ بقولِه: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ).
((تفسير القرطبي)) (10/399).
ويُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (3/338).

(117) قال الشوكاني: (وقد اختُلِف في الرَّجلَينِ هل هما مُقدَّرانِ أو مُحقَّقانِ؟ فقال بالأوَّلِ بعضُ المفسِّرين.
وقال بالآخرِ بعضٌ آخرُ.
وَاخْتلفوا في تعيينِهما).
((تفسير الشوكاني)) (3/338).
ويُنظر: ((تفسير الماوردي)) (3/305)، ((تفسير القرطبي)) (10/401).
قال السعدي: (ليس معرفةُ أعيانِ الرَّجُلينِ، وفي أيِّ زمانٍ أو مكانٍ هما، فيه فائدةٌ أو نتيجةٌ؛ فالنتيجةُ تحصُلُ مِن قِصَّتِهما فقط، والتعَرُّضُ لِما سوى ذلك مِن التكلُّف).
((تفسير السعدي)) (ص: 476).

أي: جعَلْنا لأحدِ هذينِ الرَّجُلينِ -وهو الكافرُ- بُستانَينِ مِن أعنابٍ.

وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ.

أي: وأحَطْنا هذينِ البُستانَينِ بنَخلٍ يُحدِقُ بهما.

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا.

أي: وجعَلْنا وَسْطَ بُستانَيِ العِنَبِ زَرعًا.(118)

كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33).

كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا.

أي: كِلا البُستانَينِ أخرجَ ثِمارَه دونَ أن يَنقُصا منها شيئًا.

وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا.

أي: وأجرَيْنا وشَقَقْنا خِلالَ هذينِ البُستانَينِ نَهرًا بين أشجارِهما.

---

(118) قال ابنُ عاشور: (وظاهِرُ الكلامِ أنَّ هذا الزَّرْعَ كانَ فاصلًا بينَ الجنَّتينِ).
((تفسير ابن عاشور)) (317/15).
وقد أعلَمَ اللهُ سُبحانَه وتعالى أنَّ عِمارتَهما كامِلةٌ متَّصِلةٌ، لا يَفصِلُ بينهما إلَّا عِمارةٌ، فلم يكُنْ بين الجنَّتينِ مَوضِعُ خَرابٍ، وقد جعَلَها أرضًا جامِعةً للأقواتِ والفواكِهِ، مع الشَّكلِ الحسَنِ، والترتيبِ الأنيقِ.
يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (284/3)، ((تفسير الرسعني)) (285/4)، ((تفسير الشوكاني)) (338/3).
وقيل: معنى وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا أي: بينَ النخلِ والأعنابِ.
يُنظر: ((تفسير الخازن)) (164/3).

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34).

وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ.

أي: وكان لصاحِبِ الجَنَّتَينِ ثمارٌ عظيمةٌ منهما.(119)

القراءات ذات الأثر في التفسير:

في قوله تعالى: ثَمَرٌ ثلاثُ قراءاتٍ:

1- ثَمَرٌ، بفتحِ الثَّاءِ والمِيمِ في الحرفينِ؛ جمعُ ثَمَرَةٍ، كبَقَرةٍ وبَقَرٍ، الفرقُ بينَ الواحِدِ والجمعِ إسقاطُ الهاءِ.(120)

2- ثُمْرٌ، بضمِّ الثاءِ، وإسكانِ الميمِ، جمعُ ثَمَرَةٍ، كبَدَنَةٍ وبُدْنٍ، ويجوزُ أن يكونَ جمعَ ثمارٍ، كما يُخَفَّفُ (كُتْب).(121)

---

(119) ممن قال بأنَّ المرادَ بالثمرِ هاهنا: الثمارُ المعروفةُ، وهي ما يخرجُه الشجرُ مِن الثمارِ المأكولةِ: ابنُ جريرٍ، وابنُ القيِّمِ، وابنُ كثيرٍ، والسعدي.

يُنظر: المصادر السابقة.

(120) قرأ بها عاصمٌ، وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (310/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 416).

(121) قرأ بها أبو عمرٍو.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (310/2).

ويُنظر: لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 416).

3- ثُمُرٌ، بضمِّ الثاءِ والميمِ، جمعُ ثمارٍ، كقولِك: كتابٌ وكُتُبٌ، قيل: معناها الأموالُ، وقيل: الأصولُ التي تحملُ الثمرةَ.(122)

فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا.

---

(122) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (310/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 416)، ((البسيط)) للواحدي (11/14)، ((الدر المصون)) للسمين الحلبي (81/5).

ونسَب الواحدي القولَ بأنَّ المرادَ بها: الأموالُ إلى أكثرِ المفسرينَ.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (12/14).

قال العليمي: (مَن قرَأ بالضمِّ، فهي الأموالُ الكثيرةُ المثمرةُ مِن كلِّ صنفٍ، جمعُ ثمارٍ، ومَن قرَأ بالفتحِ، جمعُ ثمرةٍ، وما يخرجُه الشجرُ مِن الثمارِ المأكولةِ).

((تفسير العليمي)) (175/4).

وقال الرازي: (ذكَر أهلُ اللُّغةِ: أنَّه بالضَّمِّ: أنواعُ الأموالِ مِن الذَّهبِ والفضَّةِ وغيرِهما، وبالفتحِ: حَمْلُ الشَّجرِ).

((تفسير الرازي)) (463/21).

وقال ابنُ عطية: (اختلف المتأوِّلونَ في «الثمر» بضمِّ الثاءِ والميمِ؛ فقال ابنُ عباسٍ وقتادةُ: «الثمر»: جميعُ المالِ مِن الذهبِ والفضةِ والحيوانِ وغيرِ ذلك...

وقال ابنُ زيدٍ: «الثمر» هي الأصولُ التي فيها الثمرُ...

وأمَّا مَن قرَأ بفتحِ الثاءِ والميمِ، فلا إشكالَ في أنَّ المعنى ما في رؤوسِ الشجرِ مِن الأُكُلِ، ولكن فصاحة الكلامِ تقتضي أن يعبَّر إيجازًا عن هلاكِ الثمرِ والأصولِ بهلاكِ الثمرِ فقط، فخصَّصها بالذكرِ؛ إذ هي مقصودُ المستغلِّ، وإذ هلاكُ الأصولِ إنما يسوءُ منه هلاكُ الثمرِ الذي كان يُرجَى في المستقبلِ، كما يقتضي قولُه: «إنَّ له ثمرًا» أنَّ له أصولًا، كذلك تقتضي الإحاطةُ المطْلقةُ بالثمرِ أنَّ الأصولَ قد هلَكت).

((تفسير ابن عطية)) (516/3).

أي: فقال مالِكُ الجَنَّتَينِ الكافِرُ لصاحِبِه[123] المؤمِنِ -المجعولِ مَثَلًا لفُقَراءِ المؤمنينَ- وهو يُراجِعُه في الكلامِ ويُخاطِبُه، ويجادِلُه تكبُّرًا وافتخارًا عليه، وتقبيحًا لحالِه بالنِّسبةِ إليه: لي من المالِ أكثَرُ مِمَّا تَملِكُ، وأنا أكثَرُ منك أُناسًا يَنصُرونَني فيقومونَ معي في المُهِمَّات، ويَنفِرونَ عند الضَّروراتِ؛ مِن وَلَدٍ أو عشيرةٍ، أو خَدَمٍ وأتباعٍ.

---

(123) قال ابن عاشور: (و«الصَّاحِبُ» هنا بمعنى المقارِنِ في الذِّكرِ؛ حيث انتظمَهما خبرُ المَثَلِ، أو أُريدَ به الملابِسُ المخاصِمُ... والمرادُ بالصَّاحِبِ هنا الرجُلُ الآخَرُ مِن الرَّجُلين، أي: فقال مَن ليس له جنَّاتٌ في حوارٍ بينهما، ولم يتعلَّق الغَرَضُ بذِكرِ مكانِ هذا القَولِ ولا سَبَبِه؛ لعَدَمِ الاحتياجِ إليه في الموعِظةِ).
((تفسير ابن عاشور)) (319/15).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (35–41)

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ
بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي
أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ
مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40)
أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41)

غريب الكلمات:

تَبِيدَ: أي: تَفنى وتَخرَبُ، وأصلُ (بيد): يدُلُّ على هَلاكِ الشَّيءِ.

مُنْقَلَبًا: أي: مَرجِعًا وعاقِبةً، وأصلُ (قلب): يدُلُّ على ردِّ الشَّيءِ.

حُسْبَانًا: أي: مَرامِيَ يُرمَى بها مِن عذابِه؛ إمَّا حجارةً، وإما نارًا أو غيرَ ذلك مِن أنواعِ العذابِ، واحِدُها حُسبانةٌ، والحُسبانُ أيضًا: العَذابُ والسِّهامُ القِصارُ.

زَلَقًا: أي: مَلساءَ، لا تَثبُتُ فيها قَدَمٌ، وأصلُ (زلق): يدُلُّ على تزلُّجِ شَيءٍ عن مَقامِه.

غَوْرًا: أي: غائِرًا ذاهِبًا في الأرضِ، وأصلُ (غور): يدلُّ على خُفوضٍ في الشَّيءِ وانحِطاطٍ.

تفسير الآيات:

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35).

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ.

أي: ودخل الرَّجُلُ[124] بُستانَه والحالُ أنَّه ظالمٌ لِنَفسِه بالكُفرِ باللهِ وتَكبُّرِه وتجبُّرِه، وإنكارِه البَعثَ يومَ القيامةِ.

قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا.

أي: قال: ما أظُنُّ أن تفنى وتضمَحِلَّ جنَّتي هذه أبدًا![125]

---

(124) قال الشوكاني: (قال المفسِّرونَ: أخَذ بيدِ أخيه المسلمِ، فأدْخَله جَنَّتَه يطوفُ به فيها، ويُرِيه عجائِبَها).
((تفسير الشوكاني)) (339/3).
وقال ابنُ عاشورٍ: (جملةُ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ في موضِعِ الحالِ مِن ضميرِ قَالَ، أي: قال ذلك وقد دخل جنَّتَه مُرافِقًا لصاحِبِه، أي: دخَلَ جَنَّتَه بصاحِبِه، كما يدُلُّ عليه قَولُه: قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا [الكهف: 35] ؛ لأنَّ القَولَ لا يكونُ إلَّا خِطابًا لآخَرَ، أي: قال له، ويدُلُّ عليه أيضًا قولُه: قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ [الكهف: 37] ، ووقوعُ جوابِ قَولِه: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا [الكهف: 34] في خلالِ الحوارِ الجاري بينهما في تلك الجنَّةِ).
((تفسير ابن عاشور)) (320/15).
(125) وممَّن قال بأنَّ الإشارةَ في قوله هَذِهِ إلى جنَّتِه: ابن جرير، وابن كثير، والشوكاني، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.
يُنظر: المصادر السابقة.
وقيل: الإشارةُ ترجِعُ إلى الدنيا، فيكون الرجلُ مُنكِرًا لفناءِ الدُّنيا.
وممَّن ذهب إلى ذلك: الواحدي، والقرطبي.
يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (15/14)، ((تفسير القرطبي)) (404/10).
قال ابنُ جُزي: (يحتملُ أن تكونَ الإشارةُ إلى السَّمواتِ والأرض وسائرِ المخلوقاتِ، فيكون قائلًا ببقاءِ هذا الوجودِ، كافرًا بالآخرة، أو تكونَ الإشارةُ إلى جنَّته، فيكون قولُه إفراطًا في الاغترارِ، وقِلَّةِ التَّحصيل).

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36).

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً.

أي: وما أظُنُّ القِيامةَ كائِنةً؛ فلا يُوجَدُ بَعثٌ ولا حِسابٌ ولا جَزاءٌ!

وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا.

أي: ولو قُدِّرَ وافتُرِضَ أنَّي رُجِعْتُ إلى ربِّي فبعَثَني بعد موتي، لَأُعطَيَنَّ في الآخرةِ جَنَّةً خيرًا مِن هذه الجنَّةِ التي أعطانيها في الدُّنيا؛ لأنَّه لم يُعطِني هذه إلَّا لأني أستحِقُّها ولي عنده حُظوةٌ ومكانةٌ، فكذلك يكون حالي في الآخرةِ على تقديرِ وُجودِها![126]

((تفسير ابن جزي)) (1/466).

(126) قال السعدي: (هذا لا يخلو من أمرَين: إمَّا أن يكونَ عالِمًا بحقيقةِ الحالِ، فيكونَ كَلامُه هذا على وَجهِ التهَكُّمِ والاستهزاءِ، فيكونَ زيادةَ كُفرٍ إلى كُفرِه، وإما أن يكونَ هذا ظَنَّه في الحقيقةِ، فيكونَ مِن أجهَلِ النَّاسِ، وأبخَسِهم حظًّا من العَقلِ؛ فأيُّ تلازمٍ بين عطاءِ الدنيا وعطاءِ الآخرة، حتى يَظُنَّ بجَهلِه أنَّ مَن أعطِيَ في الدنيا أعطِيَ في الآخرةِ؟! بل الغالِبُ أنَّ اللهَ تعالى يزوي الدُّنيا عن أوليائِه وأصفيائِه، ويوسِّعُها على أعدائِه الذين ليس لهم في الآخِرةِ نصيبٌ، والظَّاهِرُ أنَّه يعلَمُ حَقيقةَ الحالِ، ولكِنَّه قال هذا الكلامَ على وَجهِ التهَكُّمِ والاستهزاءِ، بدليلِ قَولِه: وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ؛ فإثباتُ أنَّ وَصْفَه الظُّلمُ في حالِ دخولِه الذي جرى منه من القَولِ ما جرى: يدُلُّ على تمرُّدِه وعِنادِه).

((تفسير السعدي)) (ص: 477).

وقال ابن عثيمين: (فكأنَّه يقولُ: بما أنَّ اللهَ أنعم عليَّ بالدُّنيا، فلا بُدَّ أن يُنعِمَ عليَّ بالآخرة.

وهذا قياسٌ فاسِدٌ؛ لأنَّه لا يلزَمُ مِن التَّنعيمِ في الدُّنيا أن يُنعَّمَ الإنسانُ في الآخرةِ، ولا مِن كَونِ الإنسانِ لا يُنَعَّمُ في الدنيا ألَّا ينَعَّمَ في الآخرةِ؛ لا تلازُمَ بين هذا وهذا، بل إنَّ الكُفَّارَ ينعَّمونَ في الدُّنيا وتُعَجَّلُ لهم طيِّباتُهم في حياتِهم الدُنيا، ولكِنَّهم في الآخرة يعذَّبونَ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 70).

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37).

أي: قال له صاحِبُه المؤمنُ وهو يخاطِبُه ويكلِّمُه: أكفَرْتَ باللهِ الذي خلقَ أصلَك آدَمَ مِن تُرابٍ، ثمَّ أنشأك مِن مَنِيٍّ، ثمَّ عَدَلَك وكَمَّلك، فصَيَّرك رجُلًا سَوِيًّا مُعتَدِلَ القامةِ والخِلْقةِ، صحيحَ الأعضاءِ؟! فالذي خلَقَك كذلك قادِرٌ على البَعثِ الذي أنت تُنكِرُه![127]

كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ [الحج: 5].

وقال سُبحانَه: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ [الروم: 20].

وقال عزَّ وجلَّ: وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ [السجدة: 7-8].

---

(127) قال الرازي: (هذا الاستِدلالُ يحتَمِلُ وَجهَينِ: الأوَّلُ: يرجِعُ إلى الطريقةِ المذكورةِ في القُرآنِ، وهو أنَّه تعالى لَمَّا قَدَر على الابتداءِ وجَب أن يقدِرَ على الإعادةِ؛ فقولُه: خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا إشارةٌ إلى خَلقِ الإنسانِ في الابتداءِ.

الوجه الثاني: أنَّه لَمَّا خَلَقَك هكذا فلم يخلُقْك عبثًا، وإنما خلَقَك للعبوديةِ، وإذا خلَقَك لهذا المعنى وجَبَ أن يحصُلَ للمُطيعِ ثوابٌ، وللمذنِبِ عِقابٌ... ويدُلُّ على هذا الوَجهِ قولُه: ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا أي: هيَّأك هيئةً تَعقِلُ وتَصلُحُ للتَّكليفِ، فهل يجوزُ في العَقلِ مع هذه الحالةِ إهمالُه أمْرَك؟!).

((تفسير الرازي)) (21/464).

وقال تعالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 12 – 14].

وقال عزَّ وجلَّ: الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ [الانفطار: 7، 8].

وقال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين: 4].

لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38).

أي: لكِنْ أنا لا أكفُرُ ولا أقولُ مِثلَ قَولِك، بل أقولُ: الذي يستَحِقُّ العبادةَ وَحدَه، هو الله ربِّي، ولا أعبُدُ أحدًا غَيرَه.(128)

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39).

---

(128) قال الفراء: (قَولُه: لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي معناه: لكِنْ أنا هو اللهُ ربي، تُرِك همزةُ الألفِ مِن «أنا»، وكثُرَ بها الكلامُ، فأُدغِمَت النونُ مِن «أنا» مع النونِ مِن «لكِنْ»).

((معاني القرآن)) (144/2).

ويُنظر: ((مجاز القرآن)) لأبي عبيدة (403/1).

قال الشوكاني: (وضميرُ هُوَ للشَّأنِ، والجملةُ بعدَه خبرُه، والمجموعُ خبرُ «أنا»، والرَّاجعُ ياءُ الضَّميرِ، وتقديرُ الكلامِ: لكنَّ أنا الشَّأنُ اللَّهُ رَبِّي).

((تفسير الشوكاني)) (340/3).

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ.

أي: وهلَّا إذ دخلتَ بُستانَك قلتَ حين أعجَبَك: ما شاءَ اللهُ.[129]

لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

أي: وهَلَّا قُلتَ: لا قُوَّةَ لي على شَيءٍ إلَّا بإعانةِ اللهِ لي، ومِن ذلك إنشاءُ الجنَّتَينِ وعِمارتُهما، وتدبيرُ أمرِهما.

عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم: ((يا عبدَ اللهِ بنَ قَيسٍ، ألَا أعَلِّمُك كَلِمةً هي مِن كُنوزِ الجنَّةِ؟ لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا باللهِ)).[130]

إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا.

---

(129) قال الزمخشري: (مَا شَاءَ اللَّهُ يجوزُ أن تكونَ مَا موصولةً مرفوعةَ المحلِّ على أنَّها خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديرُه: الأمرُ ما شاء اللهُ.

أو شرطيَّةً منصوبةَ الموضعِ، والجزاءُ محذوفٌ، بمعنى: أيَّ شَيءٍ شاء اللهُ كان).

((تفسير الزمخشري)) (723/2).

وممن اختار المعنى الأولَ: الزجاج.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) (288/3).

وممن اختار المعنى الثاني: ابنُ جرير، وابنُ تيمية.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (264/15)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (321/13).

(130) رواه البخاري (6610) واللفظ له، ومسلم (2704).

أي: قال الرجُلُ المؤمِنُ للكافِرِ: إنْ رأيتَني أقَلَّ منك مالًا وأولادًا، فتكبَّرْتَ وافتخَرْتَ بذلك عليَّ واحتقَرْتَني.

فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40).

فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ.

أي: فلعَلَّ[131] ربِّي أن يرزُقَني لإيماني خيرًا مِن بُستانِك الذي تفتَخِرُ به عليَّ.[132]

---

(131) قولُه تعالى: فَعَسَـــى رَبِّي يحتَمِلُ أحدَ معنَيَينِ: الأول: الترجِّي، وأنَّ هذا دعا أن يؤتيَه اللهُ خيرًا مِن جَنَّته، وأن يُنْزِلَ عليها حُسبانًا من السَّماءِ؛ لأنَّه احتَقَره واستذَلَّه، فدعا عليه بمِثلِ ما فَعَلَ به من الظُّلم.

الثاني: التوقُّع، والمعنى أنَّك إن كنتَ ترى هذا فإنَّه يُتوقَّعُ أنَّ اللهَ تعالى يُزيلُ عني ما عِبْتَني به، ويُزيلُ عنك ما تفتخِرُ به.

وأيًّا ما كان فالأمرُ وقَع؛ إمَّا استجابةً لدعائِه، وإمَّا تحقيقًا لتوقُّعِه.

يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 73- 74).

وذهب البِقاعي إلى أنَّه دعاءٌ بصورةِ التوقُّعِ.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (12/63).

قال ابنُ عاشور: (وعَسَى للرَّجاءِ، وهو طلبُ الأمرِ القريبِ الحصولِ.

ولعلَّه أرادَ به الدُّعاءَ لنفسِه وعلى صاحِبِه).

((تفسير ابن عاشور)) (15/324).

(132) قال الماوَرْدي: (فيه وجهان: أحدُهما: خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ في الدُّنيا فأساويك فيها.

الثاني: وهو الأشهَرُ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ في الآخرة، فأكون أفضَلَ منك فيها).

((تفسير الماوردي)) (3/307).

ويُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (1/466).

وممَّن قال بأنَّ المرادَ بقولِه: خَيْرًا مِنْهَا أي: في الآخرةِ: البغوي، والقرطبي، وابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (3/193)، ((تفسير القرطبي)) (10/408)، ((تفسير ابن كثير)) (5/159).

وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ.

أي: ويُرسِلَ على بُستانِك الذي ظَنَنْتَ أنَّه لا يَبيدُ ولا يفنى عَذابًا من السَّماءِ لِيُهلِكَه.(133)

فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا.

أي: فيُصبِحَ بُستانُك بسَبَبِ العذابِ أرضًا مُستويةً، جَرداءَ لا نباتَ فيها، ملساءَ لا تَثبُتُ عليها قَدَمٌ.

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41).

أي: أو يُصبِحَ ماءُ النَّهرِ الذي يَسْقي بستانَك غائرًا ذاهبًا في الأرضِ، فلن تَقدِرَ على طَلَبِ الماءِ واستِخراجِه.(134)

---

(133) قال ابنُ كثير: (والظاهِرُ أنَّه مطَرٌ عَظيمٌ مُزعِجٌ، يَقلَعُ زرعَها وأشجارَها).

((تفسير ابن كثير)) (5/159).

وقال ابنُ عاشور: (الحُسْبانُ: مصدَرُ حَسَب، كالغُفران.

وهو هنا صِفةٌ لِموصوفٍ محذوفٍ، أي: هَلاكًا حُسبانًا، أي: مقدَّرًا من الله، كقَولِه تعالى: عَطَاءً حِسَابًا [النبأ: 36] .

وقيل: الحُسبانُ: اسمُ جمعٍ لسهامٍ قِصارٍ يُرمى بها في طَلَقٍ واحدٍ، وليس له مفردٌ.

وقيل: اسمُ جَمعِ حُسبانةٍ، وهي الصاعقةُ.

وقيل: اسمٌ للجرادِ.

والمعاني الأربعة صالحةٌ هنا).

((تفسير ابن عاشور)) (15/325).

قال الرسعني: (يرمي ويرسلُ عليها مراميَ مِن عذابِه، إمَّا حجارةً، وإمَّا بردًا، وإما نارًا، إلى غيرِ ذلك مِن أنواعِ العذابِ، وهذا يجمعُ أقوالَ المفسِّرين).

((تفسير الرسعني)) (4/290).

(134) قال ابنُ كثيرٍ في قولِه: غَوْرًا: (أي: غائرًا في الأرضِ، وهو ضِدُّ النَّابعِ الذي يَطلُبُ وجهَ الأرض، فالغائِرُ يَطلُبُ أسفلَها، كما قال تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ [الملك: 30] أي: جارٍ وسائحٍ).

((تفسير ابن كثير)) (5/159).

وقال القرطبي: (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا أي: لن تستطيع ردَّ الماءِ الغائرِ، ولا تقدِرُ عليه بحيلةٍ.

وقيل: فلن تستطيعَ طلَبَ غيرِه بدلًا منه).

((تفسير القرطبي)) (10/409).

وقال ابنُ عثيمين: (فدعا دعوةً يكونُ فيها زوالُ هذه الجنَّةِ، إمَّا بماءٍ يُغرِقُها حتى تصبحَ صَعِيدًا زَلَقًا، وإما بغَورٍ لا سُقيا معه؛ لِقَولِه: أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا، وكلا الأمرينِ تدميرٌ وخرابٌ.

فالفيضاناتُ تدمِّرُ المحصولَ، وغَورُ الماءِ حتى لا يستطيعَ أن يَطلُبَه لِبُعدِه في قاعِ الأرضِ أيضًا يدَمِّرُ المحصولَ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 74-75).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (42–44)

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)

غريب الكلمات:

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ: أي: أصابه ما أهلَكه، وأصلُه مِن: أحاطَ به العدوُّ؛ لأنَّه إذا أحاط به فقد مَلَكه واستولَى عليه، ثم استُعمِل في كلِّ إهلاكٍ، وأصلُ (حوط): يدُلُّ على الشَّيءِ يُطيفُ بالشَّيءِ.

خَاوِيَةٌ: أي: خاليةٌ، قد سقط بعضُها على بعضٍ، وأصلُ (خوي): يدلُّ على الخلوِّ والسُّقوطِ.

عُرُوشِهَا: أي: سُقوفِها، وأصلُ (عرش): يدُلُّ على ارتفاعٍ في شَيءٍ مَبنيٍّ.

الْوَلَايَةُ: أي: المُوالاةُ والنُّصرةُ. والوَلايةُ والوِلايةُ قيل: كلاهما بمعنًى، وقيل: بالكسر معناها الإمارةُ، وأصلُ (ولي): يدُلُّ على قُربٍ.

عُقْبًا: أي: عاقِبةً، وأصلُ (عقب): يدلُّ على تأخيرِ شَيءٍ وإتيانِه بعدَ غيرِه.

تفسير الآيات:

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42).

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ.

أي: وأحاط الهلاكُ بِثمارِ جَنَّةِ الكافِرِ مِن كُلِّ جانبٍ، فتَلِفَت أشجارُه، وزُروعُه، وثِمارُه.[135]

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا.

---

(135) قال السعدي: (والإحاطةُ بالثمرِ يستلزمُ تلفَ جميعِ أشجارِه، وثمارِه، وزرعِه).
((تفسير السعدي)) (ص: 477).
وقيل: أُتْلِف مالُه كلُّه، وهَلَكَتْ أنعامُه، وسُلِبَتْ أموالُه.
يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (326/15).
وسبَق ذِكرُ القراءاتِ في كلمةِ (ثمر)، والخلافِ في معناها (ص: 189).

أي: فأصبح يُقَلِّبُ كَفَّيه[136]؛ تحسُّرًا وندَمًا على ذَهابِ أموالِه الكثيرةِ التي أنفَقَها في جنَّتِه، فلم يَبقَ لها عِوَضٌ.[137]

---

(136) قال الرسعني: (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ قال ابنُ عباس: يضرِبُ يديه واحدةً على أخرى.
وقيل: يُقلِّبُهما ظهرًا لبَطنٍ).
((تفسير الرسعني)) (4/292).
وممن ذهَب إلى المعنى الأولِ: الواحدي، وابنُ الجوزي، والقرطبي، والبقاعي، والشوكاني.
يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 662)، ((تفسير ابن الجوزي)) (3/86)، ((تفسير القرطبي)) (10/409-410)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (12/64)، ((تفسير الشوكاني)) (3/341).
وممن ذهب إلى المعنى الثاني: ابنُ جرير، والزمخشري، والبيضاوي، وأبو حيان، وأبو السعود، والقاسمي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/268)، ((تفسير الزمخشري)) (2/724)، ((تفسير البيضاوي)) (3/282)، ((تفسير أبي حيان)) (7/181)، ((تفسير أبي السعود)) (5/223)، ((تفسير القاسمي)) (7/36).
قال أبو حيان: (وتقليبُ كَفَّيه ظاهِرُه أنَّه يقَلِّبُ كَفَّيه ظهرًا لِبَطنٍ، وهو أنَّه يُبدي باطِنَ كَفِّه ثمَّ يعوجُ كَفَّه حتى يبدوَ ظَهرُها).
((تفسير أبي حيان)) (7/181).
وقيل: يصفقُ بكفٍّ على كفٍّ، ويقلبُ كفَّيه ظهرًا لبطنٍ.
وممن ذهب إلى ذلك: الثعلبي، والبغوي، والخازنُ، والعليمي.
يُنظر: ((تفسير الثعلبي)) (6/172)، ((تفسير البغوي)) (3/193)، ((تفسير الخازن)) (3/165)، ((تفسير العليمي)) (4/179).
قال الألوسي: (وأيًّا ما كان فهو كنايةٌ عن الندمِ والتحسُّرِ).
((تفسير الألوسي)) (8/268).
(137) قال القرطبي: (دلَّ قولُه: فَأَصْبَحَ على أنَّ هذا الإهلاكَ جرى بالليلِ، كقولِه تعالى: فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ [القلم: 19-20]).
((تفسير القرطبي)) (10/410).
قال الشوكاني: (عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا أي: في عمارتِها وإصلاحِها من الأموالِ).
((تفسير الشوكاني)) (3/341).
وقيل: (في) هاهنا بمعنى (على).
يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (3/86).

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا.

أي: وهي خاليةٌ مِن الأشجارِ والزُّروعِ والثِّمارِ، قد سقَطَت سقوفُها ثمَّ سقَطَت جُدرانُها عليها.[138]

وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا.

أي: ويقولُ الكافِرُ:[139] يا ليتَني كنتُ مُوَحِّدًا لم أُشرِكْ برَبِّي أحدًا، وشَكَرتُه على نِعَمِه ولم أكفُرْ به.[140]

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43).

وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

---

(138) قال ابنُ أبي زمنين: (معنى خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا أي: خرابٌ على سقفِها، والأصلُ في ذلك: أن يسقُطَ السَّقفُ، ثم تسقُطَ الحِيطانُ عليها).

((تفسير ابن أبي زمنين)) (3/65).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/519).

(139) ذهب ابنُ جريرٍ، والسمرقندي، ومكي إلى أنَّ هذا القولَ يقولُه الكافرُ في الآخرة.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/268)، ((تفسير السمرقندي)) (2/348)، ((الهداية)) لمكي (6/4389).

وممن ذهب إلى أنَّه في الدنيا: الزمخشري، والرازي، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (2/724)، ((تفسير الرازي)) (21/466)، ((تفسير السعدي)) (ص: 477).

(140) قال الزمخشري: (تذكَّر موعظةَ أخيه فعَلِمَ أنه أُتيَ من جهةِ شِركِه وطُغيانِه، فتمنَّى لو لم يكُنْ مُشرِكًا حتى لا يُهلِكَ اللهُ بستانَه، ويجوزُ أن يكونَ توبةً مِن الشركِ، وندمًا على ما كان منه، ودخولًا في الإيمانِ).

((تفسير الزمخشري)) (2/724).

وقال السعدي: (ولا يُستبعَدُ مِن رحمة اللهِ ولُطفِه: أنَّ صاحِبَ هذه الجنَّةِ التي أحيطَ بها، تحسَّنَت حالُه، ورزَقَه اللهُ الإنابةَ إليه، وراجَعَ رُشدَه، وذهَبَ تمرُّدُه وطُغيانُه؛ بدليلِ أنَّه أظهَرَ الندَمَ على شِركِه برَبِّه، وأنَّ اللهَ أذهَبَ عنه ما يُطغيه، وعاقبَه في الدنيا، وإذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا عجَّل له العُقوبةَ في الدُّنيا.

وفَضلُ اللهِ لا تحيطُ به الأوهامُ والعُقول، ولا يُنكِرُه إلَّا ظالِمٌ جهولٌ).

((تفسير السعدي)) (ص: 477).

أي: ولم تكُنْ له جماعةٌ يَمنَعونَ عنه عذابَ اللهِ.[141]

وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا.

أي: وما كان مُمتَنِعًا بنَفسِه مِن عذابِ اللهِ.

هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44).

هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ.

(141) قال الواحدي: (لم ينصُرْه النفَرُ الذين افتخر بهم حين قال: وَأَعَزُّ نَفَرًا).

((الوجيز)) (ص: 662).

وقال السعدي: (لَمَّا نزل العذاب بجنَّتِه، ذهب عنه ما كان يفتخِرُ به من قوله لصاحبِه: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا فلم يدفعوا عنه من العذابِ شيئًا، أشدَّ ما كان إليهم حاجةً!).

((تفسير السعدي)) (ص: 477).

أي: في ذلك المقامِ، وتلك الحالِ،[142] النُّصرةُ لله المعبودِ الحقِّ وَحدَه، لا يملكُها غيرُه، ولا يَقدِرُ عليها سِواه، فيتولَّونَ اللهَ جميعُهم ويُؤمنونَ به، ويتبرَّؤون مِن الآلهةِ الباطلةِ الكاذبةِ، لكنَّ اللهَ لا يتولَّى ولا ينصُرُ سوى عبادِه المؤمِنينَ المتَّقِينَ.[143]

كما قال تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ [الأنعام: 62].

---

(142) وممن ذهَب إلى أنَّ الإشارةَ في قولِه: هُنَالِكَ إلى العذابِ الذي أصاب جنتَه في الدنيا: الزمخشري، وابنُ كثير، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (2/724)، ((تفسير ابن كثير)) (5/160)، ((تفسير السعدي)) (ص: 478)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/279).

وممن ذهب إلى أنَّ الإشارةَ فيها إلى العذابِ في الآخرةِ: ابنُ جريرٍ، والواحدي، والقرطبي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/270)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 662)، ((تفسير القرطبي)) (10/411)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 76).

(143) ممن اختار هذا المعنى: يحيى بنُ سلام، وابنُ قتيبة، والنحاس، وابنُ أبي زمنين، والواحدي، والخازن، وابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير يحيى بن سلام)) (1/188)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 268)، ((معاني القرآن)) للنحاس (4/247)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (3/65)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 662)، ((تفسير الخازن)) (3/165)، ((تفسير ابن كثير)) (5/160).

قال الشنقيطي: (على قراءةِ مَنْ قَرَأَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ بفتحِ الواوِ فإنَّ معناها: الموالاةُ والصِّلةُ، وعلى هذه القراءةِ ففي معنَى الآيةِ وجهانِ: الأوَّلُ: أنَّ معنَى هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ، أي: في ذلك المقامِ، وتلك الحالِ تكونُ الولايةُ مِنْ كلِّ أحدٍ للَّهِ ؛ لأنَّ الكافرَ إذا رأى العذابَ رَجَع إلى اللَّهِ، وعلَى هذا المعنَى فالآيةُ كقوله تعالَى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ [غافر: 84] ، وقولِه في فرعونَ: حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ [يونس: 90 – 91] ، ونحو ذلك مِنَ الآياتِ.

الوجهُ الثَّاني: أنَّ الولايةَ في مثلِ ذلك المقامِ وتلك الحالِ للَّهِ وحدَه، فيوالِي فيه المسلمينَ ولايةَ رحمةٍ، كما في قولِه تعالَى: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا الآيةَ [البقرة: 257]، وقولِه: ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ [محمد: 11]، وله على الكافرينَ وَلايةُ الملكِ والقهرِ، كما في قولِه: وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [يونس: 30]).

((أضواء البيان)) (3/279).

وقال سُبحانَه: فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ [هود: 101].

وقال عزَّ وجلَّ: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ [غافر: 84].

القراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

في قوله: الْوَلَايَةُ قراءتان:

1- قراءةُ الْوِلَايَةُ بكسر الواو، أي: المُلكُ والسُّلطانُ والقدرةُ لله.(144)

2- قراءةُ الْوَلَايَةُ بفتح الواو، أي: النُّصرةُ لله.(145)

وفي قوله: الْحَقِّ قراءتان:

---

(144) قرأ بها حمزةُ، والكسائي، وخلف.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/277).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (15/270)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/112)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 418).

(145) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/277).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (2/112)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 418).

1- قراءةُ الحُقُّ بضمِّ القافِ، صِفةً للوَلايةِ، قيل المعنى: وَلايةُ اللهِ حَقٌّ وصِدقٌ لا يشوبُها نَقصٌ ولا خَلَلٌ. وقيل المعنى: الولايةُ الحَقُّ لله لا يستَحِقُّها غيرُه.(146)

2- قراءةُ الحَقِّ بكسرِ القافِ، صفةً لله تعالى، بمعنى: ذي الحَقِّ، أي: هو الحَقُّ في ألوهيَّتِه.(147)

هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا.

أي: اللهُ أفضَلُ جَزاءً لأهلِ طاعتِه في الدُّنيا وفي الآخرةِ، وعاقِبةُ طاعتِه خيرٌ مِن عاقبةِ طاعةِ غيرِه.

---

(146) قرأ بها أبو عمرٍو، والكسائي.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (311/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 419)، ((الكشف)) لمكي (63/2)، ((تفسير ابن عاشور)) (329/15).

(147) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (311/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((تفسير ابن جرير)) (270/15، 271)، ((الكشف)) لمكي (63/2).

سورةُ الكَهفِ

الآيتان (45–46)

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)

غريب الكلمات:

هَشِيمًا: أي: يابِسًا مُتفَتِّتًا، وأصلُ (هشم): يدُلُّ على كسرِ الشَّيءِ.

تَذْرُوهُ: أي: تَنسِفُه وتُفَرِّقُه، وأصلُ (ذرو): يدلُّ على الشَّيءِ يتساقَطُ مُتفرِّقًا.

تفسير الآيتين:

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45).

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ.

أي: واذكُرْ -يا مُحمَّدُ- لهم[148] ما يُشبِهُ الحياةَ الدُّنيا[149] في زَهرتِها وسُرعةِ تقَلُّبِها، وزوالِها وانقِضائِها؛ لِيَعرِفوا حقيقتَها، فصِفتُها كمَطَرٍ أنزَلْناه من السَّماءِ على الأرضِ.

فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ.

---

(148) قيل: المرادُ: المستكبرينَ الذين سألوا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم طرْدَ فقراءِ المؤمنين.
ومن قال بذلك: ابنُ جريرٍ، والقرطبي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/272)، ((تفسير القرطبي)) (10/412).
وقيل: المرادُ: الناسُ.
ومن قال بذلك: ابنُ كثير، والسعدي.
يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/161)، ((تفسير السعدي)) (ص: 478).

(149) قال ابنُ عاشور: (الحياةُ الدُّنيا: تُطلَقُ على مدَّةِ بقاءِ الأنواعِ الحيَّةِ على الأرضِ، وبقاءِ الأرضِ على حالتِها؛ فإطلاقُ اسمِ الحياةِ الدنيا على تلك المدَّةِ؛ لأنَّها مُدَّةُ الحياة الناقصةِ غيرِ الأبديَّةِ؛ لأنَّها مُقدَّرٌ زوالُها، فهي دنيا.
وتطلَقُ الحياةُ الدنيا على مدَّةِ حياة الأفراد، أي: حياةِ كلِّ أحد...
وهذا المَثَلُ مُنطَبِقٌ على الحياةِ الدنيا بإطلاقَيها، فهما مرادانِ منه).
((تفسير ابن عاشور)) (15/330-331).

أي: فشبَّ نباتُ الأرضِ، وحَسُنَ استِواؤُه، وكثُرَ والتفَّ، واجتمَعَ بعضُه ببَعضٍ[150]؛ بسبَبِ المطر.

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ.

أي: فأصبح النَّباتُ -بعد أن كان مُتنوِّعًا نَضِرًا مُبهِجًا- يابسًا متفتِّتًا، تحمِلُه الرِّياحُ وتُفَرِّقُه.

كما قال تعالى: إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [يونس: 24].

---

(150) وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: الواحدي، وابنُ عطية، وابن عاشور، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (33/14)، ((تفسير ابن عطية)) (519/3)، ((تفسير ابن عاشور)) (331/15)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 77).

قال ابن عاشور: (اختلاطُ النباتِ: وفرتُه والتفافُ بعضِه ببعضٍ مِن قوَّةِ الخصبِ والازدهارِ، والباءُ في قولِه: بِهِ باءُ السَّبَبيَّةِ). ((تفسير ابن عاشور)) (331/15).

وقيل: المعنى: اختلط وتداخَل النباتُ بذلك الماءِ.

وممن اختاره: السمعاني، والقرطبي، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير السمعاني)) (376/2)، ((تفسير القرطبي)) (412/10)، ((تفسير الشوكاني)) (343/3).

ويُنظر: ((تفسير الرسعني)) (31/3)، ((تفسير الماوردي)) (309/3).

وتكونُ الباءُ في قوله بِهِ -على ذلك القولِ- للمصاحبة.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (37/6)، ((تفسير القاسمي)) (17/6).

قال الماوردي: (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ يحتَمِلُ وجهين: أحدُهما: أنَّ الماءَ اختلَط بالنَّباتِ حينَ استوَى. الثاني: أنَّ النباتَ اختلَط بعضُه ببعضٍ حينَ نزَل عليه الماءُ حتَّى نما). ((تفسير الماوردي)) (309/3).

وقال سُبحانَه: اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ [الحديد: 20].

وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا.

أي: وكان اللهُ على فِعلِ كُلِّ شَيءٍ؛ من الإنشاءِ والإفناءِ، والإعادةِ وغير ذلك، قويًّا قادِرًا، لا يُعجِزُه شَيءٌ.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا

(46).

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أي: الأموالُ والأبناءُ[151] يتجمَّلُ بهما النَّاسُ في حياتِهم الدُّنيا ويتزيَّنونَ، وليسا مما ينفعُ في الآخرةِ؛ فهما مما يفنَى عن قريبٍ.[152]

كما قال تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ [آل عمران: 14، 15].

وقال سُبحانَه: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [الشعراء: 88، 89].

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ [سبأ: 37].

---

(151) قال ابن عرفة: (لفظُ البنينَ خاصٌّ بالذكورِ؛ ولذلك لم يقُل: المالُ والأولادُ؛ لدخول البناتِ في الأولادِ، وقد كانوا [يَقْتلونَهنَّ] ويَتشاءَمونَ بهنَّ، فكيف يكُنَّ زينةً؟!).

((تفسير ابن عرفة)) (3/91).

وقال ابنُ عثيمين: (ذَكَرَ البنينَ دونَ البناتِ؛ لأنَّه جرت العادةُ أنَّهم لا يفتَخِرونَ إلَّا بالبنينَ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 78).

(152) قال القرطبي: (إنَّما كان المالُ والبنون زينةَ الحياة الدنيا؛ لأنَّ في المال جمالًا ونفعًا، وفي البنينَ قُوَّةً ودَفعًا، فصارا زينةَ الحياة الدنيا).

((تفسير القرطبي)) (10/413).

وقال جلَّ جلالُه: لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [الممتحنة: 3].

وقال تبارك وتعالى: وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى [الليل: 11].

وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا.

أي: وأعمالُ الخيرِ الصَّالحةُ التي تبقَى لصاحِبِها في الآخرةِ الباقيةِ، ويبقَى نَفعُها وثوابُها؛ أفضَلُ جزاءً عندَ رَبِّكَ -يا مُحمَّدُ- من زينةِ الحياةِ الدُّنيا الفانيةِ، وهي أفضَلُ ما يُؤَمِّلُه الإنسانُ، ويرجو نَفعَه وعواقِبَه الحميدةَ.(153)

كما قال تعالى: وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا [مريم: 76].

---

(153) اخْتُلِفَ في معنى: ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ على أقوال: الأول: الصلوات الخمس.
الثاني: ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل، ونحو ذلك.
الثالث: العمل بطاعة الله.
الرابع: الكلام الطيّب.
ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ٢٨١) مستندًا إلى دلالة العموم القولَ الثالث، وهو قول ابن عباس من طريق عطاء، وعلي بن أبي طلحة، وابن زيد، وعلَّل ذلك قائلًا: «لأن ذلك كلَّه مِن الصالحات التي تَبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يُجازى ويُثاب، وأن الله -عزَّ ذِكْره- لم يَخْصُص من قوله: ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوابًا﴾ بعضًا دون بعض في كتاب، ولا بخبرٍ عن رسول الله - ﷺ -».
ثم وجَّه التفسير الوارد في حديث أبي هريرة س للباقيات الصالحات بأنه ليس تخصيصًا لها بذلك، فقال: «الخبر عن رسول الله - ﷺ - إنما ورد بأنّ قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هنَّ من الباقيات الصالحات، ولم يقل: هنَّ جميع الباقيات الصالحات، ولا كلُّ الباقيات الصالحات، وجائزٌ أن تكون هذه باقياتٍ صالحات، وغيرها من أعمال البرّ -أيضًا- باقياتٍ صالحات».

وقال سُبحانَه: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [النحل: 97].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه قال: قال رسولُ الله - ﷺ -: ((سُبحانَ اللهِ، والحَمدُ لله، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ؛ مِن الباقياتِ الصَّالِحاتِ)).(154)

(154) أخرجه ابن جرير في ((التفسير)) (34/18).
صحَّحه الألباني بشواهدِه في ((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (3264).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (47–49)

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) وَعُرِضُوا
عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48)
وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا
يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)

غريب الكلمات:

بَارِزَةً: أي: بادِيةً ظاهِرةً ليس عليها جَبَلٌ ولا شجَرٌ ولا بِناءٌ، وأصلُ (برز): يدُلُّ على ظُهورِ الشَّيءِ وبُدُوِّه.

تفسير الآيات:

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47).

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ.

أي: واذكُرْ[155] يومَ نُزيلُ الجِبالَ عن أماكِنِها ونَنسِفُها، فتضمَحِلُّ وتتلاشَى.[156]

كما قال عزَّ وجلَّ: وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا [الطور: 10].

وقال تعالى: وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ [التكوير: 3].

وقال سُبحانَه: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ [النمل: 88].

---

(155) قال ابن عطية: (التقديرُ: واذكُرْ يومَ، وهذا أفصَحُ ما يُتأوَّلُ في هذا هنا).

((تفسير ابن عطية)) (3/520).

وقال ابن عثيمين: (أي: اذكُرْ للنَّاسِ هذه الحالَ، وهذا المشهدَ العظيمَ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 80).

(156) قال أبو السعود: (نَقلَعُها من أماكِنِها ونُسيِّرُها في الجوِّ على هيئاتِها، كما ينبئُ عنه قولُه تعالى: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ [النمل: 88] ، أو نُسَيِّرُ أجزاءَها بعد أن نجعَلَها هباءً مُنبَثًّا.

والمرادُ بتذكيرِه: تحذيرُ المُشركينَ مِمَّا فيه من الدَّواهي).

((تفسير أبي السعود)) (5/226).

ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (15/335).

وقال ابنُ عثيمين: (قولُه تعالى: وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً أي: ظاهِرةً؛ لأنَّها تكون قاعًا وصفصفًا، وهي الآن ليست بارزةً لأنَّها مُكوَّرة، وأكثَرُها غيرُ بارزٍ، ثم إنَّ البارزَ لنا أيضًا كثيرٌ منه مختفٍ بالجبالِ، فيومَ القيامةِ لا جبالَ ولا أرضَ كُرَويَّة، بل تُمَدُّ الأرضُ مَدَّ الأديمِ؛ قال الله تعالى: إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ [الانشقاق: 1 – 3]).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 81).

وقال تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا [طه: 105– 107].

وقال سُبحانَه: يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا [المزمل: 14].

وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً.

أي: وترَى الأرضَ يومَ القيامةِ باديةً ظاهِرةً لأعيُنِ النَّاظِرينَ، ليس عليها شيءٌ يَستُرُها مِن جبَلٍ أو شجَرٍ أو بُنيانٍ، وليس فيها مَعلَمٌ لأحدٍ، ولا مكانٌ يُواري أحدًا.

وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

أي: وجمَعْنا العِبادَ أوَّلَهم وآخِرَهم على تلك الأرضِ؛ للحِسابِ والجزاءِ، فلم نَترُكْ منهم أحدًا بلا بَعثٍ.

كما قال تعالى: إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم: 93– 95].

وقال سُبحانَه: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة: 49–50].

وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48).

وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا.

أي: وعُرِضَ العِبادُ على ربِّك –يا مُحَمَّدُ– مُصطَفِّينَ ظاهِرينَ، لا يخفَى منهم أحَدٌ.

لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

أي: فيُقالُ لهم: لقد جِئتُمونا -أيُّها النَّاسُ- بعد مَوتِكم أحياءً، كهَيئتِكم حينَ خَلَقْناكم أوَّلَ مَرَّةٍ: فُرادَى، حُفاةً، عُراةً، غيرَ مختونينَ، لا شيءَ معكم ممَّا كنتُم تتباهَوْن به في الدُّنيا من الأهلِ والأموالِ.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ [الأنعام: 94].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما قال: ((قام فينا النَّبيُّ - ﷺ - يخطُبُ، فقال: إنَّكم محشورون حُفاةً عُراةً غُرلًا:[157] كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ [الأنبياء: 104]))[158].

بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا.

---

(157) غُرلًا: جمعُ أغرَل، وهو الذي لم يُختَنْ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (193/17).

(158) رواه البخاري (6526) واللفظ له، ومسلم (2860).

أي: يُقالُ لِمُنكري البَعثِ:[159] بل اعتَقدتُم خطأً في الدُّنيا أنَّ اللهَ لن يبعَثكم بعدَ مَوتِكم للحِسابِ والجزاءِ يومَ القيامةِ.[160]

كما قال تعالى: زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ [التغابن: 7].

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49).

وَوُضِعَ الْكِتَابُ.

---

(159) قال الواحدي: (قولُه تعالى: بَلْ زَعَمْتُمْ خِطابٌ لِمُنكري البعثِ خاصَّةً، ومعناه: بل زعمتُم في الدنيا أن لن تُبعَثوا؛ لأنَّ اللهَ وعَدَهم البَعثَ فلم يصَـدِّقوا، والمعنى: أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا للبعثِ والجزاءِ، و بَلْ هاهنا إيذانٌ بأنَّ القِصَّـةَ الأولَى قد تمَّت، وبدأ في كلامٍ آخَرَ؛ وذلك أنَّ الآيةَ عامَّةٌ في المؤمنِ والكافرِ إلى قولِه: بَلْ زَعَمْتُمْ، فلمَّا أخَذ في كلامٍ خاصٍّ لأحَدِ الفريقينِ أدخَلَ بَلْ ليؤذِنَ بتحقيقِ ما سبق، وتوكيدِ ما يأتي بعدَه).

((البسيط)) (41/14).

ويُنظر ((تفسير ابن جرير)) (283/15).

(160) وقيل في قولِه: مَوْعِدًا: إنَّ الموعِدَ يشـمَلُ زمانَ الوعدِ ومكانَه، والمعنى: أنَّهم زعَموا أنَّ اللهَ لم يجعَلْ وَقتًا ولا مكانًا لإنجازِ ما وعدَهم على ألسنةِ رُسُلِه من البَعثِ والجزاءِ والحساب.

وممن قال بذلك: البقاعي، والشنقيطي.

يُنظر: ((نظم الدرر)) للبقاعي (72/12)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (286/3).

وقيل: المرادُ به هنا: الزمنُ الموعودُ به؛ الحياةُ بعدَ الموتِ.

وممن قال بذلك: ابنُ عاشورٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (337/15).

أي: ووُضِعَت كُتُبُ أعمالِ العبادِ -التي كتَبَتْها الملائِكةُ- في أيديهم؛ فمنهم آخِذٌ كتابَه بيَمينِه، ومنهم آخِذٌ كِتابَه بشِمالِه.

كما قال تعالى: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [الزمر: 69].

وقال سُبحانَه: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء: 13- 14].

وقال عزَّ وجَلَّ: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ [الحاقة: 19].

وقال عزَّ مِن قائلٍ: وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ [الحاقة: 25].

فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ.

أي: فترى المُجرمِينَ خائفِينَ(161) مِمَّا في كُتُبِ أعمالِهم من السَّيِّئاتِ التي عَمِلوها في الدُّنيا، خوفًا عظيمًا مِن عقابِ اللهِ والفَضيحةِ بين خَلقِ الله.

---

(161) قال ابنُ الجوزي: (قوله تعالى: فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ قال مجاهدٌ: هم الكافِرونَ.
وذكَرَ بعضُ أهل العلم أنَّ كُلَّ مجرمٍ ذُكِرَ في القرآن، فالمرادُ به: الكافرُ).
((تفسير ابن الجوزي)) (3/89).
وممن فسَّر الْمُجْرِمِينَ بالمُشركِينَ: ابنُ جرير، وابنُ أبي زمنين، والواحدي.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/283)، ((تفسير ابن أبي زمنين)) (3/68)، ((الوسيط)) للواحدي (3/152)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 664).

وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.

أي: ويقولُ المُجرِمونَ إذا اطَّلَعوا على كُتُبِ أعمالِهم، فرَأَوا ما فيها من السَّيِّئاتِ: يا حَسرَتَنا وهلاكَنا! ما شأنُ هذا الكتابِ لا يَترُكُ صَغيرةً مِن ذُنوبِنا ولا كبيرةً منها إلَّا حَفِظَها وعَدَّها؟![162]

كما قال تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ [الانفطار: 10-12].

وقال سُبحانَه: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ [ق: 17- 18].

وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا.

أي: ووجَدوا كُلَّ ما عَمِلوه في الدُّنيا مِن خَيرٍ وشَرٍّ مَكتوبًا مُثبَتًا في صُحُفِ أعمالِهم، فجُوزُوا به.

كما قال تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا [آل عمران: 30].

وقال سُبحانَه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ [التكوير: 14].

وقال عزَّ وجلَّ: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [الزلزلة: 7- 8].

---

(162) قال الشِّنقيطي: (قَولُ مَن قال: الصَّغيرةُ: القُبلةُ، والكبيرةُ: الزِّنا، ونحوُ ذلك من الأقوالِ في الآيةِ؛ إنَّما هو على سبيلِ التَّمثيلِ لا على سبيلِ الحصرِ).
((أضواء البيان)) (3/288).

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.

أي: ولا يَظلِمُ رَبُّك –يا مُحمَّدُ– أحدًا مِن عبادِه، سواء مِن هؤلاء المُجرِمينَ أم مِن غَيرِهم؛ فلا يَنقُصُ أحدًا من حَسَناتِه، أو يزيدُ في سَيِّئاتِه، أو يُعاقِبُه بذنبٍ لم يفعَلْه، ونحو ذلك من الأفعالِ التي يُنزَّهُ عنها الرَّبُّ سُبحانه؛ لكَمالِ عَدلِه وغِناه ورَحمتِه، وإنَّما يُجازي كلًّا بما يستَحِقُّه.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا [النساء: 40].

وقال سُبحانَه: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: 15].

وقال عزَّ وجلَّ: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ [الأنبياء: 47].

وقال تبارك وتعالى: وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ [غافر: 31].

وعن عبد اللهِ بنِ أُنَيسٍ رَضِيَ الله عنه، أنَّ النبيَّ – ﷺ – قال: ((يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ –أو قال: العِبادُ– عُراةً غُرْلًا بُهْمًا. قال: قُلْنا: وما بُهمًا؟ قال: ليس معهم شَيءٌ، ثُمَّ يناديهم بصَوتٍ يَسمَعُه مَن بَعُدَ كما يَسمَعُه مَن قَرُب: أنا المَلِكُ، أنا الدَّيَّانُ، ولا ينبغي لأحدٍ مِن أهلِ النَّارِ أن يَدخُلَ النَّارَ وله عندَ أحدٍ مِن أهلِ الجَنَّةِ حَقٌّ حتى أقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحدٍ مِن أهلِ الجَنَّةِ أن يَدخُلَ الجنَّةَ ولأحدٍ مِن أهلِ النَّارِ عندَه حَقٌّ حتى أقُصَّه منه، حتى اللَّطمةُ. قال: قُلْنا: كيف وإنَّا إنَّما نأتي اللهَ عَزَّ وجَلَّ عُراةً غُرلًا بُهمًا؟ قال: بالحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ)).(163)

---

(163) أخرجه البُخاريُّ مُعَلَّقًا بصيغةِ التَّمريضِ قبل حديث (7481) مختصرًا، وأخرجه موصولًا أحمد (16042) واللَّفظ له. حَسَّنَ إسنادَه المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (303/4)، وقال الذهبي في ((العرش)) (80): (محفوظٌ وله طُرق يُصَدِّقُ بعضُها بعضًا)، وحسَّنه ابن القيم في ((مختصر الصواعق المرسلة)) (489)، وحسَّنَ إسنادَه العراقي في ((تخريج الإحياء)) (283/5)، ووثَّق رجاله الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (348/10)، وحسَّنه لغيره الألبانيُّ في ((صحيح الترغيب)) (3608).

سورةُ الكَهفِ

الآيتان (50–51)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)

غريب الكلمات:

عَضُدًا: أي: أعوانًا وأنصارًا، وأصلُ (عضد): يدُلُّ على عُضوٍ مِن الأعضاءِ.

تفسير الآيتين:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50).

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ.

أي: واذكُرْ –يا مُحَمَّدُ– حين قُلْنا للمَلائِكةِ: اسجُدوا لآدَمَ، فسجدَ الملائِكةُ كُلُّهم لآدمَ؛ امتثالًا لأمرِ اللهِ، سُجودَ تشريفٍ وتكريمٍ، إلَّا إبليسَ لم يَسجُدْ معهم؛ استكبارًا على اللهِ، وحَسَدًا لآدمَ![164]

---

(164) قال ابن جرير: (يقولُ تعالى ذِكرُه مذكِّرًا هؤلاء المُشركين حسَدَ إبليسَ أباهم، ومُعْلِمَهم ما كان منه مِن كِبْرِه واستكبارِه عليه حين أمَرَه بالسُّجودِ له، وأنَّه من العداوةِ والحسَدِ لهم على مِثلِ الذي كان عليه لأبيهم: وَ اذكُرْ –يا مُحَمَّدُ– إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ الذي يطيعُه هؤلاء المُشرِكون ويتَّبِعون أمرَه ويخالِفون أمرَ الله).

((تفسير ابن جرير)) (15/285–286).

اخْتُلِفَ في جنس إبليس: فقيل: هو من الملائكة.

وقيل: هو من الجن.

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٦١٨) أنّ وجه التعبير عن الملائكة بالجن على القول الأول مِن حيث إنهم مستترون، وأنها صفة تعم الملائكة والشياطين، ثم وجَّه الاستثناء على القول الأول بأنّه متصل، وعلى الثاني بأنّه منقطع، ثم بيَّن أنه لا خلاف أن إبليس كان من الملائكة في المعنى؛ إذ كان مُتصَرِّفًا بالأمر والنهي مُرْسَلًا، والملك مشتق من المألكة، وهي الرسالة، فهو في عداد الملائكة يتناوله قول ﴿اسْجُدُوا﴾.

وعلَّق ابنُ كثير (٩/ ١٥٥) على الآثار الواردة في معنى: ﴿وإذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنِّ﴾ قائلًا: «وقد رُوي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة الأتقياء».

كما قال تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة: 34].

وقال سُبحانَه: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا [الإسراء: 61].

كَانَ مِنَ الْجِنِّ.

أي: كان إبليسُ مِن صِنفِ الجِنِّ.(165)

---

(165) قيل: لم يكُنْ إبليسُ مِن الملائكةِ، وممن رجَّح ذلك: الزجاجُ، وابنُ حزمٍ، والزمخشري، والبيضاوي، وابنُ كثيرٍ، والشنقيطي، وابنُ عثيمينَ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (1/114)، ((الفِصَل)) لابن حزم (4/28)، ((تفسير الزمخشري)) (2/727)، ((تفسير البيضاوي)) (3/284)، ((تفسير ابن كثير)) (5/167)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/290، 291)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 91).

وممن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: الحسنُ، وشهرُ بنُ حَوْشَب، وسعدُ بنُ مسعود، وابنُ زيدٍ، والزهري، وسعيدُ بنُ جبير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (1/539)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (7/2366)، ((تفسير ابن الجوزي)) (1/54).

قال ابنُ حزم: (ادَّعى قومٌ أنَّ إبليسَ كان ملَكًا فعصى، وحاشا لله مِن هذا؛ لأنَّ الله تعالى قد كذَّب هذا القولَ بقولِه تعالى: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ، وبقولِه: أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي [الكهف: 50] ولا ذريَّةَ للملائكةِ، وبقولِه تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ [الأعراف: 27] ، وبإخباره أنَّه خلق إبليسَ مِن نارِ السَّمومِ، وصَحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «خُلِقت الملائكةُ مِن نورٍ»، والنورُ غيرُ النارِ بلا شَكٍّ؛ فصَحَّ أنَّ الجِنَّ غيرُ الملائكة، والملائِكةُ كُلُّهم خِيارٌ مُكْرَمون بنصِّ القرآنِ، والجِنُّ والإنسُ فيهما مذمومٌ ومحمودٌ).

((الفِصَل)) (4/28).

وقيل: بل كان إبليسُ مِن الملائكةِ، وممن رجَّح ذلك: مقاتلُ بنُ سليمان، وابنُ جرير، والسمعاني، والبغوي، واستظهره القرطبي، ونسبه البغوي والقرطبي إلى جمهورِ المفسِّرين.

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، قالت: قال رَسولُ الله – ﷺ –: ((خُلِقَت الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ،[166] وخُلِقَ آدمُ مِمَّا وُصِفَ لكم)).[167]

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

أي: فخرج عن طاعةِ رَبِّه، فلم يسجُدْ لآدَمَ كما أمَرَه اللهُ.[168]

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (589/2)، ((تفسير ابن جرير)) (542/1، 543) و (287/15)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2366/7)، ((تفسير السمعاني)) (67/1)، ((تفسير البغوي)) (104/1)، ((تفسير القرطبي)) (294/1).

وممن قال من السلفِ: إنَّ إبليسَ كان مِن الملائكةِ: ابنُ مسعود في روايةٍ عنه، وابنُ عباسٍ، وسعيدُ بنُ المسيب، وقتادةُ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (535/1)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2366/7)، ((تفسير ابن الجوزي)) (54/1).

قال محمدُ بنُ إســحاق فيما رواه عنه ابنُ جرير: (أمَّا قولُه: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ أي: كان من الملائكةِ، وذلك أنَّ الملائكةَ اجتنُّوا فلم يُرَوا، وقد قال الله جلَّ ثناؤه: وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ [الصافات: 158]، وذلك لِقَولِ قُريشٍ: إن الملائكةَ بناتُ الله...

قال: فأبت العربُ في لغتِها إلَّا أن الجِنَّ كلُّ ما اجتَنَّ.

يقول: ما سمَّى الله الجِنَّ إلا أنَّهم اجتنُّوا فلم يُرَوا، وما سَمَّى بني آدم الإنسَ إلَّا أنَّهم ظهروا فلم يجتنُّوا، فما ظهر فهو إنسٌ، وما اجتَنَّ فلم يُرَ فهو جِنٌّ).

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (539/1).

(166) مارجُ النَّارِ: لَهَبُها المُختَلِطُ بسوادِها.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (315/4).

(167) رواه مسلم (2996).

(168) قال الشنقيطي: (وقولُه تعالَى في هذه الآيةِ الكريمةِ: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، أيْ: خَرَج عن طاعةِ أمرِ رَبِّه...

وهذا المعنَى ظاهِرٌ لا إشــكالَ فيه، فلا حاجةَ لقولِ مَنْ قال: إنَّ «عَنْ» ســببيَّةٌ، كقوله: وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ [هود: 53]، أي: بسَبَبِه، وأنَّ المعنَى: ففسَق عن أمرِ ربِّه، أيْ: بسببِ أمرِه حيثُ لم يمتثلْهُ، ولا غيرَ ذلك مِنَ الأقوالِ).

((أضواء البيان)) (291/3).

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ.

أي: أبعْدَ ما ظهَرَ من إبليسَ مِن الفِسقِ والاستكبارِ، فرفَضَ السُّجودَ لأبيكم -يا بني آدمَ- وحَسَدَه، وأخرَجَه من الجنَّةِ، تتَّخِذونَه وذُرِّيَّته من الشياطينِ أولياءَ تُطيعونَهم وتُوالونَهم في خِلافِ مَرضاتي، والحالُ أنَّهم لكم أعداءٌ يُضِلُّونَكم، بدلًا مِن طاعتي، وأنا ربُّكم الذي أنعمَ عليكم وأكرَمَكم؟!

كما قال تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ [يس: 60 - 62].

بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا.

أي: بِئسَ البدلُ للظَّالِمينَ اتِّخاذُ إبليسَ وذُرِّيتِه أولياءَ مِن دونِ اللهِ، وهم لهم أعداءٌ، فتركوا وَلايةَ الذي أنعَمَ عليهم وعلى أبيهم آدمَ مِن قَبلُ، والذي في وَلايتِه كُلُّ الخيرِ والسَّعادةِ والفلاحِ.

ذكر ابنُ عطية (٥/ ٦١٩) في قوله تعالى: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ عدة احتمالات، ووجَّهها، فقال: «يحتمل أن يريد: خرج عن أمر ربه إيّاه، أي: فارقه، كما يفعل الخارج عن طريق واحد، أي: منه.

ويحتمل أن يريد: فخرج عن الطاعة بعد أمر ربه بها، و» عَن «قد تجيء بمعنى» بَعْد «في مواضع كثيرة، كقولك: أطعمته عن جوع، ونحوه، فكأن المعنى: فسق بسبب أمر ربه بأن يطيع.

ويحتمل أن يريد: فخرج بأمر ربه، أي: مشـــيئته ذلك له، ويعبر عن المشـــيئة بالأمر إذ هي أحد الأمور، وهذا كما تقول: فعلت ذلك عن أمرك.

أي: بجدك، وبحسب مرادك».

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51).

مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

أي: ما أحضَرْتُ الشَّياطينَ خَلْقَ السَّمواتِ والأرضِ؛ لأستعينَ بهم على خَلقِها أو أشاوِرَهم في ذلك، بل لم يكونوا موجودينَ حينذاك؛ فأنا المستَقِلُّ بخَلقِ السَّمواتِ والأرضِ، ومُدَبِّرُها وَحدي، ليس معي في ذلك شَريكٌ، ولا وزيرٌ، ولا مُشيرٌ.(169)

كما قال تعالى: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ [سبأ: 22].

وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ.

---

(169) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٦٢٠ – ٦٢١) أن الضمير في قوله: ﴿ما أشهدتهم﴾ يحتمل أمرين: أحدهما: أن يعود على الكفار، وعلى الناس بالجملة، فتتضمن الآية الرد على طوائف المنجمين وأهل الطبائع، والمتحكمين من الأطباء وسواهم من كل من مُتَخَرِّص في هذه الأشياء.

وثانيهما: أن يعود على ذرية إبليس، فتكون الآية متضمنة تحقيرهم.

ثم قال معلّقًا: «والقول الأول أعظم فائدة، وأقول: إن الغرض المقصود أولًا بالآية هم إبليس وذريته، وبهذا الوجه يتّجه الرد على الطوائف المذكورة، وعلى الكُهّان والعرب المصدقين لهم والمعظمين للجن حين يقولون: أعوذ بعزيز هذا الوادي.

إذ الجميع من هذه الفِرق متعلقون بإبليس وذريته، وهم أضلوا الجميع، فهم المراد الأول بالمضلّين، وتندرج هذه الطوائف في معناهم».

أي: ولا أشهَدْتُ بعضَهم خَلْقَ بَعضٍ، بل تفرَّدتُ بخَلقِهم بغيرِ مُعينٍ ولا ظهيرٍ، فكيف تَصرِفونَ لهم حَقِّي، وتتَّخِذونَهم أولياءَ مِن دوني، وأنا خالِقُ كُلِّ شَيءٍ؟!

وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا.

أي: وما ينبغي ولا يليقُ أن أتَّخِذَ الذين يُضِلُّونَ الخلقَ عن طريقِ الحَقِّ أعوانًا لي في أيِّ شأنٍ مِن الشُّؤونِ.[170]

(170) قال ابن عاشور: (المعنى: لا يليقُ بالكَمالِ الإلهيِّ أن أتَّخِذَ أهلَ الإضلالِ أعوانًا، فأشرَكَهم في تصرُّفي في الإنشاءِ؛ فإنَّ اللهَ مُفيضُ الهدايةِ، وواهبُ الدرايةِ، فكيف يكونُ أعوانُه مصادِرَ الضلالةِ، أي: لا يُعينُ المعين إلَّا على عمَلِ أمثالِه، ولا يكونُ إلَّا قرينًا لأشكالِه).

((تفسير ابن عاشور)) (344/15).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (52–56)

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا
(52) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53) وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54) وَمَا مَنَعَ
النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ
الْعَذَابُ قُبُلًا (55) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ
لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56)

غريب الكلمات:

مَوْبِقًا: مَهلِكًا وحاجِزًا، وأصلُ (وبق): يدُلُّ على هَلاكٍ، وحَيلولةٍ بينَ شَيئَينِ.

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ: أي: طَريقتُنا في إهلاكِهم، وأصلُ (سنن): يدُلُّ على جَرَيانِ الشَّيءِ، واطرادِه في سُهولةٍ.

قُبُلًا: أي: عِيانًا ومُواجَهةً، وأصلُ (قبل): يدلُّ على مُواجَهةِ شَيءٍ لشَيءٍ.

لِيُدْحِضُوا: أي: لِيُبطِلوا ويُزيلوا، وأصلُ (دحض): يدلُّ على زَوالِ شيءٍ عن مَقامِه.

تفسير الآيات:

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52).

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ.

أي: واذكُرْ يومَ يقولُ اللهُ للمُشرِكينَ يومَ القيامةِ توبيخًا وتقريعًا لهم: نادُوا آلهَتَكم التي ادَّعيتُم في الدُّنيا كَذِبًا أنَّهم شُرَكائي في العِبادةِ؛ نادُوهم لِيَنصُروكم ويمنَعوكم مِن عَذابي.

كما قال تعالى: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ [الأنعام: 94].

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ.

أي: فاستغاثَ المُشرِكونَ بآلهَتِهم التي كانوا يَعبُدونَها في الدُّنيا، فلم يُجيبوهم ولم يَنصُروهم.(171)

(171) ذكر ابنُ عطية (٥/ ٦٢٢) أنّ قوله: ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم﴾ ظاهره أن ذلك يقع حقيقة، ويحتمل أن يكون استعارة، كأنّ فكرة الكفار ونظرهم في أن تلك الجمادات لا تغني شيئًا ولا تنفع هي بمنزلة الدعاء وترك الإجابة.
ثم رجَّح الأول مستندًا إلى ظاهر الآية، فقال: «والأوَّلُ أبْيَنُ».

كما قال تعالى: وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ [القصص: 64].

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا.

أي: وجعَلْنا بين المُشرِكينَ وآلهتِهم التي عَبَدوها حائِلًا مُهلِكًا[172] يَفصِلُ بينهم؛ فليس لأحدِ الفريقَينِ مِن سَبيلٍ للوُصولِ إلى الآخَرِ.

---

(172) قال ابنُ كثيرٍ عن (الموبق): (يجوزُ أن يكونَ واديًا في جهنَّمَ، أو غيرَه).
((تفسير ابن كثير)) (170/5).
ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (298/15).
وقال ابن عاشور: (والموبقُ هنا أُريدَ به جَهَنَّمُ، أيْ: حينَ دَعَوْا أصنامَهم بأسمائِهم كَوَّنَ اللَّهُ فيما بينَ مكانِهم ومكانِ أصنامِهم فُوَّهاتِ جهنَّمَ).
((تفسير ابن عاشور)) (345/15).
اختُلِف في معنى قوله: ﴿وجعلنا بينهم موبقا﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: وجعلنا فعْلهم ذلك لهم مهلكًا.
والثاني: وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء في الدنيا يومئذ عداوة.
والثالث: هو اسم وادٍ في جهنم.
ورجَّح ابنُ جرير (١٥/ ٢٩٨) مستندًا إلى اللغة، والنظائر القول الأول الذي قاله ابن عباس، وقتادة من طريق معمر، وابن زيد، والضحاك، وعرفجة، فقال: «وذلك أنّ العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلانًا: إذا أهلكته.
ومنه قول الله – عز وجل –: ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ [الشورى: ٣٤]، بمعنى: يُهلكهن.
ويقال للمهلك نفسه: قد وبَق فلان فهو يَوبَق وبقًا».
ثم قال: «وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله –جل ثناؤه– بين هؤلاء المشركين هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو، وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن».
وكذا رجَّحه ابنُ كثير (٩/ ١٥٧) مستندًا إلى السياق، فقال: «والظاهر من السياق هاهنا: أنّه المهلك، ويجوز أن يكون واديًا في جهنم أو غيره، إلا أن الله تعالى أخبر أنه لا سبيل لهؤلاء المشركين، ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا، وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة، فلا خلاص لأحد من الفريقين إلى الآخر، بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير».

كما قال تعالى: وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ [يونس: 28].

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53).

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا.

أي: وعاينَ المُشرِكونَ النَّارَ فتيَقَّنوا(173) أنَّهم داخِلُوها، وواقِعونَ فيها.

وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا.

أي: ولم يجِدِ المُشرِكونَ عن النَّارِ التي رأَوها مَكانًا يَنصَرِفونَ إليه، فيَصرِفُهم عن الوقوعِ فيها، أو طَريقًا يعدِلون عنها إليه، فلا بدَّ لهم منها.

وذكر ابنُ عطية (٥/ ٦٢٢) قولًا بأن قوله: ﴿موبقا﴾ معناه: وعيدًا.

وانتقده بقوله: «وهذا ضعيف».

(173) ممن قال بأنَّ المرادَ بالظنِّ هنا اليقينُ: ابنُ جرير، والبغوي، والقرطبي، وابنُ كثير، والشنقيطي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (299/15)، ((تفسير البغوي)) (200/3)، ((تفسير القرطبي)) (3/11)، ((تفسير ابن كثير)) (171/5)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (298/3)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 95).

ونسَب أبو حيان هذا القولَ إلى أكثرِ الناسِ.

يُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (192/7).

وقيلَ: الظنُّ هنا على موضوعِه مِنْ كونِه ترجيحَ أحدِ الجانبينِ، وكونِهم لم يَجْزِموا بدخولِها رَجاءً وطمعًا في رحمةِ اللهِ.

يُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (524/3)، ((تفسير أبي حيان)) (192/7).

وقال ابنُ عاشور: (والظَّنُّ مُستعملٌ هنا في معنى التحقُّقِ، وهو مِن استعمالاتِه).

((تفسير ابن عاشور)) (346/15).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (524/3).

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54).

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ.

أي: ولقد نَوَّعْنا وكرَّرْنا وبَيَّنَّا في هذا القُرآنِ للنَّاسِ الأمثالَ بعِباراتٍ مُختَلفةٍ، وأساليبَ مُتنوِّعةٍ، ومِن كُلِّ جنسٍ وصِنفٍ؛ لِيَعقِلوا ويتذكَّروا، ويتَّعِظوا ويَهتَدوا إلى الحَقِّ.

وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا.

أي: ومع هذا البَيانِ لم يتقَبَّلوا القُرآنَ، وجادلوا فيه؛ لأنَّ الإنسانَ بطَبعِه هو أكثَرُ الأشياءِ مُجادَلةً ومُخاصَمةً، فيُعارِضُ الحَقَّ بالباطِلِ، فلا يُنيبُ إلى الحَقِّ، ولا يَنزَجِرُ بالمواعِظِ.[174]

---

(174) قال ابنُ عاشور: (المرادُ هنا مُطلَقُ الجدَلِ وبخاصَّةٍ ما كان منه بباطِلٍ، أي: أنَّ كُلَّ إنسانٍ في طَبعِه الحِرصُ على إقناعِ المخالِفِ بأحقيَّةِ مُعتَقَدِه أو عَمَلِه، وسياقُ الكلامِ يقتضي إرادةَ الجدلِ الباطِلِ).

((تفسير ابن عاشور)) (15/349).

وقال ابنُ عثيمين: (إذا مَرَّ بك مِثلُ هذا في القُرآنِ الكريمِ الْإِنْسَانُ فلا تحمِلْه على الكافِرِ إلَّا إذا كان السِّياقُ يعَيِّنُ ذلك، فإذا كان السياقُ يراد به ذلك، صار هذا عامًّا يرادُ به الخاصُّ، لكِنْ إذا لم يكُنْ في السياقِ ما يُعَيِّنُ ذلك فاجعَلْه للعُمومِ؛ اجعَلْه إنسانًا بوَصفِ الإنسانيَّةِ، والإنسانيَّةُ إذا غلَبَ عليها الإيمانُ اضمحَلَّ مُقتضاها المخالِفُ للفِطرةِ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 97).

وقال الشوكاني: (قال الزَّجَّاجُ: المرادُ بالإنسانِ: الكافِرُ، واستدلَّ على أنَّ المرادَ: الكفارُ بقولِه تعالَى: وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ [الكهف: 56]، وقيلَ: المرادُ به في الآيةِ: النَّضرُ بنُ الحارِثِ.

والظَّاهِرُ العمومُ).

((تفسير الشوكاني)) (3/349).

ويُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (3/296).

وقال الشنقيطي: (أي: أكثَرُ الأشياءِ التي مِن شأنِها الخصومةُ إنْ فصَّلْتَها واحِدًا بعد واحدٍ جَدَلًا أي: خُصومةً ومماراةً بالباطِلِ؛ لِقَصدِ إدحاضِ الحَقِّ).

كما قال تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ [النحل: 4].

وعن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، ((أنَّ رَسولَ اللهِ – ﷺ – طَرَقَه[175] وفاطِمةَ بنت رَسولِ اللهِ – ﷺ – ليلةً، فقال لهم: ألَا تُصَلُّونَ؟! قال عليٌّ: فقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّما أنفُسُنا بيَدِ اللهِ، فإذا شاء أن يبعَثَنا بعَثَنا، فانصرف رَسولُ الله – ﷺ – حين قلتُ ذلك، ولم يرجِعْ إليَّ شيئًا، ثمَّ سَمِعتُه وهو مُدبِرٌ يَضرِبُ فَخِذَه ويقولُ: وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)).[176]

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55).

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ.

((أضواء البيان)) (301/3).

ويُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (729/2)، ((تفسير أبي حيان)) (193/7).

(175) طَرَقَه: أي: أتاه في اللَّيلِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (64/6).

(176) رواه البخاري (7465) واللفظ له، ومسلم (775).

قال ابنُ تيمية: (هذا الحديثُ نَصٌّ في ذَمِّ مَن عارضَ الأمرَ بالقَدَرِ؛ فإنَّ قولَه: «إنَّما أنفُسُنا بيد الله» إلى آخِره، استنادٌ إلى القَدَرِ في تَركِ امتثالِ الأمرِ، وهي في نفسِها كَلِمةُ حَقٍّ؛ لكِنْ لا تصلُحُ لمعارضةِ الأمرِ، بل معارضةُ الأمرِ بها من بابِ الجَدَلِ المذمومِ الذي قال اللهُ فيه: وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا).

((مجموع الفتاوى)) (229/15).

أي: وما منع النَّاسَ مِن الإيمانِ بالحَقِّ حين جاءَهم، وأن يَطلُبوا مِن رَبِّهم مَغفِرة ذُنوبِهم.[177]

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ.

أي: إلا ما قدَّره الله وسبَق في علمِه أنَّهم لا يؤمنون، بل يستمرُّون على كفرِهم حتى يأتيَهم سنةُ الأممِ الكافرةِ قبلَهم، وهي عذابُ الاستئصالِ، والإهلاكُ في الدُّنيا.[178]

---

(177) مِن المفسِّرينَ مَن ذهَب إلى أنَّ المرادَ بـ النَّاسَ: الكُفَّارُ والمُشركون في عهدِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وأنَّ المرادَ بالهُدى: ما جاء به محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم.

ومنهم: ابنُ جريرٍ، وابنُ عطية.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/300)، ((تفسير ابن عطية)) (3/525).

قال ابنُ الجوزي: (قوله تعالى: وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا قال المفسِّرون: يعني: أهلَ مكة إذ جاءهم الهُدى، وهو محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم، والقرآنُ، والإسلامُ).

((تفسير ابن الجوزي)) (3/92).

وقيل: المعنى: وما منع الكُفَّارَ مِن جميعِ الأمم أن يؤمِنوا حين جاءَتْهم رسُلُهم بالبيِّناتِ.

وممن قال بذلك: ابنُ كثير، وابنُ عاشور، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/172)، ((تفسير ابن عاشور)) (15/349، 350)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/303، 304).

(178) وممن ذهب إلى المعنى المذكور: الواحدي، وابنُ جزي، والشنقيطي. يُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 665)، ((تفسير ابن جزي)) (1/468)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/303، 304).

قال ابن المظفر الرازي: (تحقيقُه: أنَّه وعيدٌ وتهديدٌ لهم بالعذابِ، كأنَّه قال: إنَّهم لا يؤمنونَ إلى أن يأتيَهم العذابُ، فحينئذٍ يؤمنونَ، ولا ينفعُهم إيمانُهم، نظيره: كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [الشعراء: 200، 201]، كما تقولُ في الشاهدِ لعدوِّك: ما تريدُ إلَّا أن أقتلَك، ولا شكَّ أنَّه لا يريدُ ذلك، كأنَّه قال: إنَّما يمتنعونَ مِن الإيمانِ لأعذبَهم.

والله أعلم).

((مباحث التفسير)) (ص: 208).

كما قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ [الحجر: 10 – 13].

وقال عزَّ وجلَّ: كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ [الذاريات: 52– 53].

وقال سُبحانَه: بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ [المؤمنون: 81 – 83].

وقال عزَّ وجلَّ: وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا [الإسراء: 59].

وقيل: المعنى: ما منَعَ النَّاسَ أن يؤمنوا إلَّا الذي منَع الأوَّلينَ قَبلَهم؛ مِن عادةِ العِنادِ والطغيانِ، وطريقتِهم في تكذيبِ الرسُـــلِ، والاستخفافِ بهم.

فمَنَعهم تقليدُ سُنَّةِ الأوَّلينَ مِن الإيمانِ إلى أن يأتيَهم العذابُ كما أتى الأوَّلينَ.

وممن قال به: ابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (350/15).

وقيل: المعنى: ما منَع الناسَ مِن الإيمانِ إلَّا طلبُ مجيءِ العذابِ، كما أتَى الأوَّلينَ عندَ امتناعِهم مِن الإيمانِ.

وممن ذهَب إلى هذا المعنى: الزجاج، ومكي بنُ أبي طالبٍ، وابنُ كثيرٍ.

يُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (296/3)، ((الهداية)) لمكي (4410/6)، ((تفسير ابن كثير)) (172/5). ((مباحث التفسير)) (ص: 208).

وقال سُبحانه: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ [غافر: 84- 85].

أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا.

أي: أو[179] يأتيَ العذابُ الكُفَّارَ عِيانًا يَرَونَه أمامَ وُجوهِهم.[180]

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

---

(179) قال ابنُ الجوزي: (ذكر ابنُ الأنباري في أَوْ هاهنا ثلاثةَ أقوالٍ: أحدُها: أنَّها بمعنى الواوِ.
والثاني: أنَّها لوقوعِ أحدِ الشيئينِ؛ إذ لا فائدةَ في بيانِه.
والثالثُ: أنَّها دخلَتْ للتَّبعيضِ، أي: أنَّ بعضَهم يقَعُ به هذا، وبعضَهم يقعُ به هذا).
((تفسير ابن الجوزي)) (92/3).
وقال ابنُ عاشور: («أو» هي التي بمعنى «إلى»، وانتصابُ فعلِ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ بـ «أن» مضمرةٍ بعدَ «أو».
و «أو» متصلةُ المعنى بفعلِ «مَنَع»، أي: منَعَهم تقليدُ سنةِ الأولينَ مِن الإيمانِ إلى أن يأتيَهم العذابُ كما أتى الأوَّلينَ).
((تفسير ابن عاشور)) (350/15).
(180) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (301/15)، ((تفسير ابن كثير)) (172/5)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (88/12)، ((تفسير السعدي)) (ص: 480)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (305/3)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 99).
وقال الشوكاني: (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ أي: عذابُ الآخرةِ قُبُلًا: قال الفرَّاء: إنَّ قُبُلًا جمعُ قَبيلٍ، أي: متفرِّقًا يتلو بعضُه بعضًا.
وقيل: عِيانًا.
وقيل: فجأةً.
ويناسِبُ ما قاله الفرَّاءُ قراءةُ أبي جعفرٍ وعاصمٍ والأعمشِ وحمزةَ والكسائيِّ ويحيى بن وثَّاب وخلف قُبُلًا بضمتين، فإنَّه جمعُ قبيل، نحوُ سَبيل وسُبُل، والمرادُ أصنافُ العذابِ، ويناسِبَ التفسيرَ الثانيَ -أي: عِيانًا- قراءةُ الباقين بكسرِ القاف وفتح الباءِ: أي: مُقابلةً ومُعاينةً، وقرئ بفتحتين على معنى: أو يأتيَهم العذابُ مُستقبلًا، وانتصابُه على الحال.
فحاصِلُ معنى الآية أنَّهم لا يؤمنون ولا يَستغفِرون إلَّا عند نزولِ عذابِ الدنيا المستأصِلِ لهم، أو عند إتيان أصنافِ عذابِ الآخرةِ أو معاينتِه).
((تفسير الشوكاني)) (350/3).

1- قِراءةُ قُبُلًا بضَمِّ القافِ والباءِ، قيل: جمعُ (قَبيلٍ)، أي: صنفًا صنفًا، ونوعًا نوعًا، والمعنى: يأتيهم العذابُ أنواعًا وأصنافًا مُختَلفةً يتلو بَعضُها بعضًا. وقيل: (قُبُل) بالضمِّ بمعنَى (قِبَل) بكسرِ القافِ، أي: مواجهةً، والمعنى: يأتيهم العذابُ عِيانًا أمامَ وُجوهِهم.[181]

2- قِراءةُ قِبَلًا بكَسرِ القافِ وفتحِ الباءِ، أي: يأتيهم العذابُ عِيانًا أمامَ وُجوهِهم.[182]

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56).

---

(181) قرأ بها عاصمٌ، وحمزةُ، والكسائي، وأبو جعفرٍ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (311/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (301/15)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (153/5، 154)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 420)، ((تفسير ابن عطية)) (335/2)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (305/3).

(182) قرأ بها الباقون.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (311/2).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (301/15)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (153/5)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 420)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (305/3).
اختلف في قراءة قوله: ﴿قبلا﴾؛ فقرأ قوم: ﴿قُبُلا﴾ بالضم.
وقرأ غيرهم: ﴿قِبَلا﴾.
وذكر ابنُ جرير (١٥/ ٣٠١) أنّ قراءة الضم بمعنى: أنه يأتيهم من العذاب ألوان وضروب، وأنهم وجهوا القُبُل إلى جمع قبيل، كما يُجمع القَتيل: القُتُل، والجديد: الجُدد.
وأن القراءة الأخرى بمعنى: أو يأتيهم العذاب عيانًا، مِن قولهم: كلمته قِبلًا.
وذكر ابنُ عطية (٥/ ٦٢٥) أنّ قراءة الضم تحتمل معنيين: أحدهما: أن يكون بمعنى: قِبَل؛ لأن أبا عبيدة حكاهما بمعنًى واحد في المقابلة.
والآخر: أن يكون جمع قَبيل، أي: يجيئهم العذاب أنواعًا وألوانًا.

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

أي: وما نُرسِلُ الرُّسُلَ إلَّا لِيُبَشِّروا المُؤمنينَ بالثَّوابِ العاجِلِ والآجِلِ، ويُنذِروا الكافِرينَ بالعِقابِ العاجِلِ والآجِلِ، ولم نُرسِلْهم عَبَثًا، ولا لِيَتَّخِذَهم النَّاسُ أربابًا، ولا لِيدْعوا إلى أنفُسِهم، ولا لِيَجبُروا النَّاسَ على الإيمانِ، ولا لِيُجيبوا أقوامَهم إلى طَلَبِ الآياتِ المُقتَرَحةِ أو إتيانِهم بالعَذابِ والهَلاكِ؛ فليس لهم ذلك ولا هو مِن مَهامِّهم.

وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.

أي: لَسْنا نَبعَثُ رُسُلَنا للجِدالِ والخُصُوماتِ، وإنَّما نَبعَثُهم مُبَشِّرينَ ومُنذِرينَ، ولكِنَّ الكُفَّارَ يُخاصِمونَ رُسُلَهم بالباطِلِ؛ لِيُزيلوا ويُبطِلوا بجِدالِهم الحقَّ الذي جاءَت به الرُّسُلُ.(183)

كما قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [التوبة: 32].

(183) قال الشّنقيطي: (كقولِهم في الرّسولِ: ساحِرٌ، شاعِرٌ، كاهِنٌ، وكقولِهم في القرآنِ: أساطيرُ الأوَّلينَ، سِحر، شِعر، كهانة، وكسُؤالِهم عن أصحابِ الكهف، وذي القرنين، وسؤالِهم عن الرُّوحِ؛ عِنادًا وتعنُّتًا، ليُبطِلوا الحقَّ بجدالهم وخِصامِهم بالباطِلِ).
((أضواء البيان)) (306/3).

وقال ابنُ عثيمين: (مثالُ ذلك في الرسلِ يقولون: أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا [التغابن: 6]، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً [المؤمنون: 24] ، ويجادلونَ في البَعثِ فيقولون: قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ [يس: 78] ، ويجادِلون في الآلهة؛ يقولون: إذا كان المشركون وما يَعبُدونَ مِن دون الله حَصَبَ جهنَّم، فعيسى عليه السَّلامُ مِن حَصَبِ جهنَّمَ، وغير ذلك من المجادلة، وقد أبطل اللهُ مجادلتَهم بعيسى؛ قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى، ومنهم عيسى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ [الأنبياء: 101]).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 100).

وقال سُبحانه: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ [غافر: 5].

وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا.

أي: وجعَل الكُفَّارُ حُجَجي وبَراهيني، وما أيَّدتُ به رُسُلي من المُعجِزاتِ، وما خُوِّفوا به مِن العذابِ، موضعَ سخريةٍ واستخفافٍ واستهزاءٍ.

سورةُ الكَهفِ

الآيات (57–59)

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ
أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) وَرَبُّكَ
الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ
دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)

غريب الكلمات:

أَكِنَّةً: أي: أغطيةً، جمعُ كِنانٍ، وهو الغِطاءُ، وأصلُ (كنن): يدلُّ على سترٍ وصونٍ.

وَقْرًا: أي: ثِقَلًا، وصممًا، وأصلُ (وقر): يدلُّ على ثِقَلِ الشيءِ.

مَوْئِلًا: أي: مَلْجَأً؛ يُقال: وَأَلَ فلانٌ إلى كذا: إذا لجأ، وأصلُ (وأل): يدُلُّ على تجَمُّعٍ والتِجاءٍ.

تفسير الآيات:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ.

أي: ولا أحدَ أظلمُ لِنفسِه ممَّن ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّه[184] التي تَدُلُّه على طريقِ الحَقِّ والنَّجاةِ مِن الهلاكِ، فأعرضَ عنها، فلم يتدبَّرْها، ولم يتَّعِظْ ويتذكَّرْ بها، ونَسِيَ ما عَمِلَ مِن السيِّئاتِ مِن الكُفرِ والمعاصي، فلم يتفكَّرْ في عاقِبتِها، ولم يَتُبْ إلى اللهِ منها.[185]

---

(184) قال الشنقيطي: (لا أحدَ أظلَمُ، أي: أكثَرُ ظُلمًا لنفسِه مِمَّنْ ذُكِّرَ، أي: وُعِظَ بآياتِ رَبِّه، وهي هذا القرآنُ العظيمُ فَأَعْرَضَ عَنْهَا أي: تولَّى وصَدَّ عنها.
وإنَّما قلنا: إنَّ المرادَ بالآياتِ: هذا القرآنُ العظيمُ؛ لقرينةِ تذكيرِ الضـميرِ العائدِ إلى الآياتِ في قوله: أَنْ يَفْقَهُوهُ، أي: القرآنَ المُعبَّرَ عنه بالآياتِ، ويحتملُ شمولُ الآيات للقرآنِ وغيرِه، ويكونُ الضميرُ في قوله: أَنْ يَفْقَهُوهُ أي: ما ذُكِرَ مِن الآياتِ).
((أضواء البيان)) (309/3).
وقال ابنُ عثيمين: (قوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ أي: ذكَّرَه الواعِظُ بآياتِ ربِّه الكونيَّةِ، كأخْذِه الأمَمَ المكذِّبينَ، أو الشَّرعيةِ، كالقُرآنِ).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 102).
وقال الشوكاني: (أي: لا أحدَ أظلمُ لنفسِه مِمَّنْ وُعِظَ بآياتِ رَبِّه التَّنزيلِيَّةِ أو التَّكوينيَّةِ أو مجموعِهما).
((تفسير الشوكاني)) (350/3).

(185) قال ابنُ عاشـور: (ومعنى نسـيانِ ما قدَّمت يداه أنَّه لم يَعرِضْ حالَه وأعمالَه على النظَرِ والفِكرِ؛ لِيَعلمَ أهي صـالحةٌ لا تُخشى عواقِبُها، أم هي سيِّئةٌ مِن شأنِها ألَّا يَسلَمَ مُقترِفُها من مؤاخذةٍ.

كما قال تعالى: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ [المجادلة: 6].

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ.

والصلاحُ بَيِّنٌ والفسادُ بيِّنٌ؛ ولذلك سمِّيَ الأوَّلُ معروفًا، والثاني منكرًا، ولا سيَّما بعدَ أن جاءَتهم الذِّكرى على لسانِ الرسولِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهم بمجموعِ الحالَينِ أشدُّ الناسِ ظُلمًا، ولو تفكَّروا قليلًا لعَلِموا أنَّهم غيرُ مُفلِتينَ مِن لقاءِ جزاءِ أعمالِهم).

((تفسير ابن عاشور)) (354/15).

وقال أيضًا: (والنسيانُ: مُستعمَلٌ في التغاضي عن العَمَلِ).

((تفسير ابن عاشور)) (355/15).

وقال الشنقيطي: (اليدُ أكثَرُ مُزاولةً للأعمالِ مِن غيرِها من الأعضاءِ، فنُسِبَت الأعمالُ إليها على عادةِ العرَبِ في كلامِهم، وإن كانت الأعمالُ التي قدَّمها: منها ما ليس باليدِ، كالكُفرِ باللسانِ والقَلبِ، وغير ذلك من الأعمالِ التي لا تزاوَلُ باليدِ، كالزِّنا).

((أضواء البيان)) (310/3).

أي: إنَّا جعَلْنا[186] على قُلوبِ هؤلاء المُعرِضينَ عن آياتِ اللهِ إذا ذُكِّروا بها أغطيةً؛ لِئَلَّا يَفهَموا ما ذُكِّروا به منها، ولا يُدرِكوا معانيَها إدراكًا ينتَفِعونَ به.[187]

---

(186) قوله: إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً قيل: إنه تعليلٌ لإعراضِهم ونسيانِهم، وممن ذهَب إلى ذلك: البيضاوي، والبقاعي، والشوكاني، والقاسمي.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (3/285)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (13/91-92)، ((تفسير الشوكاني)) (3/350)، ((تفسير القاسمي)) (7/45).

قال القاسمي: (والجملةُ تعليلٌ لإعراضِهم ونسيانِهم، بأنَّهم مطبوعٌ على قلوبِهم؛ وذلك لإيثارِهم الضَّلالَ على الهدى، كما قال تعالى: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ).

((تفسير القاسمي)) (7/45).

وقد دلَّت آياتٌ كثيرةٌ على أنَّ الأكنَّةَ والطبعَ والختمَ ونحوَ ذلك سَبَبُه الأوَّلُ الإعراضُ عن آياتِ اللَّهِ، والكفرُ بها.

يُنظر: ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/312)، ((تفسير السعدي)) (ص: 481).

وقال ابن القيم: (قال: وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا [الإسراء: 46] ، وهذه الأكِنَّةُ والوَقرُ: هي شِدَّةُ البُغضِ والنُّفرةِ والإعراضِ، التي لا يستطيعون معها سمعًا ولا عقلًا، والتحقيقُ أنَّ هذا ناشئٌ عن الأكِنَّةِ والوَقرِ فهو موجِبُ ذلك ومقتضاه، فمن فسَّر الأكِنَّةَ والوَقْرَ به، فقد فسَّرَهما بموجِبِهما ومقتضاهما.

وبكُلِّ حال فتلك النُّفرةُ والإعراضُ والبُغضُ: من أفعالِهم، وهي مجعولةٌ لله سبحانه، كما أنَّ الرأفةَ والرحمةَ ومَيلَ الأفئدةِ إلى بيتِه: هو مِن أفعالِهم، والله جاعِلُه، فهو الجاعِلُ للذواتِ وصفاتِها وأفعالِها، وإراداتِها واعتقاداتِها، فذلك كلُّه مجعولٌ مخلوقٌ له، وإن كان العبدُ فاعِلًا له باختيارِه وإرادتِه).

((شفاء العليل)) (ص: 56).

(187) ممَّن أعاد الضميرَ في قولِه تعالى: يَفْقَهُوهُ إلى القرآنِ: ابنُ تيميةَ، وابنُ كثيرٍ، والبقاعي، والشنقيطي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (13/284)، ((تفسير ابن كثير)) (5/173)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (12/92)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/309)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 104).

قال ابنُ تيميَّةَ: (قَولُه: أَنْ يَفْقَهُوهُ يتناولُ مَن لم يفهَمْ منه تفسيرَ اللَّفظِ كما يُفهَمُ بمجرَّد العربيةِ، ومَن فَهِمَ ذلك لكِنْ لم يعلَمْ نفسَ المرادِ في الخارجِ، وهو: «الأعيان» و«الأفعال» و«الصفات» المقصودةُ بالأمرِ والخبرِ؛ بحيث يراها ولا يعلَمُ أنَّها مدلولُ الخِطابِ، مِثلُ: مَن يعلَمُ وَصفًا مذمومًا ويكونُ هو متَّصِفًا به أو بعضًا من جِنسِه، ولا يعلَمُ أنَّه داخِلٌ فيه).

((مجموع الفتاوى)) (16/9).

وقال ابنُ القَيِّم في نظيرِ هذه الآيةِ من سورةِ الإسراءِ، الآية (46): (أخبر سبحانَه أنَّه منَعَهم فِقهَ كَلامِه، وهو الإدراكُ الذي يَنتفِعُ به من فَقِهَه، ولم يكن ذلك مانعًا لهم من الإدراكِ الذي تقومُ به الحجَّةُ عليهم...

كما قال تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [البقرة: 7].

وقال سُبحانَه: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [الجاثية: 23].

وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا.

أي: وجعَلْنا في آذانِ المُعرِضينَ عن آياتِ اللهِ ثِقلًا؛ لئلَّا يَسمَعوا آياتِه سَماعَ فَهمٍ وانتِفاعٍ بها.

وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا.

أي: وإن تَدعُهم -يا مُحمَّدُ- إلى طريقِ الحَقِّ، فلن يَسلُكوه أبدًا؛ لإعراضِهم، وطبْعِ اللهِ على قُلوبِهم وأسماعِهم.(188)

ومعلومٌ أنَّهم لم يَعدَموا السَّمعَ جملةً ويصيروا كالأصَمِّ؛ ولذلك ينفي سُبحانَه عنهم السَّمعَ تارةً، ويُثبِتُه أخرى؛ قال الله تعالى: وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ [الأنفال: 23]، ومعلومٌ أنهم قد سمعوا القرآنَ، وأمَرَ الرَّسولَ بإسماعِهم إيَّاه؛ وقال تعالى: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ [الملك: 10]، فهذا السَّمعُ المنفيُّ عنهم سَمعُ الفَهمِ والفِقهِ.

والمعنى: ولو عَلِمَ الله فيهم خيرًا لأسمَعَهم سمعًا ينتفِعونَ به، وهو فِقهُ المعنى وعَقلُه، وإلَّا فقد سمعوه سمعًا تقومُ به عليهم الحُجَّةُ، ولكِنْ لَمَّا سَمِعوه مع شِدَّةِ بُغضِه وكراهتِه ونُفرتِهم عنه، لم يفهَموه!).

((مفتاح دار السعادة)) (1/101-102).

(188) قال السعدي: (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا [الكهف: 57] ؛ لأنَّ الذي يُرجى أن يُجيبَ الدَّاعيَ للهُدى مَن ليس عالِمًا، وأما هؤلاء الذين أبصروا ثمَّ عَموا، ورأوا طريقَ الحَقِّ فتركوه، وطريقَ الضَّلالِ فسلَكوه، وعاقَبَهم الله بإقفالِ القلوبِ والطبعِ عليها: فليس في هدايتِهم حيلةٌ ولا طريقٌ).

((تفسير السعدي)) (ص: 481).

كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [البقرة: 6- 7].

وقال سُبحانَه: إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس: 96- 97].

وقال عزَّ وجلَّ: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ [النمل: 80- 81].

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58).

وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ.

أي: وربُّك -يا مُحَمَّدُ- كثيرُ السَّترِ على ذُنوبِ عِبادِه، والتَّجاوُزِ عن مؤاخَذتِهم بها، وهو الرَّحيمُ بهم.(189)

وقال الشنقيطي: (هذه الآيةُ وأمثالُها في القرآنِ فيها وجهانِ معروفانِ عندَ العلماءِ: أحدُهما: أنَّها في الذين سبَق لهم في علمِ الله أنَّهم أشقياءُ، عياذًا بالله تعالى.

والثاني: أنَّ المرادَ أنَّهم كذلك ما داموا متلبِّسينَ بالكفرِ، فإنْ هداهم الله إلى الإيمانِ وأنابوا زال ذلك المانِعُ.

والأوَّلُ أظهَرُ، والعِلمُ عندَ الله تعالى).

((أضواء البيان)) (3/314).

(189) قال الرسعني: (ذُو الرَّحْمَةِ بهم إذ لم يُعاجِلْهم بالعقوبةِ).

لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ.

أي: لو أراد اللهُ أن يُعاقِبَ هؤلاء الكفارَ، المُعرِضينَ عن آياتِه، بما عَمِلوا من الذُّنوبِ والآثامِ التي من جُملتِها: الكُفرُ، والمُجادلةُ، والإعراضُ؛ لعجَّلَ لهم العذابَ في الدُّنيا، ولكِنَّه تعالى لاتِّصافِه بالمغفرةِ والرَّحمةِ، ترَكَ معاجَلتَهم.(190)

كما قال تعالى: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى [فاطر: 45].

بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا.

((تفسير الرسعني)) (310/4).

ويُنظر: ((تفسير الشوكاني)) (350/3).

وقال الشنقيطي: (ذُو الرَّحْمَةِ: يرحَمُ عبادَه المؤمنينَ يومَ القيامةِ، ويرحمُ الخلائقَ في الدُّنيا).

((أضواء البيان)) (316/3).

(190) وممن اختار المعنَى المذكورَ، وهو أنَّ الضـميرَ في قولِه: يُؤَاخِذُهُمْ يعودُ على الكفارِ: ابنُ جريرٍ، والبغوي، وابنُ عطيةَ، وهو ظاهرُ اختيارِ الشوكاني.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (304/15)، ((تفسير البغوي)) (201/3)، ((تفسير ابن عطية)) (526/3)، ((تفسير الشوكاني)) (350/3، 351).

وممن اختار أنَّه يعودُ على الناسِ: السعدي، والشنقيطي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 481)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (316/3)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 105).

أي: ولكنْ لهم مَوعِدٌ[191] مَضروبٌ، وأجلٌ مقدَّرٌ لعذابِهم، يُؤَخِّرُهم اللهُ إليه، ولن يَجِدوا مَلجَأً يَلجَؤون إليه مِنَ العذابِ.

---

(191) قيل: المرادُ بالموعِدِ هنا: يومُ القيامةِ.

وممن قال بذلك: البغوي، والخازنُ، وهو ظاهرُ اختيارِ ابنِ كثيرٍ، واختاره ابنُ عثيمين.

ونسَبه الواحدي إلى المفسِّرينَ.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (3/201)، ((تفسير الخازن)) (3/169)، ((تفسير ابن كثير)) (5/173)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 106)، ((البسيط)) للواحدي (14/62).

وممن قال مِن السلفِ: إنَّ الموعدَ هنا يومُ القيامةِ: السديُّ.

يُنظر: ((تفسير ابن أبي حاتم)) (7/2369).

وقيل: المرادُ به: يومُ بدرٍ.

وممن اختار ذلك: ابنُ جريرٍ، والزمخشري، والنسفي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (15/304)، ((تفسير الزمخشري)) (2/730)، ((تفسير النسفي)) (2/308).

قال ابنُ عطيةَ: (ولكنَّه تعالى أخَّرَهم إلى موعدٍ لا يجِدون عنه منجًى، قالت فرقةٌ: هو أجَلُ الموتِ، وقالت فرقةٌ: هو عذاب الآخرة، وقال الطبري: هو يومُ بدرٍ ...).

((تفسير ابن عطية)) (3/526).

وقال القرطبي: (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ أي: أجَلٌ مقَدَّرٌ يؤخَّرون إليه، أي: إذا حَلَّ لم يتأخَّرْ عنهم إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة).

((تفسير القرطبي)) (11/7-8).

وقال القاسمي: (الموعدُ المذكورُ هو يومُ بدرٍ، أو: الفتحُ المشارُ إليه في كثيرٍ مِن الآياتِ، أو: يومُ القيامةِ.
والكلُّ لاحقٌ بهم).

((تفسير القاسمي)) (7/46).

وقال ابنُ عثيمين: (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا [الكهف: 58] ، أي: مكانًا يؤولون إليه، وهذا يومُ القيامةِ، ويحتَمِلُ أن يكونَ ما يحصُلُ للكفَّارِ مِن القَتلِ على أيدي المؤمنين، كما قال عزَّ وجلَّ: قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ [التوبة: 14، 15] إذًا يحتَمِلُ أن يكونَ المرادُ ما سيكونُ عليهم من القَتلِ والأخذِ في الدنيا، أو ما سيكونُ عليهم يوم القيامة الذي لا مفَرَّ منه).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 106).

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59).

وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا.

أي: وتلك قُرى قومِ نُوحٍ، وهُودٍ، وصالحٍ، وشُعَيبٍ، ولوطٍ، وغيرِهم من الأُمَمِ الماضيةِ؛ أهلَكْنا أهلَها لَمَّا ظَلَموا أنفُسَهم بالكُفرِ والمعاصي.

كما قال تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا [الفرقان: 37 – 39].

وقال سُبحانَه: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ [هود: 100 – 102].

وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا.

أي: وجعَلْنا لوَقتِ إهلاكِ القُرى الظَّالِمةِ مِيقاتًا معلومًا وموعِدًا مُقَدَّرًا لا يُتقَدَّمُ عنه ولا يُتأخَّرُ.[192]

---

(192) قال البقاعي: (كما أنَّا جعَلْنا لهؤلاء موعِدًا في الدنيا بيوم بدرٍ والفتحِ وحُنَينٍ ونحوِ ذلك، وفي الآخرةِ لن نُخلِفَه، وكذا كُلُّ أمرٍ يقولُه نبيٌّ من الأنبياءِ عَنَّا لا يقَعُ فيه خُلفٌ).
((نظم الدرر)) (12/94).

كما قال تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [الأعراف: 34].

وقال سُبحانَه: وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [النحل: 61].

سورةُ الكَهفِ

الآيات (60–70)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا
مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا
غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا
كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا
وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا
(66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)
قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي
عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70)

غريب الكلمات:

لَا أَبْرَحُ: أي: لا أزالُ سائِرًا، مِن قَولِهم: بَرِحَ الرَّجُل بَراحًا: إذا راح مِن مَوضِعِه، وأصلُ (برح): يدلُّ على الزَّوالِ.

مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ: أي: اجتماعَهما، أو: مُلتقاهما، وأصلُ (جمع): يدُلُّ على تضامِّ الشَّيءِ.

حُقُبًا: أي: زَمانًا ودَهرًا، وجَمْعُه: أحقابٌ، ولا يكادُ يُستعملُ الحقبُ إلَّا حيثُ يُرادُ تتابعُ الأزمنةِ وتَواليها، وأصلُ (حقب): يدلُّ على ترادُفٍ وتتابُعٍ.

سَرَبًا: أي: طريقًا ومَذهَبًا، وأصلُ (سرب): يدلُّ على الاتِّساعِ والذَّهَابِ في الأرضِ.

نَصَبًا: أي: تَعَبًا وعَناءً، وأصلُ (نصب): يدُلُّ على إقامةِ شَيءٍ، لأنَّ الإنسانَ لا يزالُ مُنتَصِبًا حتى يُعيِي.

فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا: أي رَجَعا مِنَ الطَّريقِ الذي سَلَكاه يتتبَّعانِ الأثَرَ، والارتدادُ: الرُّجوعُ، والقَصَصُ: اتِّباعُ الأثَرِ. وأصلُ (رد): يدلُّ على رَجعِ الشَّيءِ، و (أثر): يدُلُّ على رَسمِ الشَّيءِ الباقي، و (قص): يدُلُّ على تتبُّعِ الشَّيءِ.

خُبْرًا: أي: عِلمًا، والخُبْرُ: العلمُ بالأشياءِ المعلومةِ من جهةِ.

تفسير الآيات:

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ.

أي: واذكُرْ -يا مُحمَّدُ- حينَ قال موسَى[193] لفتاه يُوشَعَ بنِ نون:[194] لا أزالُ أسيرُ في طَلَبِ العَبدِ الذي أخبَرَني اللهُ بعِلمِه وفَضلِه، حتى أصِلَ إلى مَوضِعِ مُلتقَى البَحرينِ الذي أعرِفُه[195] فألقاه هناك.

عن عُبَيدِ اللهِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ عُتبةَ بنِ مَسعودٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه تمارى هو والحُرُّ بنُ قَيسِ بنِ حصنٍ الفَزاريُّ في صاحِبِ موسى، فمَرَّ بهما أُبَيُّ بنُ كَعبٍ، فدعاه ابنُ عبَّاسٍ فقال: إنِّي تماريتُ أنا وصاحِبي هذا في صاحِبِ موسى الذي سأل السَّبيلَ إلى لُقِيِّه، هل سَمِعتَ رَسولَ اللهِ - ﷺ - يذكُرُ شأنَه؟ فقال أُبَيٌّ: نعم، سَمِعتُ النبيَّ - ﷺ - يَذكُرُ شأنَه يقول: ((بينَما موسَى في ملإٍ مِن بني إسرائيلَ،

---

(193) قال الشوكاني: (اتَّفق أهلُ العِلمِ على أنَّ موسى المذكورَ هو موسى بنُ عِمرانَ؛ النبيُّ المرسَلُ إلى فرعونَ).
((تفسير الشوكاني)) (352/3).

(194) قال ابن الجوزي: (فأمَّا فتاه فهو يوشَعُ بنُ نون، مِن غيرِ خلافٍ؛ وإنَّما سُمِّي فتاه؛ لأنَّه كان يلازِمُه، ويأخذُ عنه العِلمَ ويَخدُمُه).
((تفسير ابن الجوزي)) (95/3).
وقال أبو حيان: (والفتى: الشابُّ، ولَمَّا كان الخَدَمُ أكثَرَ ما يكونون فِتيانًا، قيل للخادمِ: فتًى، على جهةِ حُسنِ الأدَبِ، ونَدَبت الشريعةُ إلى ذلك؛ ففي الحديث: «لا يَقُلْ أحَدُكم: عبدي، ولا أمَتي، وليَقُلْ: فَتايَ وفتاتي»).
((تفسير أبي حيان)) (198/7).

(195) قال الشنقيطي: (تعيينُ الْبَحْرَيْنِ لا دليلَ عليه من كتابٍ ولا سُنَّةٍ، وليس في معرفتِه فائدةٌ؛ فالبَحثُ عنه تعَبٌ لا طائِلَ تحته، وليس عليه دليلٌ يجِبُ الرجوعُ إليه).
((أضواء البيان)) (322/3).

إذ جاءه رجُلٌ فقال: أتعلَمُ أحدًا أعلَمَ منك؟ قال موسى: لا، فأوحى اللهُ عزَّ وجَلَّ إلى موسى: بلى، عَبدُنا خَضِرٌ، فسأل السَّبيلَ إلى لُقِيِّه، فجعَلَ اللهُ له الحوتَ آيةً، وقيل له: إذا فقَدْتَ الحُوتَ فارجِعْ فإنَّك ستلقاه، فكان موسى صَلَّى اللهُ عليه يَتبَعُ أثَرَ الحوتِ في البَحرِ، فقال فتى موسى لموسى: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، قال موسى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فوجدا خَضِرًا، فكان من شأنِهما ما قصَّ اللهُ في كتابِه)).[196]

وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، قال: قلتُ لابنِ عَبَّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَاليَّ[197] يزعُمُ أنَّ موسى صاحِبَ الخَضِرِ ليس هو موسى صاحِبَ بني إسرائيلَ! فقال ابنُ عبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ،[198] حدَّثَني أُبَيُّ بنُ كعبٍ أنَّه

---

(196) رواه البخاري (78) واللفظ له، ومسلم (2380).

(197) هو نوفُ بنُ فضالَةَ البِكاليُّ الشَّاميُّ، ابنُ امرأةِ كعبِ الأحبارِ، قال ابنُ حجرٍ: (مستورٌ، وإنما كذَّب ابنُ عباسٍ ما رواه عن أهلِ الكتابِ).

يُنظر: ((تاريخ الإسلام)) للذهبي (1013/2)، ((تقريب التهذيب)) لابن حجر (ص: 567).

انتقد ابنُ عطية (٥/ ٦٢٨) قول نوف البكالي، ورجَّح القول بأنه موسى بن عمران نبي الله مستندًا لظاهر القرآن، والسنة، والتاريخ، فقال: «ومُوسى هو موسى بن عمران، بمقتضى الأحاديث والتواريخ وبظاهر القرآن؛ إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران، ولو كان في هذه الآية غيره لبينه».

ووجَّه المراد بفتى موسى على القولين، فقال: «فعلى قول مَن قال موسى بن عمران فهو يوشع بن نون بن إفراييم بن يوسف بن يعقوب، وأما من قال هو موسى بن مشنى فليس الفتى يوشع بن نون، ولكنه قول غير صحيح، رده ابن عباس وغيره».

(198) قال النووي في قوله: (كذَب عدوُّ الله): (قال العلماءُ: هو على وجهِ الإغلاظِ والزَّجرِ عن مِثلِ قَولِه، لا أنَّه يعتقِدُ أنَّه عدوُّ الله حقيقةً، إنما قاله مبالغةً في إنكارِ قَولِه؛ لِمُخالفته قولَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وكان ذلك في حالِ غَضَبِ ابنِ عبَّاسٍ؛ لشدةِ إنكارِه، وحالُ الغَضَبِ تُطلَقُ الألفاظُ، ولا تُرادُ بها حقائِقُها).

((شرح النووي على مسلم)) (137/15).

ويُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (413/8).

سَمِعَ رَسولَ الله – ﷺ – يقولُ: ((إنَّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيلَ، فسُئِلَ: أيُّ النَّاسِ أعلَمُ؟ فقال: أنا، فعتَبَ اللهُ عليه؛ إذ لم يَرُدَّ العِلمَ إليه، فأوحى اللهُ إليه: إنَّ لي عبدًا بمَجمَعِ البَحرينِ هو أعلَمُ منك...)) فذكَر الحديثَ إلى أن قال: ((رجعا يَقُصَّانِ آثارَهما حتى انتهَيا إلى الصَّخرةِ، فإذا رجلٌ مُسجًّى[199] ثوبًا فسَلَّمَ عليه موسى، فقال الخَضِرُ: وأنَّى بأرضِك السَّلامُ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيلَ؟ قال: نعم، أتيتُك لتعَلِّمَني مما عُلِّمْتَ رُشدًا...)) الحديث.[200]

أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا.

أي: أو أسيرَ زمانًا طَويلًا –إن لم أظفَرْ به في مجمَعِ البَحرينِ الذي أعرِفُه– حتى أجِدَه؛ لأتعَلَّمَ منه ما لا أعلَمُ.[201]

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61).

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا.

---

(199) مُسَجًّى: أي: مُغَطًّى.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (24/16).
(200) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).
(201) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (309/15)، ((تفسير الرازي)) (479/21)، ((تفسير ابن كثير)) (174/5)، ((تفسير ابن عاشور)) (365/15)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 108).
قال أبو جعفر النحَّاس: (روى عمرُو بنُ ميمون عن عبدِ الله بنِ عَمرٍو قال: الحُقُب: ثمانون سنةً...
قال أبو جعفر: الذي يعرِفُه أهلُ اللغةِ أنَّ الحُقبَ والحِقبةَ: زمانٌ مِن الدَّهرِ مُبهَمٌ غيرُ محدودٍ).
((معاني القرآن)) (4/264، 265).

أي: فلمَّا وصَلَ موسى وفتاه إلى مكانِ اجتِماعِ البَحرينِ نَسِيَا حوتَهما الذي جعَلَه اللهُ علامةً على وجودِ الخَضِرِ في المكانِ الذي يَفقِدانِه فيه.

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا.

أي: فشقَّ الحوتُ طريقَه الذي سلَكَه في البَحرِ نفقًا ظاهرًا في الماءِ، لا يَلتَئِمُ بعده![202]

---

(202) قال ابنُ عطية: (الذي ورد في الحديثِ عن النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقاله جمهورُ المفسِّرينَ: أنَّ الحوتَ بَقِيَ موضِعُ سُلوكِه فارِغًا).

((تفسير ابن عطية)) (528/3).

قال الواحدي: (في نظمِ الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ على تقدير: فلمَّا بلَغا مجمعَ بينِهما اتَّخَذَ الحوتُ سبيلَه في البحرِ سربًا، ونسِي يوشعُ أن يذكرَ ذلك لموسَى؛ لأنَّ النسيانَ لم يتقدَّمْ على ذهابِ الحوتِ).

((البسيط)) (72/14).

ويُنظر: ((الوجيز)) للواحدي (ص: 667).

اختُلِف في صفة اتخاذ الحوت سبيله في البحر سربًا على أربعة أقوال: الأول: صار طريقه الذي يسلك فيه كالجُحْر.

والثاني: بل إنما اتخذ سبيله سربًا في البر إلى الماء، حتى وصل إليه، لا في البحر.

والثالث: بل صار طريقه في البحر ماء جامدًا.

والرابع: بل صار طريقه في البحر حجرًا.

وبَيَّن ابنُ جرير (١٥/ ٣١٥ – ٣١٦) كون تلك الأقوال في حيز الجواز، فقال: «وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب الماء عن الأرض، وجائز أن يكون كان بجمود الماء، وجائز أن يكون كان بتحوله حجرًا».

ثم رجَّح القول الأول الذي قاله ابن عباس، وأبي، مستندًا إلى السنة، فقال: «وأصح الأقوال فيه ما روي الخبر به عن رسول الله – ﷺ – الذي ذكرنا عن أبيّ عنه».

وعلَّق ابنُ عطية (٥/ ٦٣٢) على القول الأول والثاني بقوله: «وهؤلاء يتأولون ﴿سَرَبًا﴾ بمعنى: تصَرُّفًا وجولانًا، من قولهم: فحْل سارب، أي: مُهْمل يرعى حيث شاء».

ونقل عن فرقة أنها قالت: اتخذ سَرَبًا في التراب مِن المكتل إلى البحر، وصادف في طريقه حجرًا فثقبه.

ثم علَّق بقوله: «وظاهر الأمر أن السّرَب إنما كان في الماء».

وفي حديثِ قِصَّةِ موسى والخَضِرِ: ((وتَضَرَّبَ[203] الحوتُ حتى دخل البَحرَ،[204] فأمسك اللهُ عنه جَريةَ البَحرِ، حتى كأنَّ أثَرَه في حَجَرٍ –قال لي عَمرٌو[205] –: هكذا كأنَّ أثَرَه في حَجرٍ، وحَلَّقَ بين إبهامَيه واللَّتَينِ تليانِهما)).[206]

وفي لفظٍ آخَرَ: ((... أوحى اللهُ إليه: إنَّ لي عبدًا بمَجمَعِ البَحرينِ هو أعلَمُ منك، قال موسى: يا ربِّ فكيف لي به، قال: تأخُذُ معك حوتًا فتَجعَلُه في مِكتَلٍ، فحيثما فقدْتَ الحوتَ فهو ثَمَّ، فأخذ حوتًا فجعله في مِكتَلٍ، ثم انطلق وانطلَقَ معه بفتاه يوشَعَ بنِ نون، حتى إذا أتيا الصخرةَ وَضَعا رؤوسَهما فناما، واضطرب الحوتُ في المِكتَل،[207] فخرج منه فسَقَط في البَحرِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا،

---

(203) تضَرَّبَ: أي: اضطرَبَ سائرًا.
يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (223/7).

(204) قال البخاري: (قالَ سفيانُ [أي: ابن عيينة]: وفي حديثِ غيرِ عمرٍو [أي: ابن دينار]، قالَ: وفي أصلِ الصَّخرَةِ عينٌ يُقالُ لها: الحياةُ لا يُصيبُ مِنْ مائِها شيءٌ إلَّا حَيِيَ، فأصابَ الحوتَ مِنْ ماءِ تلكَ العينِ).
((صحيح البخاري)) (92/6) (4727).
ويُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (415/8).

(205) أي قال عمرُو بنُ دينارٍلابنِ جريجٍ.

(206) رواه البخاري (4726) واللفظ له، ومسلم (2380)، من حديثِ أُبيِّ بنِ كعب رضي الله عنه.

(207) مِكتَلٍ: أي: قُفَّةٍ كبيرةٍ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (468/7).

وأمسك اللهُ عن الحوتِ جريةَ الماءِ، فصار عليه مِثلَ الطَّاقِ،[208] فلمَّا استيقظ نَسِيَ صاحِبُه أن يخبِرَه بالحوتِ، فانطلقا بقيَّةَ يومِهما وليلَتِهما)).[209]

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62).

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا.

أي: فلمَّا جاوز موسى وفتاه مَجْمَعَ البَحرينِ الذي نسِيا فيه الحوتَ، قال موسى لفتاه: أحضِرْ طعامَنا لنأكُلَ منه فنتقَوَّى به.

لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا.

أي: لقد وجَدْنا في سَفَرِنا هذا تعبًا ومَشَقَّةً.[210]

---

(208) الطاقُ: أي: الكَوَّةِ والنَّفَقِ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (151/1).
(209) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).
(210) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (316/15)، ((عمدة الحفاظ)) للسمين الحلبي (37/4)، ((تفسير ابن كثير)) (175/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 481).
قال الشوكاني: (قال المفسِّرون: الإشارةُ بقولِه: سَفَرِنَا هَذَا إلى السَّفَرِ الكائنِ منهما بعدَ مجاوزةِ المكانِ المذكورِ؛ فإنَّهما لم يجِدا النَّصَبَ إلَّا في ذلك دونَ ما قَبلَه).
((تفسير الشوكاني)) (353/3).
ويُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (732/2).
قال الألوسي: (الحِكمةُ في حُصولِ الجوعِ والتَّعَبِ له حين جاوز: أن يَطلُبَ الغداءَ فيَذكُرَ الحوتَ، فيرجِعَ إلى حيث يجتَمِعُ بمرادِه).
((تفسير الألوسي)) (298/8).
ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (316/15).

وفي قصةِ موسى والخضرِ من حديثِ أُبيّ بنِ كعبٍ رضي اللهُ عنه: ((قال موسى لفتاه: آتِنا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قال: ولم يجِدْ موسى النَّصَبَ حتى جاوَزا المكانَ الذي أمَرَ اللهُ به))![211]

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63).

قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ.

أي: قال يُوشَعُ لموسى: أرأيت حينَ أقَمْنا عندَ الصَّخرةِ التي في مَجمَعِ البَحرينِ، فإنِّي نَسِيتُ الحوتَ في ذلك المكانِ![212]

---

(211) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).

(212) قال الماوردي: (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ فيه وجهانِ: أحدُهما: فإني نسيتُ حَملَ الحوتِ.
الثاني: فإنِّي نسيتُ أن أخبِرَك بأمرِ الحوتِ).
((تفسير الماوردي)) (3/324).
وقال ابن عثيمين: (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ يعني: نَسِيتُ أن أتفقَّدَه أو أسعى في شأنِه أو أذكُرَه لك، وإلَّا فالحوتُ معروفٌ كان في المِكتَلِ).
((تفسير ابن عثيمين-سورة الكهف)) (ص: 111).
وقال الزمخشري: (أَرَأَيْتَ بمعنى: أخبِرْني.
فإن قلتَ: ما وجهُ التئامِ هذا الكلامِ؛ فإنَّ كُلَّ واحدٍ مِن أَرَأَيْتَ و إِذْ أَوَيْنَا و فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ لا مُتعلَّقَ له؟ قلتُ: لَمَّا طلَبَ موسى عليه السَّلامُ الحوتَ، ذكَرَ يوشَعُ ما رأى منه وما اعتراه من نسيانِه إلى تلك الغايةِ، فدُهِشَ وطَفِقَ يسألُ موسى عليه السَّلامُ عن سبب ذلك، كأنَّه قال: أرأيتَ ما دهاني إذ أوَينا إلى الصَّخرةِ؟! فإني نَسِيتُ الحوتَ، فحُذِفَ ذلك).
((تفسير الزمخشري)) (2/733).
وممَّن ذهب إلى قولِ الزمخشري هاهنا في الحذفِ وتقديره: أبو السعود، والشوكاني.
يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (5/233)، ((تفسير الشوكاني)) (3/353).

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أُبِيّ بنِ كعبٍ رضي اللهُ عنه: ((قال: فبينما هو في ظِلّ صَخرةٍ في مَكانٍ ثَرْيانَ،[213] إذ تضرَّبَ الحوتُ وموسى نائمٌ، فقال فتاه: لا أوقِظُه، حتى إذا استيقظ نَسِيَ أن يخبِرَه، وتضرَّبَ الحوتُ حتى دخل البحرَ، فأمسك اللهُ عنه جَريةَ البَحرِ، حتى كأنَّ أثَرَه في حَجَرٍ)).[214]

وفي روايةٍ: ((قال: فانطلق هو وفتاه حتى انتَهَيا إلى الصَّخرةِ، فعُمِّيَ عليه، فانطلق وترك فتاه، فاضطرب الحوتُ في الماء، فجعل لا يلتَئِمُ عليه، صار مِثلَ الكَوَّةِ، قال فقال فتاه: ألا ألحَقُ نبيَّ الله فأخبِرَه؟ قال: فنُسّيَ)).[215]

وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ.

أي: وما أنساني أن أذكُرَ الحُوتَ إلَّا الشَّيطانُ.

وفي حديثِ قِصَّةِ موسى والخَضِر: ((ذكَّر -أي: موسى عليه السَّلامُ- النَّاسَ يومًا حتى إذا فاضت العيونُ، ورَقَّت القلوبُ، ولَّى، فأدركه رجلٌ فقال: أيْ رسولَ اللهِ، هل في الأرضِ أحَدٌ أعلَمُ منك؟ قال: لا، فعَتَب عليه؛ إذْ لم يرُدَّ العِلمَ إلى اللهِ، قيل: بلى، قال: أيْ رَبِّ، فأين؟ قال: بمجمَعِ البَحرينِ، قال:

---

(213) ثَرْيان: أي: في ترابِه بلَلٌ ونَدى.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (211/1).
(214) رواه البخاري (4726).
(215) رواه مسلم (2380).

أيْ ربِّ، اجعَلْ لي عِلمًا أعلَمُ ذلك به –فقال لي عمرو[216] – قال: حيث يفارِقُك الحوتُ –وقال لي يَعلى[217] – قال: خُذْ نونًا[218] ميِّتًا، حيث يُنفَخُ فيه الرُّوحُ، فأخذ حوتًا فجعَلَه في مِكْتَلٍ، فقال لِفَتاه: لا أكلِّفُك إلَّا أن تخبِرَني بحيث يفارِقُك الحوتُ، قال: ما كَلَّفْتَ كثيرًا؛ فذلك قولُه جلَّ ذِكرُه: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ يُوشَعَ بنِ نونٍ)).[219]

وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا.

أي: واتَّخَذ الحوتُ طريقَه الذي سلَكه في البحرِ عجبًا.[220]

---

(216) هو عمرُو بنُ دينارٍ، أحدُ رواةِ الحديثِ.

(217) هو يعلَى بنُ مسلمٍ، أحدُ رواةِ الحديثِ.

(218) نونًا: أي: حُوتًا.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (131/5).

(219) رواه البخاري (4726) من حديث أُبيٍّ رضي الله عنه.

(220) ممن اختار هذا المعنى، وهو أنَّ الضمير في (اتَّخذ) يعودُ على الحوتِ، أي: اتَّخَذَ الحوتُ سبيلَه في البحرِ: الزجَّاج، والواحدي، والكرماني، والرسعني، وأبو حيان، والبقاعي، وأبو السعود، والسعدي، وابن عاشور.

ينظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (300/3)، ((البسيط)) للواحدي (78/14)، ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) للكرماني (666/1)، ((تفسير الرسعني)) (321/4)، ((تفسير أبي حيان)) (202/7)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (99/12)، ((تفسير أبي السعود)) (233/5)، ((تفسير السعدي)) (ص: 482)، ((تفسير ابن عاشور)) (367/15).

وهذا الكلامُ هو مِن تتمَّةِ كلامِ فتَى موسَى عليه السلامُ (يوشع)، وممن اختارَ هذا القولَ، ونصَّ عليه: الزجاجُ، والواحدي، والكرماني، والرسعني، وأبو حيان، وابنُ عاشور.

قال الألوسي: (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا الظاهرُ الذي عليه أكثرُ المفسرينَ أنَّ مجموعَه كلامُ يوشعَ، وهو تتمةٌ لقوله: فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وفيه إنباءٌ عن طرفٍ آخرَ من أمرِه، وما بينَهما اعتراضٌ قُدِّم عليه؛ للاعتناءِ بالاعتذارِ، كأنَّه قيل: حَيي واضطربَ ووقَع في البحرِ، واتَّخذ سبيلَه فيه سبيلًا عجبًا).

((تفسير الألوسي)) (300/8).

قال ابنُ عطية: (ويحتملُ أن يكونَ قولُه: وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ...

الآيةَ إخبارًا مِن الله تعالى، وذلك على وجهينِ: إمَّا أن يخبِرَ عن موسَى أنَّه اتَّخذَ سبيلَ الحوتِ مِن البحرِ عجبًا، أي: تعجَّب منه، وإمَّا أن يخبِرَ عن الحوتِ أنَّه اتَّخذَ سبيلَه عجبًا للناسِ).

((تفسير ابن عطية)) (529/3).

وممن اختار أنَّ موسَى هو الذي اتَّخذَ سبيلَ الحوتِ مِن البحرِ عجبًا، أي: تعجَّب منه: مقاتلُ ابنُ سليمانَ، والفرَّاءُ.

ينظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (594/2)، ((معاني القرآن)) للفراء (154/2).

ويُنظر أيضًا: ((إعراب القرآن)) للنحاس (300/2).

وقيل: اتَّخذ موسَى عليه السلام سبيلَ الحوتِ في البحرِ، أي: دخل في مدخَلِه فرأى الخَضِرَ.

يُنظر: ((تفسير ابن الجوزي)) (97/3)، ((التبصرة)) لابن الجوزي (239/1).

قال القرطبي: (جمهورُ المفسِّرينَ أنَّ الحوتَ بقِي موضعُ سلوكِه فارغًا، وأنَّ موسَى مشَى عليه متَّبِعًا للحوتِ، حتَّى أفضَى به الطريقُ إلى جزيرةٍ في البحرِ، وفيها وجَد الخضرُ.

وظاهرُ الرواياتِ والكتابِ أنَّه إنَّما وجَد الخضرَ في ضفَّةِ البحرِ).

((تفسير القرطبي)) (12/11).

ويُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (168/1).

وقوله: عَجَبًا قيل: صفةُ مصدرٍ محذوفٍ، أي: اتخاذًا عجبًا، أو: مصدرُ فعلٍ محذوفٍ، أي: أتعجَّبُ منه عجبًا.

يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (233/5)، ((تفسير ابن عاشور)) (367/15).

قال ابنُ عادل: (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ووجهُ كونِه عجبًا: انقلابُه مِن المكتلِ، وصيرورتُه حيًّا، وإلقاءُ نفسِه في البحرِ على غفلةٍ منهما، ويكون المرادُ منه ما ذكرنا أنَّه تعالى جعَل الماءَ عليه كالطَّاقِ والسَّرَبِ.

وقيل: تمَّ الكلامُ عندَ قولِه: وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ، ثم قال: عَجَبًا أي: أنَّه يعجبُ مِن رؤيةِ تلك العجيبةِ، ومِن نسيانِه لها).

((تفسير ابن عادل)) (528/12).

وقيل: يحتملُ أن يكونَ قولُه: عَجَبًا مِن كلامِ موسَى عليه السلامُ، أجاب به فتاه، كأنَّه قال: أعجبُ عَجَبًا.

ينظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (300/3).

ذكر ابنُ عطية (٥/ ٦٣٣) أن قوله: ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ يحتمل احتمالين: الأول: أن يكون من قول يوشع لموسى، أي: اتخذ الحوت سبيله عجبًا للناس.

الثاني: أن يكون قوله: ﴿واتخذ سبيله في البحر﴾ تام الخبر، فاستأنف التعجب، فقال من قبل نفسه: ﴿عجبا﴾ لهذا الأمر.

ثم قال: «ويحتمل أن يكون قوله: ﴿واتخذ سبيله﴾ الآيةَ إخبارٌ مِن الله تعالى، وذلك على وجهين: إما أن يخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البرح عجبًا، أي: تعجب منه، وإما أن يخبر عن الحوت أنه اتخذ سبيله عجبًا للناس».

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أبيّ بن كعب رضي الله عنه: ((... واضطربَ الحوتُ في المِكتَلِ، فخرج منه فسقَطَ في البَحرِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، وأمسك اللهُ عن الحوتِ جَرية الماءِ، فصار عليه مِثلَ الطَّاقِ... قال: فكان للحُوتِ سَرَبًا، ولموسى ولفتاه عجَبًا)).[221]

وفي حديث أبيّ بنِ كعبٍ أيضًا، في روايةٍ: ((ولم يَجِدْ موسَى النَّصَبَ حتَّى جاوَز حيثُ أمَرَه اللَّهُ، قالَ له فَتاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا فكانَ للحُوتِ سَرَبًا، ولهما عَجَبًا)).[222]

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64).

قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ.

أي: قال موسى لفتاه: فقْدُ الحوتِ هو ما نَطلُبُه في سَفَرِنا؛ حيث نَجِدُ الرجُلَ الذي نبحَثُ عنه في المكانِ الذي فقَدْنا فيه الحوتَ.

فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا.

أي: فرجَعَ موسى وفتاه من الطريقِ الذي أتيَا منه يتتبَّعانِ آثارَ سَيرِهما؛ لِيَصِلا إلى الصَّخرةِ التي فقدا الحوتَ عندها.

---

(221) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).

(222) أخرجه البخاري (3401).

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أُبيّ بن كعبٍ: ((... فقال موسى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، قال: رجعا يقُصَّانِ آثارَهما...)).[223]

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65).

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا.

أي: فوجد موسى وفتاه عندَ الصَّخرةِ عَبدًا مِن عبادِ اللهِ –وهو الخَضِرُ[224] – وهَبْنا له مِن عِندِنا رَحمةً واسعةً عَظيمةً.

---

(223) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).

(224) قال الشنقيطي: (هذا العبدُ المذكورُ في هذه الآيةِ الكريمةِ هو الخَضِرُ عليه السَّلامُ، بإجماعِ العُلَماءِ، ودلالةِ النُّصوصِ الصَّحيحةِ على ذلك من كلامِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم).

((أضواء البيان)) (322/3).

وقال ابنُ تيمية: (أجمع المسلمونَ على أنَّ موسى أفضَلُ مِن الخَضِرِ).

((المستدرك على مجموع الفتاوى)) (113/1).

وقال الشنقيطي: (هذه الرحمةُ والعِلمُ اللدُنّي اللذان ذكَرَ اللهُ امتنانَه عليه بهما لم يبَيِّنْ هنا: هل هما رحمةُ النبُوَّة وعِلمُها، أو رحمةُ الولاية وعِلمُها).

((أضواء البيان)) (322/3).

فقيل: الخَضِرُ نبيٌّ مِن الأنبياءِ، وممَّن رجَّح ذلك: القرطبي –ونسَب هذا القولَ إلى الجُمهورِ– وابنُ كثير، وابنُ حجرٍ العسقلاني، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (16/11)، ((البداية والنهاية)) لابن كثير (249/2)، ((فتح الباري)) لابن حجر (443/7)، ((الزهر النضر في حال الخضر)) لابن حجر (ص: 66، 67، 160)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (326/3).

وممَّن قال مِن السلفِ: إنَّ الخضرَ كان نبيًّا: ابنُ عبَّاسٍ، وعكرمةُ، ومقاتلٌ.

يُنظر: ((تفسير مقاتل)) (2/ 594)، ((تفسير ابن الجوزي)) (97/3)، ((الدر المنثور)) للسيوطي (425/5).

قال الشنقيطي: (يُفهَمُ مِن بعض الآياتِ أنَّ هذه الرَّحمةَ المذكورةَ هنا رحمةُ نبوَّةٍ، وأنَّ هذا العِلمَ اللدُنّيَّ علمُ وحيٍ...

اعلم أولًا أنَّ الرحمةَ تكرَّر إطلاقُها على النبوَّةِ في القرآنِ، وكذلك العِلمُ المؤتى مِن الله تكرَّر إطلاقُه فيه على عِلمِ الوحيِ؛ فمن إطلاقِ الرحمةِ على النبوَّةِ قولُه تعالى في «الزخرف»: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ [الزخرف: 31، 32]، أي: نبوَّته...

ومن إطلاقِ إيتاءِ العِلمِ على النبوَّةِ قولُه تعالى: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا [النساء: 113]، وقولُه: وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ الآية، إلى غير ذلك من الآياتِ...

ومن أظهَرِ الأدلَّةِ في أنَّ الرحمةَ والعِلمَ اللدُنِّيَ اللَّذينِ امتنَّ الله بهما على عَبدِه الخَضِر، عن طريقِ النبوَّةِ والوحيِ- قولُه تعالى عنه: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي [الكهف: 82] ، أي: وإنما فعلتُه عن أمرِ اللهِ جَلَّ وعلا، وأمرُ اللهِ إنما يتحقَّقُ عن طريقِ الوَحيِ؛ إذ لا طريقَ تُعرَفُ بها أوامِرُ الله ونواهيه إلَّا الوحيُ من الله جلَّ وعلا، ولا سيَّما قَتلُ الأنفُسِ البريئةِ في ظاهِرِ الأمر، وتعييبُ سُفُنِ الناسِ بخَرقِها؛ لأنَّ العُدوانَ على أنفُسِ الناسِ وأموالِهم لا يصِحُّ إلا عن طريقِ الوحيِ مِن الله تعالى، وقد حصر تعالى طُرُقَ الإنذارِ في الوحيِ في قولِه تعالى: قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ [الأنبياء: 45] ، و «إنما» صيغةُ حصر...

وبهذا كلِّه تعلَمُ أنَّ قَتلَ الخَضِرِ للغلامِ، وخَرْقَه للسفينةِ، وقولَه: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي؛ دليلٌ ظاهِرٌ على نبوَّتِه.

وعزا الفخرُ الرازي في تفسيرِه القولَ بنبوَّتِه للأكثرين، وممَّا يُستأنَسُ به للقولِ بنبوَّتِه تواضُعُ موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ له في قولِه: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا، وقولِه: قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا، مع قولِ الخضِرِ له: وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا).

((أضواء البيان)) (3/323- 326).

وقيل: إنَّ الخَضِرَ عبدٌ صالحٌ وليس نبيًّا، وممَّن ذهَب إلى ذلك: البغويُّ -ونسَب هذا القولَ إلى أكثَرِ أهلِ العلم- والقنُّوجي، والسعدي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (3/205)، ((تفسير القنوجي)) (8/96)، ((تفسير السعدي)) (ص: 481)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 112).

قال السعدي: (العبدُ الذي لَقِيَاه ليس نبيًّا، بل عبدٌ صالحٌ؛ لأنَّه وصَفَه بالعبوديَّة، وذكَر منَّةَ الله عليه بالرحمةِ والعلمِ، ولم يذكُرْ رسالتَه ولا نبوَّتَه، ولو كان نبيًّا لذكَر ذلك كما ذكَر غيرَه.

وأمَّا قولُه في آخِرِ القصةِ: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي فإنَّه لا يدُلُّ على أنه نبيٌّ، وإنما يدلُّ على الإلهامِ والتحديثِ، كما يكونُ لغيرِ الأنبياءِ، كما قال تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ [القصص: 7] .

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا [النحل: 68]).

((تفسير السعدي)) (ص: 484).

ويُنظر أيضًا: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (4/338).

وقال ابنُ عاشور: (اتفق الناسُ على أنَّه كان من المعَمَّرين، ثم اختلفوا في أنَّه لم يزَلْ حيًّا).

((تفسير ابن عاشور)) (15/363).

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أبيٍّ رضي الله عنه: ((... فقال موسى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، قال: رجعا يقُصَّانِ آثارَهما حتى انتهَيا إلى الصَّخرةِ، فإذا رجلٌ مُسجًّى ثوبًا، فسَلَّمَ عليه موسى)).(225)

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ - ﷺ - قال: ((إنَّما سُمِّي الخَضِرَ؛ أنَّه جلَس على فَروةٍ بَيضاءَ، فإذا هي تهتزُّ مِن خَلفِه خَضراءَ)).(226)

وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا.

وقال الشنقيطي: (اعلَمْ أنَّ العُلَماءَ اختلفوا في الخَضِر: هل هو حيٌّ إلى الآن أو هو غيرُ حيٍّ، بل ممَّن مات فيما مضى من الزمانِ؟ فذهب كثيرٌ مِن أهل العلم إلى أنَّه حيٌّ، وأنَّه شَرِبَ مِن عينٍ تُسَمَّى عينَ الحياةِ، وممَّن نصر القولَ بحياتِه القرطبيُّ في «تفسيره»، والنوويُّ في «شرح مسلم»، وغيره، وابنُ الصلاح، والنقَّاش، وغيرهم...

قال مقيِّدُه [الشنقيطي] عفا الله عنه: الذي يظهَرُ لي رُجحانُه بالدليلِ في هذه المسألةِ: أنَّ الخَضِرَ ليس بحيٍّ، بل توفِّيَ؛ وذلك لِعِدَّةِ أدِلَّةٍ...).

((أضواء البيان)) (3/326-338).

وقال ابنُ تيميةَ: (والذي عليه سائرُ العلماءِ المحَقِّقينَ أنَّه مات).

((منهاج السنة النبوية)) (4/93).

ويُنظر: ((الموضـــوعات)) لابن الجوزي (1/193 - 199)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (27/100- 102)، ((الرد على المنطقيين)) لابن تيمية (ص: 184)، ((تفسير أبي حيان)) (7/204)، ((البداية والنهاية)) لابن كثير (2/250 - 270)، ((تفسير ابن كثير)) (5/187)، ((فتح الباري)) لابن حجر (6/434)، ((الزهر النضر)) لابن حجر (ص: 86- 160).

(225) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).

(226) رواه البخاري (3402).

أي: وعَلَّمْنا عَبْدَنا الخَضِرَ مِن عِندِنا عِلمًا نافِعًا خَصَصْناه به، ومن ذلك ما أطلَعَه اللهُ عليه مِن عِلمِ الغَيبِ.(227)

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أُبَيٍّ رضي الله عنه: ((... قال له الخَضِرُ: يا موسى، إنَّك على عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَكَه اللهُ لا أعلَمُه، وأنا على علمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَنيه اللهُ لا تَعلَمُه... قال: ووقع

---

(227) قال ابن القيم: (العِلمُ اللدُنِّيّ: هو العِلمُ الذي يقذِفُه اللهُ في القَلبِ إلهامًا بلا سبَبٍ مِن العبدِ، ولا استدلالٍ؛ ولهذا سُمِّيَ لدُنيًّا).

((مدارج السالكين)) (399/3).

وقال القاسمي: (دلَّ قَولُه تعالى: وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا على أنَّ مِن العِلمِ عِلمًا غَيبيًّا -وهو المسمَّى بالعِلمِ اللدُنِّيّ- فالآيةُ أصلٌ فيه).

((تفسير القاسمي)) (61/7).

وقال السعدي: (كان قد أُعطِيَ من العلمِ ما لم يُعطَ موسى، وإن كان موسى عليه السَّلامُ أعلَمَ منه بأكثَرِ الأشياء، وخصوصًا في العلومِ الإيمانيَّة والأصوليَّة؛ لأنَّه مِن أولي العَزمِ مِن المُرسَلينَ، الذين فضَّلَهم اللهُ على سائرِ الخَلقِ بالعِلمِ والعَمَلِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 481).

وقال ابنُ عثيمين: (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا يعني: عِلمًا لا يطَّلعُ عليه الناس، وهو عِلمُ الغيب في هذه القصَّة المعيَّنة، وليس علمَ نبوَّة، ولكِنَّه علمٌ خاصٌّ؛ لأنَّ هذا العلمَ الذي اطَّلع عليه الخَضِرُ لا يمكِنُ إدراكُه، وليس شيئًا مبنيًّا على المحسوس، فيُبنى المستقبَلُ على الحاضر، بل شيءٌ من الغائب، فأطلَعَه الله تعالى على معلوماتٍ لا يطَّلِعُ عليها البشَرُ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 112).

وهذا القولُ بناءً على أنَّه عبدٌ صالحٌ، وليس بنبيٍّ.

اختُلِف في نبوة الخضر.

ورجَّح ابن عطية (٥/ ٦٣٤ بتصرف) نُبُوَّته مستندًا إلى ظاهر الآيات، فقال: «والخضِر نبيٌّ عند الجمهور، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله هل كانت إلا بوحي إليه».

وذكر ابنُ كثير (٩/ ١٧٩) أنّ قوله: ﴿آتيناه رحمة﴾، وقوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ فيه دلالة على نبوته.

عُصفورٌ على حَرفِ السَّفينةِ فغَمَس مِنقارَه في البَحرِ، فقال الخَضِرُ لموسى: ما عِلمُك وعِلمي وعِلمُ الخلائِقِ في عِلمِ اللهِ إلَّا مِقدارُ ما غَمَس هذا العُصفورُ مِنقارَه!!)).[228]

قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66).

أي: قال موسى للخَضِرِ: هل أصحَبُك لتعلِّمَني مِمَّا عَلَّمَك اللهُ عِلمًا أهتدي به إلى الصَّوابِ؟[229]

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أُبَيٍّ: ((... أتيتُك لتعلِّمَني مما عُلِّمْتَ رُشدًا، قال: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يا موسى، إنِّي على عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَنيه لا تَعلَمُه أنت، وأنت على عِلمٍ مِن عِلمِ اللهِ عَلَّمَكه اللهُ لا أعلَمُه)).[230]

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67).

---

(228) رواه البخاري (4727) واللفظ له، ومسلم (2380).

(229) قال ابنُ عاشور: (هذا العِلمُ الذي سأل موسى تعَلُّمَه هو مِن العِلمِ النافِعِ الذي لا يتعَلَّقُ بالتشريعِ للأمةِ الإسرائيلية؛ فإنَّ موسى مستغنٍ في علمِ التشريعِ عن الازديادِ إلَّا من وحي الله إليه مباشرةً؛ لأنَّه لذلك أرسله، وما عدا ذلك لا تقتضي الرسالةُ عِلمَه...

وإنما رام موسى أن يعلَمَ شَيئًا من العلم الذي خَصَّ الله به الخَضِرَ؛ لأنَّ الازديادَ من العلوم النافعة هو من الخيرِ، وقد قال الله تعالى تعليمًا لنبيِّه: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا [طه: 114].

وهذا العِلمُ الذي أوتيَه الخَضِرُ هو عِلمُ سياسةٍ خاصَّةٍ غيرِ عامَّةٍ تتعَلَّقُ بمعيَّنينَ لجلبِ مصلحةٍ أو دفعِ مَفسدةٍ، بحسَبِ ما تهيِّئُه الحوادِثُ والأكوانُ، لا بحسَبِ ما يناسِبُ المصلحةَ العامةَ، فلعَلَّ الله يسَّرَه لنَفعِ مُعَيَّنين من عندِه، كما جعل محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رحمةً عامَّةً لكافَّةِ الناس، ومن هنا فارق سياسةَ التشريعِ العامَّة).

((تفسير ابن عاشور)) (370/15).

(230) رواه البخاري (4725) واللفظ له، ومسلم (2380).

أي: قال الخَضِرُ لموسى: إنَّك لن تُطيقَ الصَّبرَ على اتِّباعي؛ لِما تراه مِن أفعالي التي ظاهِرُها مُنكَرٌ، وباطِنُها بخلافِ ذلك.

وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68).

أي: وكيف تَصبِرُ -يا موسى- على إقراري على فِعلِ ما تظنُّه مُنكَرًا، وأنت لا تعلَمُ وَجهَ صَوابِه، ولا الحِكمةَ مِن فِعلي له، ولا مَصلحَتَه الباطِنةَ التي أُطلِعْتُ عليها دونَك؟!

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه: ((قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا شيءٌ أُمِرتُ به أن أفعَلَه، إذا رأيتَه لم تَصبِرْ)).[231]

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69).

قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا.

أي: قال موسى للخَضِر: ستَجِدُني -إن شاء اللهُ- صابِرًا على ما أرى منك، وإن كان على خلافِ ما أراه صَوابًا.[232]

---

(231) رواه مسلم (2380).

(232) قال الرسعني: (قَالَ حرصًا على طلبِ الزيادةِ في العلمِ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا عن الإنكارِ والسؤالِ).

((تفسير الرسعني)) (4/326).

وقال البغوي: (إنَّما استثنَى؛ لأنَّه لم يثِقْ مِن نَفسِه بالصَّبرِ).

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (3/206).

وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا.

أي: ولا أخالِفُك في أيِّ شَيءٍ تأمُرُني به.

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70).

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ.

أي: قال الخَضِرُ لموسى: فإنْ صَحِبْتَني فلا تبتَدِئْني بالسُّؤالِ عن أيِّ شَيءٍ أفعَلُه مِمَّا تَستَنكِرُه.

حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا.

أي: لا تَسألْني أبدًا إلى أن أُخبِرَك عن سَبَبِ فِعلي الذي تَستَنكِرُه، وأبَيِّنَ لك حقيقَتَه، ووجهَ صَوابِه.

وقيل: علَّقه على المشيئةِ حينَ رأى ذلك العالِمَ الكاملَ قد نفَى عنه وصفَ الاستطاعةِ بقولِه: لَنْ تَسْتَطِيعَ.
يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (4/326).
وقيل: علَّقه بمشيئةِ اللهِ؛ لئلَّا يكونَ ذلك اعتزازًا بنفسِه، وإعجابًا بها.
يُنظر: ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 114).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (71–73)

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73)

غريب الكلمات:

إِمْرًا: أي: عَظِيمًا مُنكرًا، من قَولِهم: أَمِرَ الأمرُ، أي: كَبُرَ وكَثُر. وقيل: عجبًا.

تُرْهِقْنِي: تُغْشِني، وتُكَلِّفْني، وتُلْحِقْني، وأصلُ (رهق): يدُلُّ على غِشيانِ الشَّيءِ الشَّيءَ.

تفسير الآيات:

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71).

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا.

أي: فانطلق موسى والخَضِرُ يَسيرانِ إلى أنْ رَكِبا سَفينةً في البَحرِ، فقام الخَضِرُ بخَرقِها.

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أُبَيٍّ: ((فانطلقَ الخَضِرُ وموسى يمشِيانِ على ساحِلِ البَحرِ، فمَرَّت بهما سَفينةٌ، فكَلَّماهم أن يحمِلوهما، فعَرَفوا الخَضِرَ، فحَمَلوهما بغَيرِ نَولٍ،[233] فعمَد الخَضِرُ إلى لوحٍ مِن ألواحِ السَّفينةِ فنزَعه)).[234]

---

(233) بغَيرِ نَولٍ: أي: بغير أجرٍ ولا جُعْلٍ، والنَّولُ والنَّوالُ: العطاءُ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (129/5)، ((شرح النووي على مسلم)) (140/15).

(234) رواه البخاري (122)، ومسلم (2380) واللفظ له.

وفي روايةٍ: ((وجدا معابِرَ[235] صِغارًا تحمِلُ أهلَ هذا السَّاحِلِ إلى أهلِ هذا السَّاحِلِ الآخَرِ، عَرَفوه فقالوا: عبدُ اللهِ الصَّالحُ –قال: قُلْنا لسعيدِ بنِ جُبَيرٍ: خَضِرٍ؟ قال: نَعَم– لا نحمِلُه بأجرٍ، فخَرَقَها ووتَدَ فيها وتدًا))[236]. [237]

قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا.

أي: قال موسى للخَضِرِ: أخرَقْتَ السَّفينةَ لتُغرِقَ[238] ركَّابَها؛ فإنَّ خرقَها سببٌ لدخولِ الماءِ فيها وغَرَقِهم؟!

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي اللهُ عنه: ((فقال له موسى: قومٌ حَمَلونا بغيرِ نَولٍ، عَمَدْتَ إلى سفينتِهم فخَرَقْتَها لتُغرِقَ أهلَها؟!)).[239]

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا.

---

(235) معابِرَ: أي: مَراكِبَ.
يُنظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (152/1).
(236) وتَدَ فيها وتدًا: أي: جعل فيها وتدًا، والوَتِدُ: ما ثُبِّتَ في الأرضِ أو الحائِطِ من خَشَبٍ ونَحوِه.
يُنظر: ((شرح القسطلاني)) (224/7)، ((معجم اللغة العربية المعاصرة)) (2394/3).
(237) رواه البخاري (4726).
(238) قال ابنُ عثيمين: (واللامُ في قَولِه: لِتُغْرِقَ ليست للتعليلِ، ولكِنَّها للعاقبةِ، يعني: أنَّك إذا خرَقْتَها غَرِقَ أهلُها، وإلَّا لا شَكَّ أنَّ موسى عليه السَّلامُ لا يدري ما غَرَضُ الخَضِرِ، ولا شَكَّ أيضًا أنَّه يدري أنَّه لا يريدُ أن يُغرِقَ أهلَها؛ لأنَّه لو أراد أن يُغرِقَ أهلَها لكان أوَّلَ مَن يَغرَقُ هو وموسى).
((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 115).
(239) رواه البخاري (122)، ومسلم (2380) واللفظ له.

أي: لقد أتيتَ شيئًا عظيمًا، وفعَلْتَ فِعلًا منكرًا!

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72).

أي: قال الخَضِرُ لِموسى: ألم أُخبِرْك بأنَّك لن تُطيقَ الصَّبرَ على اتِّباعي؛ لِما تراه مِن أفعالي التي ظاهِرُها مُنكَرٌ قَبيحٌ؟! وأنَّك لن تصبِرَ عن سؤالي عن أفعالي؛ لأنَّك لم تُحِطْ بها خُبْرًا؟!

قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73).

قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ.

أي: قال موسى للخَضِر مُعتَذِرًا: لا تُؤاخِذْني بالذي نَسيتُه مِن عَهدِك إليَّ، واشتِراطِك ألَّا أسألَك عن شَيءٍ حتى تُخبِرَني.

عن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ اللهِ – ﷺ –: لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ قال: ((كانت الأولى مِن موسى نِسيانًا)).(240)

وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا.

أي: ولا تُضَيِّقْ عليَّ أمري معك، وتشدِّدْ عليَّ في صُحبتي لك.

---

(240) رواه البخاري (4725)، ومسلم (2380).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (74–76)

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا
(74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا
فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76)

غريب الكلمات:

زَكِيَّةً: أي: طاهِرةً من الذُّنوبِ، وأصلُ (زكي): يدلُّ على طَهارةٍ.

نُكْرًا: أي: مُنكرًا عظيمًا، وأصلُ (نكر): يدُلُّ على خِلافِ المَعرِفةِ.

تفسير الآيات:

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74).

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ.

أي: فانطلقَ موسى والخَضِرُ بعدَ ذلك يَسيرانِ إلى أن لَقِيَا غُلامًا صَغيرًا،[241] فقتَلَه الخَضِرُ!!

وفي قِصَّةِ موسَى والخَضِر من حديثِ أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه: ((فلمَّا خَرَجا مِن البَحرِ مَرُّوا بغُلامٍ يلعَبُ مع الصِّبيانِ، فأخَذ الخَضِرُ برأسِه فقلَعَه بيَدِه هكذا- وأومأ سُفيانُ بأطرافِ أصابعِه كأنَّه يَقطِفُ شَيئًا!)).[242]

---

(241) قال القرطبي: (قال الجمهورُ: لم يكُنْ بالغًا؛ ولذلك قال موسَى: «زاكيةً لم تُذْنِبْ»، وهو الَّذي يَقْتَضيه لفظُ الغلامِ، فإنَّ الغلامَ في الرِّجالِ يُقالُ على مَنْ لم يبلُغْ).

((تفسير القرطبي)) (21/11).

(242) رواه البخاري (3401).

وفي روايةٍ: ((وَجد غِلمانًا يَلعَبونَ فأخذ غُلامًا كافِرًا ظَرِيفًا،[243] فأضجعَه ثمَّ ذبحَه بالسِّكِّينِ))[244].[245]

وفي روايةٍ: ((فانطلَقا حتى إذا لَقِيا غِلمانًا يَلعَبونَ، قال: فانطلَقَ إلى أحَدِهم باديَ الرَّأيِ[246] فقتَلَه، فذُعِرَ[247] عندها موسى عليه السَّلامُ ذَعرةً مُنكَرةً)).[248]

قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ.

أي: قال موسى مُنكِرًا على الخَضِرِ قَتْلَ الغُلامِ: أقتَلْتَ نفسًا طاهرةً من الذُّنوبِ بغيرِ حَقٍّ ومُستَنَدٍ يُخَوِّلُ لك قَتْلَه؟! فلمْ يَقتُلِ الغُلامُ أحدًا حتى تَقتُلَه!

---

(243) الظَّرْفُ: حُسنُ الوَجْهِ والهَيئةِ.

يُنظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (112/24).

(244) قال ابن حجر: (فأضْجَعه ثمَّ ذَبَحَه بالسِّكِّينِ، وفي روايةِ سفيانَ: «فأخَذ الخضِرُ برأسِه فاقتلَعه بيدِه فقَتَله»، وفي روايتِه في البابِ الَّذي يَليه: «فقطَعه»، ويُجمَعُ بينَهما بأنَّه ذبحَه ثُمَّ اقتلَع رأسَــه، وفي روايةٍ أُخرى عند الطَّبريِّ: «فأخَذ صــخرةً فثَلَغ رَأسَه» وهي بمثلثة ثمَّ معجمةٍ، والأوَّلُ أصحُّ، ويمكنُ أنْ يكونَ ضرَب رأسَه بالصَّخرةِ، ثمَّ ذبحَه وقطَع رأسَه).

((فتح الباري)) (419/8).

(245) رواه البخاري (4726).

(246) بادِيَ الرأيِ: أي: ظاهِرَ الرأْيِ والنَّظرِ من غير فِكرٍ ولا رَويَّةٍ، من البُدُوِّ: وهو الظُّهورُ، ومَن همزه (بادئَ) فيكونُ المعنى: أي: في أوَّلِ رَأيٍ رآه وابتَدأ به.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (262/1).

(247) فذُعِرَ: الذُّعرُ: الفزعُ.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (161/2).

(248) رواه مسلم (2380).

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه: ((قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لم تعمَل بالحِنثِ؟!))[249]. [250]

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا.

أي: لقد فعلتَ -بقَتلِك الغُلامَ بغيرِ ذَنبٍ- فِعلًا مُنكَرًا ظاهِرَ النَّكارةِ!

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75).

أي: قال الخَضِرُ لموسى: ألم أقُلْ لك مِن قَبلِ أن تَصحَبَني: إنَّك لن تُطيقَ الصَّبرَ على اتِّباعي؛ لِما تراه من أفعالي التي ظاهِرُها مُنكَرٌ، وإنَّك لن تَصبِرَ عن سُؤالي عن أفعالي؛ لأنَّك لم تُحِطْ بها خُبْرًا؟!

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76).

قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي.

أي: قال موسى للخَضِرِ: إنْ سألتُك عن أيِّ شَيءٍ بعد هذه المرَّة، ففارِقْني، واترُك صُحبَتي.

قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا.

---

(249) الحِنث: أي: الإثم والمعصية، أي: لم يَبلُغْ.

يُنظر: ((الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)) للكرماني (198/17).

(250) رواه البخاري (4726).

أي: قد وصلتَ إلى حالٍ تُعْذَرُ فيها في مُفارَقتي، وتَرْكِ مُصاحَبتي؛ وذلك باعتراضي مَرَّتَينِ، واحتِمالِك لي فيهما.

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ: فقال رسولُ اللهِ - ﷺ - عندَ هذا المكانِ: ((رحمةُ اللهِ علينا وعلى موسى، لولا أنَّه عَجَّلَ لرأى العَجَب، ولكِنَّه أخذَتْه مِن صاحِبِه ذِمامةٌ،[251] قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا، ولو صبرَ لرأى العَجَب!!)).[252]

---

(251) ذِمامةٌ: أي: حَياءٌ وإشفاقٌ، مِن الذَّمِّ واللَّوم.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (2/170).

(252) رواه مسلم (2380).

سورةُ الكَهفِ

الآيتان (77–78)

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78)

غريب الكلمات:

فَأَبَوْا: أي: امْتَنعوا، والإباءُ: شِدَّةُ الامتناعِ؛ فكلُّ إباءٍ امتناعٌ، وليس كلُّ امتناعٍ إباءً.

يَنْقَضَّ: أي: يَسقُطَ وينهَدِمَ، وأصلُ (نقض): يدُلُّ على هُوِيِّ الشَّيءِ.

بِتَأْوِيلِ: أي: بعِلْمِ وتَفسيرِ، وأصلُ (أول): يدلُّ على الرُّجوعِ إلى الأصلِ؛ لأنَّ التَّأويلَ: إخبارٌ عمَّا يَرجِعُ إليه اللَّفظُ مِن المعنى.

تفسير الآيتين:

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77).

فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا.

أي: فانطلق موسى والخَضِرُ يَسيرانِ بعدَ قَتْلِ الغُلامِ إلى أن بَلَغا قريةً[253] فطَلَبا مِن أهلِها إطعامَهما، فامتَنَعوا عن أن يُنزِلوهما ويُطعِموهما؛ لُؤمًا منهم!

وفي حديثِ قِصَّةِ موسى والخَضِر: ((فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئامًا، فطافا في المجالِسِ ف اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا)).[254]

---

(253) قال ابن حجر: (قيلَ: هي الأُبُلَّةُ.
وقيلَ: إنطاكيةُ.
وقيلَ: أذْرَبِيجانُ.
وقيلَ: بُرقةُ.
وقيلَ: ناصِرَةُ.
وقيلَ: جزيرةُ الأندلسِ...
وشدَّةُ المباينةِ في ذلك تقتضي أنْ لا يُوثَقَ بشيءٍ مِنْ ذلك).
((فتح الباري)) (8/420).
وقال ابنُ عثيمين: (لم يُعَيِّن اللهُ عزَّ وجَلَّ القريةَ، فلا حاجةَ إلى أن نبحَثَ عن هذه القريةِ، بل نقولُ: قريةٌ أبهَمَها الله فنُبهِمُها).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 119).
(254) رواه مسلم (2380).

فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ.

أي: فوجَد موسى والخَضِرُ في تلك القريةِ حائطًا مائِلًا يُوشِكُ أن يَسقُطَ وينَهدِمَ، فأصلَحه الخَضِرُ، وعدَّل مَيلَه فاستقامَ.(255)

(255) وذهب ابنُ تيميَّةَ والشنقيطيُّ وابنُ عُثيمين إلى أنَّ إرادةَ الجدارِ السُّقوطَ حَقيقيَّةٌ، وليست مجازًا.

يُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (7/107، 108)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (3/339)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 120).

قال ابنُ تيمية: (لَفظُ الإرادةِ قد استُعمِلَ في الميلِ الذي يكونُ معه شعورٌ، وهو مَيلُ الحَيِّ، وفي المَيلِ الذي لا شعورَ فيه، وهو مَيلُ الجَمادِ، وهو مِن مشهورِ اللُّغةِ؛ يقالُ: هذا السقفُ يريدُ أن يقَعَ، وهذه الأرضُ تريد أن تُحرَثَ، وهذا الزرعُ يُريدُ أن يُسقَى، وهذا الثَّمرُ يُريد أن يُقطَفَ، وهذا الثوبُ يريدُ أن يُغسَل، وأمثال ذلك.

واللفظُ إذا استُعمل في معنيَين فصاعِدًا، فإمَّا أن يُجعَلَ حقيقةً في أحدِهما مجازًا في الآخَرِ، أو حقيقةً فيما يختَصُّ به كلٌّ منهما، فيكونَ مُشتَرَكًا اشتِراكًا لَفظيًّا، أو حقيقةً في القَدرِ المُشترَك بينهما، وهي الأسماءُ المتواطئة، وهي الأسماءُ العامَّةُ كُلُّها.

وعلى الأوَّلِ يلزَمُ المجازُ، وعلى الثاني يلزمُ الاشتراكُ، وكلاهما خلافُ الأصلِ؛ فوجب أن يُجعَلَ مِن المتواطئةِ).

((مجموع الفتاوى)) (7/108).

وقال الشنقيطي: (قولُه: يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ لا مانعَ مِن حَمْلِه على حقيقةِ الإرادةِ المعروفةِ في اللغة؛ لأنَّ الله يَعلَمُ للجماداتِ ما لا نَعلَمُه لها، كما قال تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44] الآية.

وقد ثبت في «صحيحِ البُخاريِّ» حنينُ الجِذعِ الذي كان يخطُبُ عليه صلَّى الله عليه وسلم، وثبت في «صحيحِ مُسلِمٍ» أنَّه صلَّى الله عليه وسلم قال: «إني أعرِفُ حَجَرًا كان يُسَلِّمُ عليَّ في مكَّةَ».

وأمثال هذا كثيرةٌ جِدًّا، فلا مانع مِن أن يَعلَمَ اللهُ مِن ذلك الجدارِ إرادةَ الانقضاض.

ويجابُ عن هذه الآية أيضًا بما قدَّمنا من أنَّه لا مانعَ مِن كون العرب تستَعمِلُ الإرادةَ عند الإطلاقِ في معناها المشهورِ، وتستعمِلُها في الميلِ عند دَلالةِ القرينةِ على ذلك.

وكلا الاستعمالَين حَقيقةٌ في محَلِّه.

وكثيرًا ما تَستعمِلُ العَرَبُ الإرادةَ في مُشارفةِ الأمر، أي: قُرْبِ وُقوعِه).

((منع جواز المجاز)) (ص: 26، 27).

وقيل: نسبةُ الإرادةِ إلى الجدارِ مجازٌ، وممن اختار هذا القولَ: الواحدي، والبغوي، والرسعني، والقرطبي، وابنُ جزي، والخازنُ، والعليمي، والشوكاني.

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أبَيِّ بنِ كعبٍ: ((فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ يقولُ: مائِلٌ، قال الخَضِرُ بيده هكذا، فأقامَه)).(256)

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (104/14)، ((الوسيط)) للواحدي (160/3)، ((تفسير البغوي)) (209/3)، ((تفسير الرسعني)) (335/4)، ((تفسير القرطبي)) (25/11)، ((تفسير ابن جزي)) (471/1)، ((تفسير الخازن)) (173/3)، ((تفسير العليمي)) (205/4)، ((تفسير الشوكاني)) (358/3).

وقال ابنُ كثير: (وقولُه: فَأَقَامَهُ أي: فرَدَّه إلى حالةِ الاستقامةِ، وقد تقدَّم في الحديثِ أنَّه ردَّه بيديه ودعَمَه حتى ردَّ مَيلَه، وهذا خارِقٌ).

((تفسير ابن كثير)) (184/5).

وقال ابنُ عطيةَ: (اختَلف المفسِّرونَ في قولِه: فَأَقَامَهُ فقالت فِرقةٌ: هدَمَه وقعَدَ يبنيه، ووقَع هذا في مُصحَفِ ابنِ مسعودٍ، ويؤيِّدُ هذا التأويلَ قَولُه: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا؛ لأنَّه فِعلٌ يَستحِقُّ أجرًا.

وقال سعيدُ بنُ جُبيرٍ: مسَحَه بيَدِه وأقامَه فقام.

قال القاضي أبو محمدٍ: ورُوِيَ في هذا حديثٌ، وهو الأشبَهُ بأفعالِ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ).

((تفسير ابن عطية)) (534/3).

ويُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (351/15).

أفادت الآثارُ اختلاف السلف في معنى قوله: ﴿فأقامه﴾ على قولين: الأول: أنّه هدمه، ثم بناه من جديد.

كما في قول ابن عباس، والسدي، ومقاتل.

الثاني: أنه دفعه بيده فاستقام.

كما في قول أُبي، وسعيد بن جبير، ويحيى بن سلام.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٥/ ٣٥١) جواز القولين مع عدم القطع بواحد منهما؛ لصحتهما، وعدم الدّليل على تعيين واحد منهما، فقال: «والصوابُ مِن القول في ذلك أن يُقال: إنّ الله – عز وجل – أخبر أنّ صاحب موسى وموسى وجدا جدارًا يريد أن ينقض، فأقامه صاحب موسى، بمعنى: عدَّل ميله حتى عاد مستويًا.

وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم، وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوى بقدرة الله، وزال عنه ميله بلطفه.

ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أيّ».

وعلّق ابنُ عطية (٥/ ٦٤٤) على القول الأول بقوله: «ويؤيد هذا التأويل قول موسى – ﷺ –: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾؛ لأنه فِعْلٌ يستحقُّ أجرًا».

(256) رواه البخاري (122)، ومسلم (2380) واللفظ له.

وفي روايةٍ: ((أومأَ بِيَدِه هكذا، وأشار سُفيانُ كأنَّه يَمسحُ شَيئًا إلى فوق)).[257]

قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا.

أي: قال موسى للخَضِر: لو شِئتَ لم تُصلِحْ جِدارَ أهلِ هذه القريةِ اللِّئامِ، حتى يعطوك أُجرةً على ذلك، ولِم تُقِمْه لهم مجَّانًا.[258]

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أُبيِّ بنِ كعبٍ: ((قال له موسى: قومٌ أتيناهم فلم يُضَيِّفونا ولم يُطعِمونا، لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا))![259]

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ في روايةٍ: ((لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا: أجرًا نأكُلُه)).[260]

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78).

قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ.

---

(257) رواه البخاري (3401).

(258) قال ابنُ تيميَّةَ: (هذا سؤالٌ من جهةِ المعنى، فإنَّ السؤالَ والطَّلَبَ قد يكونُ بصيغةِ الشَّرطِ، كما تقولُ: لو نزَلْتَ عندنا لأكرَمْناك، وإن بِتَّ الليلةَ عندنا أحسنتَ إلينا، ومنه قولُ آدمَ: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الأعراف: 23]، وقولُ نوحٍ: رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ [هود: 47]).

((مجموع الفتاوى)) (7/175).

ويُنظر: ((تفسير أبي حيان)) (7/211).

(259) رواه البخاري (122)، ومسلم (2380) واللفظ له.

(260) رواه البخاري (4726).

أي: قال الخَضِرُ لموسى: سُؤالُك لي واعتراضُك على فِعلي للمَرَّةِ الثالثةِ سَبَبُ حُصولِ الفِراقِ بيني وبينَك، وقد انتهى ما بينَنا، فلن تَصحَبَني بعدَ الآن.

سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.

أي: سأُخبرُك قبل مُفارَقتِك بتفسيرِ أفعالي التي أنكَرْتَها عليَّ، ولم تستَطِعْ أن تصبِرَ عن سؤالي عنها حتى أُخبِرَك بحَقيقتِها.

سورةُ الكَهفِ

الآيات (79–82)

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)

غريب الكلمات:

زَكَاةً: أي: صلاحًا وطَهارةً، وأصل (زكو): يدُلُّ على نماءٍ وزيادةٍ.

رُحْمًا: أي: رَحمةً وعَطفًا، وأصلُ (رحم): يدُلُّ على الرِّقَّةِ والعَطفِ والرَّأفةِ.

أَعِيبَهَا: أي: أجعَلَها ذاتَ عَيبٍ.

يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا: بلَغ أشدَّه، أي: بلَغ مُنْتهَى شَبابِه وقُوَّتِه، أو: اشتدَّ جِسْمُه وقوي، والبُلوغُ والبَلاغُ: الانتهاءُ إلى أقصَى المقصدِ والمنتهَى. وأصلُ (بلغ): الوصولُ إلى الشَّيءِ، وأصل (شدد): يدلُّ على قوةٍ في الشيءِ.

تفسير الآيات:

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79).

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ.

أي: قال الخَضِرُ لموسى: أمَّا السَّفينةُ التي خَرَقْتُها فكانت لمساكينَ يَطلُبونَ فيها الرِّزقَ في البَحرِ.

وفي قصةِ موسَى والخضرِ عليهما السلامُ، من حديثِ أبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه: ((وجدا معابرَ صِغارًا تحمِلُ أهلَ هذا السَّاحِلِ إلى أهلِ هذا السَّاحِلِ الآخَرِ، عَرَفوه فقالوا: عبدُ الله الصَّالحُ –قال: قُلْنا لسعيدِ بنِ جُبَير: خَضِر؟ قال: نَعَم– لا نحمِلُه بأجرٍ، فخَرَقَها ووتَدَ فيها وتدًا)).[261]

فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا.

أي: فأردتُ أن أخرِقَ السَّفينةَ، فأجعَلَها مَعيبةً.

(261) أخرجه البخاري (4726)

وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا.

أي: وكان أمامَ(262) أصحابِ السَّفينةِ مَلِكٌ ظالِمٌ يَستولي على كُلِّ سَفينةٍ صالحةٍ قَهرًا.

---

(262) ممن اختار أنَّ معنى وَرَاءَهُمْ: أمامَهم: مقاتلُ بنُ سليمان، والفرَّاء، وابنُ قتيبة، وابنُ جرير، والسمرقندي، والواحدي ونسَبه لأكثرِ المفسِّرينَ، والبغوي، والبقاعي.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (598/2)، ((معاني القرآن)) للفراء (157/2)، ((غريب القرآن)) لابن قتيبة (ص: 270)، ((تفسير ابن جرير)) (354/15)، ((تفسير السمرقندي)) (357/2)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 669)، ((تفسير البغوي)) (209/3)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (119/12).

قال الواحدي: (أكثَرُ أهلِ العِلمِ مِن المفسِّرين وأصحابِ المعاني قالوا: وَرَاءَهُمْ هاهنا معناها أمامَهم...

ولا خِلافَ بين أهلِ اللُّغةِ أنَّ «وراء» يجوزُ أن تكونَ بمعنى قُدَّام).

((البسيط)) (113/14، 115).

وممن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: ابنُ عبَّاسٍ، وقتادةُ.

وقرَأ ابنُ عبَّاسٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، وابنُ مسعودٍ: (وكان أمامَهم مَلِك).

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (354/15)، ((تفسير ابن الجوزي)) (102/3).

وقيل وَرَاءَهُمْ بمعنى: خلفَهم.

وممن قال بذلك: الزجاجُ، وابنُ عطية.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج (305/3)، ((تفسير ابن عطية)) (535/3).

قال الزجاج: (ووَرَاءَهُم: خلفَهم، هذا أجودُ الوجهينِ.

ويجوزُ أن يكونَ كان رجوعُهم في طريقِهم عليه، ولم يكونوا يعلمونَ بخبرِه، فأعلَمَ اللهُ الخَضِرَ خبَرَه).

((معاني القرآن وإعرابه)) (305/3).

وقال ابنُ عطية: (وقولُه: وَرَاءَهُمْ هو عندي على بابِه، وذلك أنَّ هذه الألفاظَ إنما تجيءُ مُراعًى بها الزَّمنُ، وذلك أنَّ الحادِثَ المقَدَّمَ الوجودِ هو الأمامُ، وبينَ اليدِ: لِما يأتي بعده في الزمَنِ، والذي يأتي بعدُ: هو الوراءُ، وهو ما خَلف، وذلك بخلافِ ما يظهَرُ ببادي الرأيِ، وتأمَّلْ هذه الألفاظَ في مواضعِها حيث وردَت تجِدْها تطَّرِدُ؛ فهذه الآيةُ معناها: أنَّ هؤلاء وعَمَلَهم وسَعْيَهم يأتي بعده في الزمَنِ غَصبُ هذا الملِك، ومن قرأ «أمامهم»، أراد في المكانِ، أي: إنهم كانوا يسيرونَ إلى بلَدِه، وقولُه تعالى في التوراةِ والإنجيلِ إنَّهما بين يدَيِ القرآنِ، مطَّرِدٌ على ما قُلْنا في الزَّمنِ، وقولُه: مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ [الجاثية: 10] مطَّرِدٌ كما قلنا مراعاةً للزَّمنِ، وقولُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «الصَّلاةُ أمامَك» يريدُ في المكانِ، وإلَّا فكونُهم في ذلك الوقتِ كان أمام الصلاةِ في الزَّمَنِ، وتأمَّلْ هذه المقالةَ فإنَّها مريحةٌ مِن شَغبِ هذه الألفاظِ).

((تفسير ابن عطية)) (535/3).

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه: ((وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا، فإذا جاء الذي يُسَخِّرُها[263] وجَدَها مُنخَرِقةً فتجاوَزَها، فأصلَحوها بخَشَبةٍ)).[264]

وفي روايةٍ: ((فأرَدتُ إذا هي مَرَّتْ به أن يَدَعَها لِعَيبِها، فإذا جاوَزوا أصلَحوها، فانتَفَعوا بها)).[265]

وقال القُرطبيُّ مُعَلِّقًا على كلامِ ابنِ عطيةَ: (وما اختاره هذا الإمامُ قد سبَقه إليه في ذلك ابنُ عرفة؛ قال الهَرَوي: قال ابنُ عرفة: يقولُ القائلُ: كيف قال: «من ورائِه» وهي أمامه؟ فزعم أبو عُبَيد وأبو عليٍّ قُطرُب أنَّ هذا مِن الأضدادِ، وأنَّ «وراء» في معنى «قُدَّام»، وهذا غيرُ مُحصَّل؛ لأنَّ «أمام» ضِدُّ «وراء»، وإنما يصلُحُ هذا في الأماكِنِ والأوقاتِ، كقولِك للرجلِ إذا وعَد وعدًا في رجبٍ لرمضانَ، ثم قال: «ومِن ورائك شعبانُ»، لجاز وإن كان أمامَه؛ لأنه يخلفُه إلى وقتِ وَعدِه.

وأشار إلى هذا القول أيضًا القُشيري، وقال: إنما يقال هذا في الأوقاتِ، ولا يقالُ للرجلِ أمامَك: إنَّه وراءك).

((تفسير القرطبي)) (35/11).

وقال ابنُ القيم: (وأمَّا قَولُه: وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ فإنْ صَحَّت قراءةُ: «وكان أمامَهم مَلِكٌ» فلها معنًى لا يناقِضُ القراءةَ العامَّةَ، وهو أنَّ المَلِكَ كان خَلْفَ ظهورِهم، وكان مَرجِعُهم عليه، فهو وراءَهم في ذهابِهم، وأمامَهم في مَرجِعِهم؛ فالقراءتان بالاعتبارين. والله سبحانه وتعالى أعلم).

((بدائع الفوائد)) (196/4).

وقال ابنُ عاشور: (و«وراء»: اسمُ الجهةِ التي خَلْفَ ظَهرِ مَن أضيفَ إليه ذلك الاسمُ، وهو ضِدُّ «أمام» و«قُدَّام»...

وبعض المفسِّرين فسَّروا وَرَاءَهُم مَّلِكٌ بمعنى: أمامهم مَلِكٌ، فتوهَّم بعضُ مدوِّني اللغةِ أنَّ «وراء» مِن أسماءِ الأضدادِ، وأنكره الفَرَّاء وقال: لا يجوزُ أن تقولَ للذي بين يديك: «هو وراءَك»، وإنما يجوزُ ذلك في المواقيتِ مِن الليالي تقولُ: وراءك بردٌ شديدٌ، وبين يديك بردٌ شديدٌ.

يعني أنَّ ذلك على المجاز.

قال الزجَّاج: وليس من الأضدادِ كما زعم بعضُ أهلِ اللغةِ).

((تفسير ابن عاشور)) (16/11-12).

(263) يُسَخِّرُها: التَّسخيرُ بمعنَى التَّكليفِ، والحملِ على الفعلِ بغيرِ أُجرةٍ.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (350/2).

(264) رواه مسلم (2380).

(265) رواه البخاري (4726).

وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال: (فكان ابنُ عبَّاسٍ يقرأُ: «وكان أمامَهم مَلِكٌ يأخُذُ كُلَّ سَفينةٍ صالحةٍ غَصبًا»).[266]

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80).

وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ.

أي: وأمَّا الغلامُ الذي قتَلْتُه، فكان أبوه وأمُّه مُؤمِنَينِ باللهِ، وكان الغُلامُ كافِرًا.

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِر من حديثِ أُبَيٍّ: ((وأمَّا الغُلامُ فطُبِعَ يومَ طُبِعَ كافِرًا)).[267]

وعن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قال: (فكان ابنُ عَبَّاسٍ يَقرأُ: «وأمَّا الغلامُ فكان كافِرًا وكان أبواه مؤمِنَينِ»).[268]

---

(266) رواه البخاري (4725)، ومسلم (2380).
(267) رواه مسلم (2380).
(268) رواه البخاري (4725).

فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

أي: فخَشِينا[269] إنْ بَقِيَ الغلامُ حيًّا أن يغْشَى أبوَيه بالعُقوقِ، ويَحمِلَهما على الكُفرِ باللهِ.[270]

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أُبيٍّ: ((وأمَّا الغُلامُ فطُبِع يومَ طُبِع كافِرًا، وكان أبواه قد عطَفَا عليه، فلو أنَّه أدرك، أرهَقَهما طُغيانًا وكُفرًا)).[271]

---

(269) قال ابنُ الجوزي: (قولُه تعالى: فَخَشِينَا في القائِلِ لهذا قولان: أحدُهما: اللهُ عزَّ وجلَّ.
ثمَّ في معنى الخَشيةِ المضافةِ إليه قولان: أحدُهما: أنَّها بمعنى: العِلم.
قال الفرَّاء: معناه: فعَلِمْنا.
والثاني: الكراهةُ، قاله الأخفَشُ والزجَّاج.
وقال ابنُ عَقيل: المعنى: فعَلْنا فِعلَ الخاشي.
والثاني: أنَّه الخَضِرُ، فتكون الخشيةُ بمعنى الخَوفِ للأمرِ المتوهَّم، قاله ابنُ الأنباري.
وقد استدلَّ بعضُهم على أنَّه مِن كلامِ الخَضِرِ بقَولِه: فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا).
((تفسير ابن الجوزي)) (103/3).
وممَّن ذهبَ إلى أنَّ المرادَ بالخشيةِ هنا: العلمُ: ابنُ جريرٍ، يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (356/15- 357).
وممَّن ذهب إلى أنَّ المرادَ بها: الخوفُ، وأنَّها مِن كلامِ الخَضِر: الزمخشري، ورجَّحه القرطبي، وذكر أنَّه قَولُ كثيرٍ مِن المفَسِّرين، وفَسَّره بذلك: ابن عثيمين.
يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (741/2)، ((تفسير القرطبي)) (36/11)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 122).
(270) قال ابن تيمية: (الغلامُ الذي قتلَه الخَضِرُ: إمَّا أن يكونَ كافرًا بالغًا كَفَر بعدَ البلوغِ، فيجوزُ قَتلُه، وإمَّا أن يكونَ كافرًا قبلَ البلوغِ، وجاز قَتْلُه في تلك الشَّريعةِ، وقُتِل؛ لئلَّا يَفتِنَ أبويه عن دينِهما، كما يُقتَلُ الصبيُّ الكافِرُ في دينِنا إذا لم يندَفِعْ ضَرَرُه عن المُسلِمينَ إلَّا بالقَتلِ).
((درء تعارض العقل والنقل)) (428/8).
ويُنظر: ((أحكام أهل الذمة)) لابن القيم (1044/2)، ((تفسير القاسمي)) (56/7، 57).
(271) رواه مسلم (2380).
قال ابن تيمية: (يعني: طَبَعه اللهُ في أمِّ الكِتابِ، أي: كَتَبَه وأثبَتَه كافِرًا، أي: أنَّه إن عاش كَفَر بالفِعلِ).
((مجموع الفتاوى)) (246/4).

وفي روايةٍ: ((فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا أن يَحمِلَهما حُبُّه على أن يُتابِعاه على دِينِه)).[272]

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81).

أي: قال الخَضِرُ: فأرَدْنا بقَتلِ الغُلامِ الكافِرِ أن يُبدِلَ اللهُ أبوَيه المُؤمنَينِ ولَدًا صالحًا خيرًا مِن الأوَّل: دينًا، وصَلاحًا، وطهارةً مِن الذُّنوبِ، وأرحمَ بوالِدَيه، وأبَرَّ بهما منه.[273]

ويُنظر: ((درء تعارض العقل والنقل)) لابن تيمية (8/363).

(272) رواه البخاري (4726).

(273) قال البقاعي: (فكان الضَّــرَرُ اللَّاحِقُ لهما بالتأسُّــفِ عليه أدنى من الضَّــرَرِ اللاحِقِ لهما عند كِبَرِه، بإفســادِ دينِهما أو دُنياهما).

((نظم الدرر)) (12/121-122).

اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿وأقرب رحما﴾ على قولين: أحدهما: أقرب برًّا بوالديه من الغلام المقتول.

كما في قول قتادة.

وثانيهما: أقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول.

كما في قول عطية العوفي.

وقد رجّح ابنُ جرير (١٥/ ٣٦١) القول الأول، فقال: «وإنّما معنى ذلك: وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما، كما قال قتادة».

ثم اســتدرك على القول الثاني لخروجه عمّا قاله أهل التأويل من الســلف، فقال: «وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه: وأقرب أن يرحَما به.

غير أنه لا قائل مِن أهل تأويل تأوله كذلك، فإذ لم يكن قال به قائل فالصواب فيه ما قلنا لِما بَيَّنّا».

وفي قِصَّةِ موسى والخَضِرِ من حديثِ أبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه: ((ووقع أبوه على أمِّه فعَلِقَتْ،[274] فوَلَدَت منه خيرًا منه زكاةً، وأقرَبَ رُحمًا)).[275]

وفي حديثِ أبِيّ بنِ كعبٍ أيضًا في روايةٍ: ((وَأَقْرَبَ رُحْمًا هما به أرحَمُ منهما بالأوَّلِ الذي قَتَلَ خَضِرٌ)).

قال ابنُ جُرَيجٍ: وزعم غيرُ سَعيدِ بنِ جُبَيرٍ: أنهما أُبدِلَا جاريةً. وأما داودُ بنُ أبي عاصِمٍ فقال: عن غيرِ واحدٍ: إنَّها جاريةٌ.[276]

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82).

وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ.

أي: وأمَّا الحائطُ الذي أقمْتُه فكان لغُلامَينِ يتيمَينِ في المدينةِ التي أبَى أهلُها أن يُضَيِّفونا، فحالُهما تقتضي رحمَتَهما والرَّأفةَ بهما؛ لكَونِهما صَغيرَينِ فَقَدا أباهما.

---

(274) عَلِقَت: أي: حَبِلَت.

يُنظر: ((مختار الصحاح)) للفيومي (ص: 216).

(275) أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (5844)، وعبد الله بن أحمد في ((زوائد المسند)) (21118) واللفظ له.

صحَّح إسنادَه شُعَيب الأرناؤوط في تحقيق ((مسند أحمد)) (52/35).

(276) رواه البخاري (4726).

وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا.

أي: وكان تحت الجِدارِ مالٌ عَظيمٌ مَدفونٌ لليتيمَينِ، فلو وقع الجِدارُ لكان أقرَبَ إلى ضَياعِ مالِهما.[277]

وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا.

أي: وكان والِدُ اليتيمَينِ -الذي مات وخلَّفهما- صالِحًا، فينبغي مُراعاتُه، والعنايةُ بذُرِّيتِه.

فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا.

أي: فأراد ربُّك -يا موسى- أن يَكبَرَ اليتيمانِ حتى يَصِلا إلى سِنّ الرُّشدِ،[278] وتَمامِ القُوَّةِ، ويَستَخرِجا حينَئذٍ مالَهما المدفونَ تحت الجِدارِ.

---

(277) اختُلِفَ في الكنز الذي كان تحت الجدار، أي شيء هو؟ على قولين: الأول: كان صحفًا فيها علم.
والثاني: كان مالًا مكنوزًا.
وقد رجّح ابنُ جرير (١٥/ ٣٦٦) مستندًا إلى اللغة القول الثاني، مُعَلِّلًا ذلك بقوله: «لأنّ المعروف من كلام العرب أن الكنز: اسم لما يُكنَزُ مِن مال، وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز، فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك».
ووافقه ابنُ كثير (٩/ ١٧٧) مستندًا إلى السياق بقوله: «وهذا ظاهر السياق من الآية».
وحكى ابنُ كثير (٩/ ١٧٨) القول الأول عن بعض الأئمة، ثم قال معلِّقًا: «وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة، وورد به الحديث المتقدم -وإن صح- لا ينافي قول عكرمة: أنه كان مالًا؛ لأنهم ذكروا أنه كان لوحًا من ذهب، وفيه مال جزيل، أكثر ما زادوا أنه كان مُودعًا فيه علم، وهو حِكَم ومواعظ».
(278) قال ابنُ عطية (٥/ ٦٥١): «والأَشُدُّ: كمال الخُلُق والعقل.
واختلف الناس في قدر ذلك من السن؛ فقيل: خمس وثلاثون.
وقيل: ستٌّ وثلاثون.
وقيل: أربعون.
وقيل غير هذا مما فيه ضَعْف».

رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ.

أي: هذا الذي كان –يا موسى– إنما فَعَلْتُه رَحمةً مِنْ رَبّك.(279)

وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي.

أي: وما فعلتُ جميعَ تلك الأمورِ التي رأيتَني فعَلْتُها عن رأيي، ومِن تِلقاءِ نَفسي، وإنَّما فعَلْتُها بأمرِ اللهِ.(280)

---

(279) قال أبو السعود: (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ مصدرٌ في موقعِ الحالِ، أي: مرحومَين منه عزَّ وجلَّ، أو مفعولٌ له، أو مصدرٌ مؤكِّدٌ لـ «أراد»؛ فإنَّ إرادةَ الخيرِ رحمةٌ.

وقيل: متعلقٌ بمضمرٍ، أي: فعلتُ ما فعلتُ مِن الأمورِ التي شاهدتَها رحمةً مِن ربّك، ويعضُدُه إضافةُ الربِّ إلى ضميرِ المخاطبِ دونَ ضميرِهما، فيكونُ قولُه عزَّ وعلا: وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي أي: عن رأيي واجتهادي؛ تأكيدًا لذلك).

((تفسير أبي السعود)) (5/239).

قال ابنُ كثير: (هذا الَّذي فعلتُه في هذه الأحوالِ الثَّلاثةِ، إنَّما هو مِنْ رحمةِ اللَّهِ بمَن ذكَرنا مِنْ أصحابِ السَّفينةِ، ووالِدَي الغلامِ، وولَدَي الرَّجلِ الصَّالِح).

((تفسير ابن كثير)) (5/187).

وقال ابنُ جرير: (فَعَلْتُ فِعلي هذا بالجدارِ؛ رحمةً مِنْ ربّك لليتيمَيْن).

((تفسير ابن جرير)) (15/366).

(280) قال ابنُ عطية (٥/ ٦٥١): «وقول الخضِر: ﴿وما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي﴾ يقتضي أنّ الخضر نبي».

وقال ابنُ كثير (٩/ ١٧٩): «وفيه دلالة لِمن قال بنبوة الخضِر – عليه السلام –، مع ما تقدم من قوله: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾».

ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا.

أي: ذلك الذي بيَّنْتُه لك -يا مُوسى- هو تَفسيرُ أفعالي التي استنكَرْتَها عليَّ، ولم تستَطِعْ أن تَصبِرَ عن سؤالي عنها.

سورةُ الكَهفِ

الآيات (83–91)

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ
وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا
تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ
حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا
مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا
(89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا
(90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91)

غريب الكلمات:

سَبَبًا: أي: طَرِيقًا ومَسلكًا، يُقالُ للطَّريقِ إلى الشَّيءِ: سَبَبٌ، وللحَبْلِ يُتوصَّلُ به إلى الماءِ: سَبَبٌ، ولكُلِّ ما يُتوصَّلُ به إلى شَيءٍ يَبعُدُ عنك: سَبَبٌ، وأصلُ (سبب): يدُلُّ على طولٍ وامتِدادٍ.

عَيْنٍ حَمِئَةٍ: أي: عينِ ماءٍ ذاتِ حَمْأةٍ، والعينُ تُطلَقُ على الينبوعِ، وهو الماءُ الكثيرُ، والمرادُ بالعينِ: البحرُ، أو عينٌ مِن البحرِ، والحمأةُ هي: الطِّينُ الأسْودُ المُنتِنُ.

تفسير الآيات:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83).

وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

أي: ويَسألُك الكُفَّارُ[281] –يا محمَّدُ– عن شَأنِ ذي القَرنَينِ[282] وخَبَرِه.[283]

---

(281) قال ابن عثيمين: (سواءٌ مِن يهود، أو من قُرَيش، أو مِن غيرِهم).
((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 124).
وذهب ابنُ جريرٍ وابنُ عاشور إلى أنَّ السائلينَ هم كفَّارُ قُرَيشٍ.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (368/15)، ((تفسير ابن عاشور)) (17/16).
قال ابنُ عاشور: (السائلون: قريشٌ لا محالةَ، والمسؤول عنه: خبرُ رجلٍ مِن عظماء العالَمِ عُرِفَ بلَقَبِ ذي القرنين، كانت أخبارُ سيرته خفيَّةً مُجمَلةً مُغلَقةً، فسألوا النبيَّ عن تحقيقِها وتفصيلِها، وأذِنَ له الله أن يبيِّنَ منها ما هو موضِعُ العبرة للناسِ في شؤون الصلاحِ والعدل، وفي عجيبِ صنعِ الله تعالى في اختلافِ أحوال الخَلقِ).
((تفسير ابن عاشور)) (17/16).
(282) قال البقاعي: (ذو القَرنَين: سُمِّي لشَجاعتِه، أو لبلوغِه قَرنَيَ مَغرِب الشَّمسِ ومَشرِقِها، أو لانقراضِ قرنينِ مِن النَّاسِ في زمانِه، أو لأنَّه كان له ضفيرتانِ مِن الشَّعرِ، أو لتاجه قرنانِ).
((نظم الدرر)) (128/12).
بيّن ابنُ تيمية (٤/ ٢٦٣ بتصرف) أن من يسمي ذي القرنين بالإسكندر فإنه يريد به: الإسكندر بن دارا، ثم انتقد أن يكون المقصود به الإسكندر المقدوني مستندًا إلى ظاهر القرآن، ودلالة التاريخ، وذلك من وجهين: الأول: أن ذا القرنين كان مؤمنًا موحدًا، والمقدوني كان كافرًا.
الثاني: أن ذا القرنين بلغ أقصى المشرق والمغرب، وبنى سد يأجوج ومأجوج، والمقدوني لم يصل لا إلى هذا ولا إلى هذا، ولا وصل إلى السد.
رجّح ابنُ عطية (٥/ ٦٥٢ – ٦٥٣) مستندًا إلى اللغة في سبب تسمية ذي القرنين بهذا الاسم قول عبيد بن علي ومن وافقه، فقال: «فأحسن الأقوال أنه كان ذا ضفرتين مِن شعر هما قرناه، فسُمّي بهما، ذكره المهدوي وغيره، والضفائر قرون الرأس، ومنه قول الشاعر:
فلثمت فاها آخذًا بقرونها ...
شرب النَّزيف لبرد ماء الحشرج
ومنه حديث في غسل بنت النبي – ﷺ –، قالت أم عطية: فضفرنا رأسها ثلاثة قرون.
وكثيرًا تجيء تسمية النواصي: قرونًا».
(283) قال أبو السعود: (اختُلِف في نبُوَّتِه بعد الاتِّفاقِ على إسلامِه...
والصَّحيحُ أنَّه ما كان نبيًّا ولا مَلَكًا، وإنَّما كان مَلِكًا صالحًا عادِلًا).
((تفسير أبي السعود)) (240/5).
وقال البغوي: (الأكثرونَ على أنَّه كان مَلِكًا عادِلًا صالحًا).

قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا.

أي: قُلْ -يا محمَّدُ- لِمَن سألَك عن ذي القَرنَين: سأقُصُّ عليكم بعضَ أخبارِه مِمَّا يكونُ فيها ذِكرى وعِبرةٌ وعِظةٌ.(284)

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84).

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ.

((تفسير البغوي)) (212/3).

وقال ابنُ القَيِّم: (الإسكندرُ المَقدونيُّ، وهو ابن فيلبس، وليس هو بالإسكندر ذي القَرنَينِ الذي قَصَّ اللهُ تعالى نبأه في القرآنِ، بل بينهما قرونٌ كثيرةٌ، وبينهما في الدِّينِ أعظَمُ تبايُنٍ؛ فذو القرنين كان رجلًا صالحًا موحِّدًا لله تعالى، يؤمِنُ بالله تعالى وملائكتِه، وكُتُبه ورُسُلِه واليومِ الآخرِ، وكان يغزو عُبَّادَ الأصنامِ، وبلغ مشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها، وبنى السَّدَّ بين الناسِ وبين يأجوجَ ومأجوجَ.

وأمَّا هذا المقدونيُّ فكان مُشركًا يعبُدُ الأصنامَ هو وأهلُ مملكتِه).

((إغاثة اللهفان)) (263/2-264).

ويُنظر: ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (171/11).

(284) قال البقاعي: (مِنْهُ ذِكْرًا كافيًا لكم في تعرُّفِ أمرِه، جامعًا لجامعِ ذِكرِه).

((نظم الدرر)) (129/12).

وقال الألوسي: (قُلْ لهم في الجوابِ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا الخطابُ للسائلين، والهاء لذي القرنين، ومِنْ: تبعيضيةٌ، والمرادُ: من أنبائِه وقَصَصِه، والجارُّ والمجرور صفةُ ذِكْرًا قُدِّمَ عليه فصار حالًا، والمراد بالتلاوةِ: الذِّكرُ، وعبَّرَ عنه بذلك؛ لكونِه حكايةً عن جهة الله عزَّ وجَلَّ، أي: سأذكرُ لكم نبأً مذكورًا من أنبائه.

ويجوز أن يكون الضميرُ له تعالى، ومن: ابتدائيةٌ، ولا حَذْفَ، والتلاوةُ على ظاهِرِها، أي: سأتلو عليكم من جهتِه سبحانه وتعالى في شأنِه ذِكرًا، أي: قُرآنًا).

((تفسير الألوسي)) (351/8).

أي: إنَّا وطَّأْنا ومهَّدْنا لذي القَرنَينِ المُلكَ في الأرضِ، فأقدَرْناه على ذلك، وقوَّيناه بكَثرةِ الجُنودِ وآلاتِ الحَربِ، وحُسنِ التدبيرِ، وبسْطِ الهَيبةِ، وغيرِ ذلك.

كما قال تعالى: وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ [البقرة: 247].

وقال سُبحانَه: قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [آل عمران: 26].

وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا.

أي: وآتَيناه مِن كُلِّ شَيءٍ يحتاجُ إليه مِثلُه مِن علمٍ أو قدرةٍ أو آلةٍ؛ حتَّى يصلَ به إلى مقصودِه مِن فَتحِ الأقاليمِ، وكَسرِ الأعداءِ، والتمكينِ في الأرضِ إلى غيرِ ذلك.

فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85).

أي: فسار ذو القرنينِ في طَريقٍ آخذًا بالأسبابِ والوسائلِ التي تُوصِلُه إلى مَقصودِه.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86).

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ.

أي: سار ذو القرنَينِ إلى أن بلغَ أقصى موضعٍ يُمكِنُ سُلوكُه مِن اليابِسةِ مِن الجِهةِ الغَربيَّةِ للأرضِ، فوجد الشَّمسَ تَغرُبُ -في ناظِرَيه[285] - في بحرٍ ذي طينٍ أسودَ مُنتِنٍ، فرآها وكأنَّها تَغرُبُ في ذلك البحرِ.

القراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ حَمِئَةٍ أي: عَينٍ ذاتِ حَمْأةٍ، وهو: الطِّينُ الأسوَدُ المُنتِنُ.[286]

---

(285) قال ابنُ تيميَّةَ: (معنى تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ أي: في رأيِ النَّاظِرِ باتِّفاقِ المفَسِّرينَ، وليس المرادُ تسقُطُ مِن الفَلَك فتغرُبُ في تلك العينِ؛ فإنَّها لا تنزِلُ مِن السماءِ إلى الأرضِ، ولا تُفارِقُ فَلَكَها).
((مختصر الفتاوى المصرية)) (ص: 579).
ويُنظر: ((تفسير القرطبي)) (11/49، 50)، ((تفسير البيضاوي)) (3/291)، ((تفسير ابن كثير)) (5/192)، ((تفسير السعدي)) (ص: 485).
قال الشنقيطي: (المرادُ بالعين في الآية: البحرُ المحيط، وهو ذو طينٍ أسوَدَ، والعينُ تُطلَقُ في اللغةِ على ينبوعِ الماءِ، واليَنبوعُ: الماءُ الكثير، فاسمُ العينِ يَصدُقُ على البحر لغةً، وكونُ مَن على شاطئِ المحيط الغربيِّ يرى الشَّمسَ في نَظَرِ عَينِه تَسقُطُ في البحرِ؛ أمرٌ معروف).
((أضواء البيان)) (3/341).
ويُنظر: ((حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي)) (6/131).
قال ابنُ تيمية (٤/ ٢٦٤): «ومعنى ﴿تغرب في عين﴾: أي: في رأي الناظر باتفاق المفسرين، وليس المراد أنها تسقط من الفلك فتغرب في تلك العين».

(286) قرأ بها نافعٌ، وابنُ كثيرٍ، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ، وحفصٌ عن عاصمٍ.
يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (2/314).
ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 230)، ((معاني القراءات)) للأزهري (2/121)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 429)، ((مفاتيح الأغاني)) لأبي العلاء الكرماني (ص: 261).

2- قِراءةُ حَامِيَةٍ أي: عَينٍ ماءٍ حارَّةٍ.[287]

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا.

أي: ووجد ذو القَرنَينِ عندَ تلك العَينِ على ساحِلِ البَحرِ أُمَّةً مِن الأُمَمِ.[288]

---

(287) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (314/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((تفسير ابن جرير)) (374/15)، ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 230)، ((معاني القراءات)) للأزهري (121/2)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 428).

قال ابنُ جرير: (الصَّوابُ مِن القَولِ في ذلك عندي أن يقال: إنَّهما قراءتانِ مُستفيضتانِ في قراءةِ الأمصار، ولكُلّ واحدةٍ منهما وجهٌ صحيحٌ ومعنًى مفهومٌ، وكلا وجهَيه غيرُ مُفسدٍ أحدُهما صاحبَه؛ وذلك أنَّه جائزٌ أن تكون الشَّمسُ تَغرُبُ في عينٍ حارَّةٍ ذاتِ حمأةٍ وطينٍ، فيكون القارئُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ [واصِفَها] بصِفتِها التي هي لها -وهي الحرارة- ويكون القارئُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ واصِفَها بصِفتِها التي هي بها، وهي أنَّها ذاتُ حمأةٍ وطينٍ).

((تفسير ابن جرير)) (377/15).

وقال ابن كثير: (قلتُ: ولا مُنافاةَ بين مَعنَييهما؛ إذ قد تكون حارَّةً لمجاورتِها وَهجَ الشَّمسِ عند غروبِها، وملاقاتِها الشُّعاعَ بلا حائل، وحَمِئَةً في ماءٍ وطينٍ أسوَدَ، كما قال كعبُ الأحبارِ وغيرُه).

((تفسير ابن كثير)) (192/5).

وقال البقاعي: (فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ أي: ذاتِ حمأةٍ، أي: طينٍ أسوَدَ، وهي مع ذلك حارَّةٌ).

((نظم الدرر)) (130/12).

(288) قال البيضاوي: (كانوا كُفَّارًا فخيَّرَه اللهُ بين أن يعذِّبَهم أو يدعُوَهم إلى الإيمانِ).

((تفسير البيضاوي)) (292/3).

﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.

أي: قُلْنا: يا ذا القَرنَينِ، إمَّا أن تُعَذِّبَ مَن أصَرَّ منهم على الكُفرِ،(289) وإمَّا أن تُحسِنَ إليهم.(290)

---

(289) قيل: المرادُ بالتعذيبِ: القتلُ.

وممن قال بذلك: ابنُ جريرٍ، والواحدي، والبغوي، والبيضاوي، والبقاعي، وابنُ عاشورٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (379/15)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 670)، ((تفسير البغوي)) (213/3)، ((تفسير البيضاوي)) (292/3)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (131/12)، ((تفسير ابن عاشور)) (26/16).

وقيل: المرادُ: القتلُ والسبي.

وممن قال بذلك: ابنُ كثير.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (193/5).

وقال السعدي: (﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي: إمَّا أن تعَذِّبَهم بقَتلٍ أو ضربٍ أو أَسْرٍ، ونحوه، وإمَّا أن تُحسِنَ إليهم؛ فخُيِّرَ بينَ الأمرينِ؛ لأنَّ الظَّاهِرَ أنَّهم كُفَّارٌ أو فُسَّاقٌ، أو فيهم شيءٌ من ذلك؛ لأنَّهم لو كانوا مؤمنين غيرَ فُسَّاقٍ، لم يُرخَّصْ في تعذيبِهم).

((تفسير السعدي)) (ص: 485-486).

ويُنظر: ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 127).

وقال ابن عاشور: (دلَّ قولُه: ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ على أنَّهم مُستحِقُّون للعذابِ؛ فدلَّ على أنَّ أحوالَهم كانت في فَسادٍ مِن كُفرٍ وفَسادِ عمَلٍ).

((تفسير ابن عاشور)) (26/16).

(290) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (379/15)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 670)، ((تفسير البيضاوي)) (292/3)، ((تفسير ابن كثير)) (193/5)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 127).

قيل: المراد بقولِه: ﴿تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: أن تأسِرَهم فتعلمَهم الهدَى، وتبصرَهم الرشادَ.

وممن قال بذلك: ابنُ جريرٍ، والواحدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (379/15)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 670).

وقيل: المرادُ: تتَّخذَ فيهم حسنًا بالإرشادِ، وتعليمِ الشرائعِ.

وممن قال بذلك: البيضاوي، والبقاعي، وابنُ عاشورٍ.

يُنظر: ((تفسير البيضاوي)) (292/3)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (131/12)، ((تفسير ابن عاشور)) (26/16).

وقيل: المرادُ: تعفو وتصفح.

وممن قال بذلك: البغوي.

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87).

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ.

أي: قال ذو القرنَينِ:[291] أمَّا مَن ظلَمَ نَفسَه بالإصرارِ على الكُفرِ بعد دَعوتِه للحقِّ، فسوف نُعَذِّبُه.

ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا.

أي: ثُمَّ يَرجِعُ الكافِرُ بعد تعذيبِنا له في الدُّنيا إلى رَبِّه، فيُعَذِّبُه عذابًا فَظيعًا شَديدًا.[292]

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (3/213).

وقيل: المرادُ: المَنُّ أو الفداء.

وممن قال بذلك: ابنُ كثيرٍ.

يُنظر: ((تفسير ابن كثير)) (5/193).

وقال الرسعني: (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ من قال: إنَّه نبيٌّ فالمعنى: قُلْنا له بطريقِ الوحيِ أو التكليمِ، ومن قال: عبدٌ صالحٌ، فالمعنى: قُلْنا له بطريقِ الإلهامِ، أو بطريقِ الإرسالِ إليه).

((تفسير الرسعني)) (4/354).

ويُنظر: ((الوسيط)) للواحدي (3/165)، ((تفسير البغوي)) (3/213)، ((تفسير ابن عطية)) (3/539)، ((تفسير القاسمي)) (7/72).

وقال القرطبي: (يجوزُ أنْ يكونَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ خاطبَه على لسانِ نبيٍّ في وقتِه).

((تفسير القرطبي)) (11/52).

(291) قال ذو القرنين ذلك الكلامَ لمن عندَه مِن خواصِّه وأهلِ مشورته.

وقيل: قاله للنبيِّ الذي خاطَبَه الله على لسانِه.

يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (5/243).

(292) قال البقاعي: (فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا شـديدًا جِدًّا لم يُعهَدْ مِثلُه؛ لكُفرِه لنعمتِه، وبَذْلِ خَيرِه في عبادةِ غيرِه، وفي ذلك إشـارةٌ بالتهديدِ الشديدِ لليهود الغارِّين لقريشٍ، وإرشادٌ لقُريشٍ إلى أن يسألوهم عن قَولِه هذا؛ ليكون قائدًا لهم إلى الإقرارِ بالبَعثِ).

((نظم الدرر)) (12/131).

قال ابن عثيمين: (ولكنَّه بالنسبة لله تعالى ليس بنُكْرٍ، بل هو حَقٌّ وعَدلٌ، لكنَّه ينكرُه المعَذَّبُ، ويرى أنَّه شديدٌ).

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88).

وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى.

أي: وأمَّا مَن آمنَ بعدَ كُفرِه، وعَمِلَ بطاعةِ اللهِ مُخلِصًا له وَحدَه لا شَريكَ له؛ فله في الآخرةِ الجَنَّةُ ثوابًا على إيمانِه وعَمَلِه الصَّالِحِ.

وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا.

أي: وسنُلطِفُ له القَولَ ونُلينُه في الدُّنيا، ونُعَلِّمُه ما تيسَّرَ تعليمُه مِن الخيرِ، ونُعامِلُه باليُسرِ، ونُحسِنُ إليه.

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89).

أي: ثمَّ سار ذو القرنَينِ في طريقٍ آخَرَ آخِذًا بالأسبابِ والوسائِلِ؛ كي يصِلَ إلى جهةِ المَشرِقِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90).

حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ.

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 128).

أي: سار ذو القَرنَينِ إلى أن بلغ أقصى مَوضِعٍ يُمكِنُ سُلوكُه من الجِهةِ الشَّرقيَّةِ للأرضِ، حيث تَطلُعُ الشَّمسُ.(293)

وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا.

أي: فوجد الشَّمسَ تَطلُعُ على قَومٍ ليس لهم شيءٌ يُظِلُّهم منها؛ من جَبَلٍ أو شَجَرٍ أو بِناءٍ!(294)

كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91).

---

(293) قال ابنُ الجوزي: (قال ابنُ الأنباري: ولا خلافَ بينَ أهلِ العربيَّةِ في أنَّ المَطْلِعَ والمَطْلَعَ كلاهما يُعنى بهما المكانُ الذي تَطلُعُ منه الشَّمسُ).

((تفسير ابن الجوزي)) (107/3).

وقال ابنُ عاشور: (مَطلِعُ الشَّمسِ: جِهةُ المشرِقِ مِن سُلطانِه ومَملكتِه).

((تفسير ابن عاشور)) (28/16).

ويُنظر: ((زهرة التفاسير)) لأبي زهرة (4582/9، 4583).

(294) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (381/15)، ((تفسير السمرقندي)) (361/2)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 671)، ((تفسير ابن كثير)) (194/5)، ((تفسير الشوكاني)) (365/3).

قال السعدي: (أي: وجدها تطلُعُ على أناسٍ ليس لهم سِترٌ مِن الشَّمسِ؛ إمَّا لعدَمِ استعدادِهم في المساكِنِ؛ وذلك لزيادة همجيَّتِهم وتوحُّشِهم، وعَدَمِ تمدُّنِهم، وإمَّا لكون الشَّمسِ دائمةً عندهم، لا تغرُبُ عنهم غروبًا يُذكَرُ).

((تفسير السعدي)) (ص: 486).

وقال ابن عثيمين: (تَطلُعُ على قَومٍ ليس عندهم بناءٌ، ولا أشجارٌ ظَليلةٌ ولا دُورٌ ولا قصورٌ، وبعضُ العلماءِ بالغَ حتى قال: وليس عليهم ثيابٌ؛ لأنَّ الثيابَ فيها نوعٌ مِن السَّترِ.

المهِمُّ أنَّ الشَّمسَ تحرِقُهم).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 130).

ومَن ذكَر أنَّهم قومٌ عراةٌ، لا لباسَ لهم: السمرقندي، والواحدي، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (361/2)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 671)، ((تفسير الشوكاني)) (365/3).

أي: كذلك،[295] وقد عَلِمْنا ما لدى ذي القرنَينِ مِن الجُندِ والأموالِ، والآلاتِ وأسبابِ المُلكِ والقُوَّة،

فلم يخْفَ علينا شيءٌ مِن ذلك.[296]

---

(295) اختلَف المفسِّرونَ في المشَبَّهِ به، والمشارِ إليه في قوله تعالى: كَذَلِكَ فقيل: متعلقٌ بـ أَتْبَعَ فيكونُ المعنى: ثم أتبَع سببًا، حتى بلَغ مطلعَ الشمسِ، كما أتبَع سببًا حتَّى بلَغ مغربَها.

وممن قال بذلك: ابنُ جريرٍ، والشوكاني.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (383/15)، ((تفسير الشوكاني)) (365/3).

وقيل: كَذَلِكَ: أي: كما بلَغ مغربَ الشمسِ، كذلك بلَغ مطلعَها.

وممن اختاره: السمرقندي، والرسعني، والخازنُ.

يُنظر: ((تفسير السمرقندي)) (361/2)، ((تفسير الرسعني)) (359/4)، ((تفسير الخازن)) (176/3).

وقيل: المعنى: كما حكَم في القومِ الذين هم عندَ مغربِ الشمسِ، كذلك حكَم في الذين هم عندَ مطلعِ الشمسِ.

وممن قال به: البغوي، وابنُ عطية، والعليمي.

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (213/3)، ((تفسير ابن عطية)) (541/3)، ((تفسير العليمي)) (216/4).

وقيل: المعنى: كذلك أمرُ ذي القرنين هو كما وصفناه لكم.

وممن قال بذلك في الجملةِ: الزمخشري، وأبو السعود، والبقاعي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((تفسير الزمخشري)) (745/2)، ((تفسير أبي السعود)) (244/5)، ((نظم الدرر)) للبقاعي (132/12-133)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 130).

وقال الواحدي: (قولُه تعالى: كَذَلِكَ اختلَفوا في المشَبَّهِ به، والمشارِ إليه، فقال الزجَّاجُ: يجوزُ أن يكونَ التَّقديرُ: وجَدَها تطلُعُ على قَومٍ كذلك القَبيلِ الذين كانوا عند مغربِ الشَّمسِ، وأنَّ حُكْمَهم حُكمُ أولئك.

وقال غيره: المعنى: كما بلَغ مغربَ الشَّمسِ، فكذلك بلغ مَطلِعَها.

وقيل: أتبَعَ سببًا كما أتبَعَ سَببًا.

والقولُ ما قاله أبو إسحاقَ [الزجَّاج]؛ لأنَّ التَّشبيهَ بالكافِ يجِبُ أن يرجِعَ إلى أقرَبِ المذكورِ إليه، والأقربُ وجودُ القَومِ لا البلوغُ والإتباعُ).

((البسيط)) (138/14).

(296) وممن اختار هذا المعنى لقولِه تعالى: أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا في الجملة: البغوي، وابنُ الجوزي، والبيضـــاوي، وابنُ كثير، والسعدي، وابنُ عاشور، وابنُ عثيمين.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ [آل عمران: 5].

يُنظر: ((تفسير البغوي)) (213/3)، ((تفسير ابن الجوزي)) (108/3)، ((تفسير البيضاوي)) (292/3)، ((تفسير ابن كثير)) (194/5)، ((تفسير ابن عاشور)) (30/16)، ((تفسير السعدي)) (ص: 486)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 130).

قال البيضاوي: (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ من الجنودِ والآلاتِ والعُدَدِ والأسبابِ خُبْرًا عِلمًا تعلَّقَ بظواهِرِه وخفاياه، والمرادُ: أنَّ كثرةَ ذلك بلَغت مبلغًا لا يُحيطُ به إلَّا عِلمُ اللَّطيفِ الخبيرِ).

((تفسير البيضاوي)) (292/3).

وقيل: المعنى: وقد أحطْنا بما عند مَطلِعِ الشَّمسِ عِلمًا، لا يخفى علينا مِمَّا هنالك من الخَلقِ وأحوالِهم وأسبابِهم، ولا مِن غَيرِهم؛ شيءٌ.

وممن قال بذلك: ابن جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (384/15).

ويُنظر أيضًا: ((نظم الدرر)) للبقاعي (133/12)، ((تفسير أبي السعود)) (244/5).

وقيل: معناه: وقد عِلمْنا حينَ ملَّكناه ما عندَه مِن الصلاحيةِ بذلك الملكِ، والاستقلالِ به، والقيامِ بأمرِه.

يُنظر: ((تفسير الخازن)) (176/3).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (92–98)

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ
أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ
انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا
اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ
رَبِّي حَقًّا (98)

غريب الكلمات:

السَّدَّيْنِ: أي: الجبَلين، وأصلُ (سدد): يدُلُّ على رَدمِ شَيءٍ ومُلاءمتِه.

خَرْجًا: أي: جُعْلًا وأجرًا، وأصلُ (خرج): يدُلُّ على النَّفاذِ عن الشَّيءِ؛ لأنَّه مالٌ يُخرِجُه المُعطي.

رَدْمًا: أي: حاجِزًا حَصينًا، وأصلُ (ردم): يدلُّ على سدِّ الثُّلمةِ (أي: الفراغِ، أو: الشقِّ).

زُبَرَ الْحَدِيدِ: أي: قِطَعَه الضَّخمةَ العَظيمةَ، واحِدُها: زُبْرةٌ، وأصلُ (زبر): يدُلُّ على الاجتِماعِ؛ لأنَّ الزُّبرةَ جملةٌ مُجتَمِعةٌ مِن الحديدِ.

الصَّدَفَيْنِ: أي: ناحِيَتي الجبَل، أو: ما بين النَّاحِيَتينِ مِن الجبَلينِ، وأصلُ (صدف): يدُلُّ على المَيلِ.

أُفْرِغْ: أي: أصُبَّ، يُقالُ: أفرغْتُ الدَّلوَ: أي: صببْتُ ما فيه، وأصلُ (فرغ): يدُلُّ على خُلوٍّ وسَعَةِ ذَرْعٍ.

قِطْرًا: أي: نُحاسًا ذائبًا، وأصلُه مِن القَطْرِ؛ وذلك أنَّه إذا أُذيبَ قَطَر كما يَقطُرُ الماءُ.

يَظْهَرُوهُ: أي: يَعلُوه ويتسَوَّروه، وأصلُ (ظهر): يدُلُّ على بُروزٍ.

نَقْبًا: ثَقبًا وخَرقًا، وأصلُ (نقب): يدُلُّ على فَتحٍ في شَيءٍ.

دَكَّاءَ: أي: مَدكوكًا مُستويًا مع وجهِ الأرضِ، وأصلُ (دكك): يدلُّ على تَطامُنٍ وانسِطاحٍ.

تفسير الآيات:

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92).

أي: ثمَّ سار ذو القَرنَينِ في طريقٍ ثالثٍ آخِذًا بالأسبابِ والوسائِلِ؛ لِيَبلُغَ الجِهةَ التي يُريدُها.(297)

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93).

حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ.

أي: سار إلى أن بلَغ مَوضِعًا بين جبَلَين.

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا.

أي: وجد ذو القرنين مِن دُونِ الجبَلَينِ(298) قومًا لا يَكادونَ يَفهمونَ ما يُقالُ لهم بغيرِ لُغتِهم.(299)

---

(297) قال البقاعي: (ثُمَّ أَتْبَعَ في إرادتِه ناحيةَ السَّدِّ مَخرج يأجوجَ ومأجوجَ سَبَبًا مِن جِهةِ الشِّمالِ).
((نظم الدرر)) (133/12).
وقال ابن عاشور: (يظهَرُ أنَّ هذا السَّببَ اتَّجه به إلى جِهةٍ غيرِ جِهتَيِ المغربِ والمَشرِقِ، فيُحتَمَل أنَّها الشِّمالُ أو الجَنوب).
((تفسير ابن عاشور)) (31/16).
(298) قال ابنُ عطيةَ: (الضميرُ في دُونِهِمَا عائِدٌ على الجبَلَينِ، أي: وجَدَهم في الناحيةِ التي تلي عمارةَ النَّاسِ إلى المغرِبِ).
((تفسير ابن عطية)) (541/3).
وقال البقاعي: (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا أي: بقُربِهما من الجانِبِ الذي هو أدنَى منهما إلى الجِهةِ التي أتَى منها ذو القَرنَينِ).
((نظم الدرر)) (133/12).
(299) قال ابن عاشور: (وقرأ الجُمهورُ يَفْقَهُونَ -بفتح الياءِ التَّحتيَّةِ وفتحِ القافِ- أي: لا يفهمونَ قولَ غيرِهم.
وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ -بضمِّ الياءِ وكسرِ القافِ- أي: لا يستطيعونَ إفهامَ غيرِهم قولَهم.
والمعنيانِ متلازِمانِ).

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ يُفْقِهُونَ بضَمِّ الياءِ، وكَسرِ القافِ، أي: لا يَكادونَ يُفهِمونَ أحدًا إذا نطَقوا.(300)

2- قِراءةُ يَفْقَهُونَ بفَتحِ الياءِ والقافِ، أي: لا يَكادونَ يَفهمونَ ما يُقالُ لهم.(301)

وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا.

قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94).

((تفسير ابن عاشور)) (32/16).

(300) قرأ بها حمزةُ، والكسائي، وخلفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (315/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءةِ: ((معاني القراءات)) للأزهري (123/2)، ((الحجة للقراء السبعة)) لأبي علي الفارسي (172/5).

(301) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (315/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 231)، ((حجة القراءات)) لابن زنجلة (ص: 432).

قال ابنُ جرير: (القومُ الذين أخبرَ اللهُ عنهم هذا الخبرَ جائزٌ أن يكونوا لا يكادونَ يَفقهونَ قولًا لِغَيرِهم عنهم، فيكونُ صوابًا القراءةُ بذلك، وجائزٌ أن يكونوا مع كَونِهم كذلك كانوا لا يَكادونَ أن يُفقِهوا غَيرَهم لعِلَلٍ: إما بألسِنَتِهم، وإمَّا بمَنطِقِهم، فتكونُ القراءةُ بذلك أيضًا صوابًا).

((تفسير ابن جرير)) (388/15).

قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ.

أي: قال أولئك القومُ: يا ذا القرنَينِ، إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ[302] يَخرُجون مِن بينِ السَّدَّينِ، فيُفسِدونَ في أرضِنا بالقَتلِ والنَّهبِ والتَّخريبِ، وغيرِ ذلك مِن وُجوهِ الإفسادِ.[303]

عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ – ﷺ – قال: ((يقولُ اللهُ تعالى: يا آدَمُ، فيقولُ: لبَّيك وسَعدَيك،[304] والخيرُ في يَدَيك، فيقولُ: أخرِجْ بَعْثَ النَّارِ،[305] قال: وما بَعثُ النَّارِ؟ قال: مِن كُلِّ ألفٍ تِسعَمائةٍ وتِسعةً وتسعينَ! فعنده يَشيبُ الصَّغيرُ، وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ حَمْلَها، وترى النَّاسَ سُكارى وما هم بسُكارى، ولكِنَّ عذابَ اللهِ شَديدٌ! قالوا: يا رسولَ اللهِ، وأيُّنا ذلك الواحِدُ؟! قال: أبشِروا؛ فإنَّ منكم رجُلًا، ومِن يأجوجَ ومأجوجَ ألفًا. ثمَّ قال: والذي نَفسي بِيَدِه، إنِّي أرجو أن تكونوا رُبُعَ أهلِ

---

(302) قال ابنُ كثير (٩/ ١٩١): «وقد حكى النووي؟ في شرح مسلم عن بعض الناس: أنّ يأجوج ومأجوج خُلِقوا من مَنيٍّ خرج من آدم، فاختلط بالتراب، فخُلِقوا من ذلك، فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم، وليسوا من حواء.
وهذا القول غريب جدًّا، لا دليل عليه لا من عقل ولا مِن نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعضُ أهل الكتاب، لِما عندهم من الأحاديث المفتعلة».

(303) وذهب ابنُ جريرٍ إلى أن المعنى: إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ سيُفسِدونَ في الأرضِ، ولم يقَعْ منهم إفسادٌ في الأرضِ، وإنما ذلك سيكونُ في آخِرِ الزَّمانِ.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (401/15).

(304) لبَّيك: أي: أدومُ على طاعتِك دوامًا بعد دوامٍ، وأقيمُ على طاعتِك إقامةً بعد إقامةٍ، من: ألبَّ بالمكانِ: إذا أقام به.
وسعديك: أي: ساعدتُ طاعتَك يا ربِّ مساعدةً بعد مساعدةٍ، وهي الموافقةُ والمسارعةُ، أو أسعدُ بإقامتي على طاعتِك وإجابتي لدعوتِك سعادةً بعد سعادةٍ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (673/2).

(305) بَعْثَ النَّارِ: أي: المبعوثَ إليها من أهلِها، وهو من بابِ تسميةِ المفعولِ بالمصدرِ.
يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (138/1).

الجَنّة! فكَبَّرْنا، فقال: أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجنَّةِ! فكَبَّرْنا، فقال: أرجو أن تكونوا نِصفَ أهلِ الجنَّةِ! فكَبَّرْنا، فقال: ما أنتم في النَّاسِ إلَّا كالشَّعرةِ السَّوداءِ في جِلدِ ثورٍ أبيَضَ، أو كشَعرةٍ بَيضاءَ في جِلدِ ثَورٍ أسوَدَ!)).[306]

فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا.

أي: فهل نجعَلُ لك -يا ذا القَرنَينِ- أُجرةً أو جُعلًا مِن أموالِنا على أن تبنيَ لنا حاجِزًا بيننا وبين يأجُوجَ ومأجوجَ، فلا يُمكِنَهم الوصولُ إلينا؟

القِراءاتُ ذاتُ الأثَرِ في التَّفسيرِ:

1- قِراءةُ خَرَاجًا بألِفٍ، وهو الذي يُؤخَذُ على الأرضِ في كُلِّ عامٍ مِن الضرائِبِ، فكأنَّهم قالوا: فهل نجعَلُ لك أجرةً مَعلومةً نُؤدِّيها إليك كلَّ سَنةٍ، على أن تبنيَ بيننا وبينهم سدًّا؟[307]

2- قراءةُ خَرْجًا بغيرِ ألِفٍ، أي: جُعْلًا، فكأنَّهم قالوا: نجعَلُ لك جُعْلًا ندفعُه إليك الآن مِن أموالِنا مَرَّةً واحِدةً، على أن تبنيَ بيننا وبينهم سَدًّا؟ وقيل: الخرجُ والخراجُ بمعنًى واحدٍ.[308]

---

(306) رواه البخاري (3348) واللفظ له، ومسلم (222).

(307) قرأ بها حمزةُ، والكسائي، وخلفٌ.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (315/2).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 231)، ((الكشف)) لمكي (77/2-78).

(308) قرأ بها الباقون.

يُنظر: ((النشر)) لابن الجزري (315/2).

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95).

قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ.

أي: قال ذو القرنَينِ: الذي بَسطَه لي ربِّي مِن المُلكِ والعِلمِ، والقُوَّةِ والقُدرةِ والأموالِ؛ خَيرٌ مِن المالِ الذي تَعرِضونَه عليَّ.

كما قال تعالى: فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ [النمل: 36].

فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا.

أي: قال ذو القرنَينِ: فأعينُوني برِجالٍ أقوياءَ يُحسِنونَ العَمَلَ، وبآلاتٍ للبناءِ؛ أجعَلْ بينكم وبينَ يأجوجَ ومأجوجَ حاجِزًا مَنيعًا وقَويًّا.

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96).

ويُنظر لمعنى هذه القراءة: ((الحجة)) لابن خالويه (ص: 231)، ((الكشف)) لمكي (78/2)، ((تفسير الرسعني)) (365/4).

آَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ.

أي: قال ذو القَرنَينِ للقَومِ الذين سألوه بناءَ السَّدِّ: أعطوني قِطَعَ الحَديدِ الضَّخمةَ وناوِلونيها.(309)

حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا.

أي: فلمَّا جاؤوه بقِطَعِ الحديدِ الكَبيرةِ، وغطَّى بها ذو القَرنَينِ المَنفَذَ بينَ الجبَلَينِ حتَّى حاذَى بذلك البناءِ رُؤوسَهما؛ قال للعُمَّالِ: انفُخوا النَّارَ بالآلاتِ على قِطَعِ الحديدِ.

حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آَتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا.

أي: فنَفَخوا حتى جعل ذو القَرنَينِ الحديدَ نارًا، فقال: أعطوني نُحاسًا ذائبًا أَصُبَّه على الحديدِ المُحْمَى.

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97).

---

(309) قولُه: آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ لا ينافي ردَّ خراجِهم؛ لأنَّ المرادَ مِن الإيتاءِ المأمورِ به: الإيتاءُ بالثمنِ أو مجردِ المناولةِ والإيصالِ، لا الخَراج على العملِ، ولأنَّ إيتاءَ الآلَةِ مِن قبيلِ الإعانةِ بالقوةِ، وعلى تسليمِ كونِ الإيتاءِ بمعنَى الإعطاءِ لا المناولةِ يقالُ: إنَّ إعطاءَ الآلَةِ للعملِ لا يلزمُه تملكُها.

يُنظر: ((تفسير أبي السعود)) (245/5)، ((تفسير الألوسي)) (361/8).

قال القرطبي: (أمَرهم بنَقْلِ الآلةِ، وهذا كلُّه إنَّما هو استدعاءُ العطِيَّةِ الَّتي بغيرِ معنَى الهبةِ، وإنَّما هو استدعاءٌ للمناولةِ، لأنَّه قد ارتَبَط مِنْ قولِه: أنَّه لا يأخذُ منهم الخرجَ، فلم يَبْقَ إلَّا استدعاءُ المناولةِ، وأعمالُ الأبدانِ).

((تفسير القرطبي)) (60/11).

فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ.

أي: ففعَلوا ذلك، فاختَلَط والتصَقَ بعضُه ببعضٍ، وصار حاجِزًا صَلْدًا مَنيعًا، واستحكَمَ استحكامًا هائلًا، فلم يَقدِرْ يأجوجُ ومأجوجُ على صعودِ ذلك الرَّدمِ فيَنزِلوا منه على النَّاسِ؛ لارتفاعِه ومَلاستِه، فهو مُستوٍ مع الجَبَلِ، والجَبَلُ عالٍ لا يُرامُ.

وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا.

أي: ولم يَقْدِروا على خَرقِ ذلك الرَّدمِ مِن أسفَلِه خَرقًا يَنفُذُ بهم إلى الجِهةِ الأُخرى؛ وذلك لإحكامِ بنائِه، وصَلابتِه وشِدَّتِه.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ الله – ﷺ – قال: ((إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ لَيَحفِرونَ السَّدَّ كُلَّ يومٍ،[310] حتى إذا كادُوا يَرَونَ شُعاعَ الشَّمسِ، قال الذي عليهم: ارجِعوا فستَحفِرونَه غدًا، فيَعودونَ

---

(310) قال ابن كثير: (في رَفعِه نَكارةٌ؛ لأنَّ ظاهِرَ الآية يقتضي أنَّهم لم يتمَكَّنوا من ارتقائِه ولا من نَقْبِه؛ لإحكامِ بنائِه وصلابته وشِدَّته...

ولعَلَّ أبا هريرة تلقَّاه من كعبٍ؛ فإنَّه كان كثيرًا ما كان يجالِسُه ويحَدِّثُه، فحَدَّث به أبو هريرة، فتوهَّم بعضُ الرواةِ عنه أنَّه مرفوعٌ فرفَعَه.

والله أعلم).

((تفسير ابن كثير)) (5/198).

وقال أيضًا: (إن لم يكُنْ رفْعُ هذا الحديث محفوظًا، وإنما هو مأخوذٌ عن كعبِ الأحبارِ–كما قاله بعضُهم– فقد استرحنا من المؤونة، وإن كان محفوظًا فيكونُ محمولًا على أنَّ صنيعَهم هذا يكونُ في آخِرِ الزَّمانِ عند اقترابِ خُروجِهم، كما هو المرويُّ عن كعبِ الأحبار، أو يكونُ المراد بقوله: وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا [الكهف: 97] أي: نافِذًا منه، فلا ينفي أن يلحَسوه ولا ينفذوه.

إليه كأشَدِّ ما كان، حتى إذا بلَغت مُدَّتُهم[311] وأراد اللهُ أن يبعَثَهم على النَّاسِ، حَفَروا، حتى إذا كادوا يَرَونَ شُعاعَ الشَّمسِ، قال الذي عليهم: ارجِعوا فستَحفِرونَه غَدًا إن شاء اللهُ، ويَستَثني، فيعودونَ إليه وهو كهيئَتِه حين ترَكوه، فيَحفِرونَه ويَخرُجونَ على النَّاسِ، فيُنَشِّفونَ المياهَ، ويتحَصَّنُ النَّاسُ منهم في حُصونِهم، فيَرمُونَ بسِهامِهم إلى السَّماءِ، فترجِعُ وعليها كهيئةِ الدَّمِ! فيقولون: قَهَرْنا أهلَ الأرضِ، وعَلَونا أهلَ السَّماءِ، فيَبعَثُ اللهُ عليهم نَغَفًا[312] في أقفائِهم فيَقتُلُهم بها، فقال رسولُ الله – ﷺ –: والذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه، إنَّ دوابَّ الأرضِ لَتَسمَنُ وتَشكَرُ شَكَرًا[313] مِن لُحومِهم ودمائِهم)).[314]

والله أعلم).

((البداية والنهاية)) (559/2).

وقال الألباني: (الآيةُ لا تدُلُّ من قريبٍ ولا من بعيدٍ أنَّهم لن يستطيعوا ذلك أبدًا، فالآيةُ تتحَدَّث عن الماضي، والحديث عن المستقبَلِ الآتي، فلا تنافِيَ ولا نكارةَ، بل الحديثُ يتمشى تمامًا مع القرآنِ في قوله: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ [الأنبياء: 96]).

((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (314/4).

(311) بلَغَت مُدَّتُهم: أي: أدركوا المدَّةَ التي قُدِّرَت لهم.

يُنظر: ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (474/8).

(312) نغفًا: النَّغفُ: دودٌ يكونُ في أنوفِ الإبلِ والغنمِ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (69/18).

(313) وتَشكَرُ شَكَرًا: أَيْ: تسمَنُ وتمتلئُ شحْمًا.

يُنظر: ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (494/2).

(314) أخرجه الترمذي (3153)، وابن ماجه (4080)، وأحمد (10632) واللفظ له.

قال الترمذي: (حسَنٌ غريب)، وأخرجه ابنُ حبَّان في ((صحيحه)) (6829)، وقال ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (194/5): (إسناده جيِّد قويٌّ، في رفعِه نكارةٌ)، وقال ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (116/13): (رجاله رجالُ الصَّحيح إلَّا أنَّ قتادة مدَلِّس)، وذكر أنَّه جاء في روايةٍ أخرى التَّصريحُ بالتحديثِ، وأنَّ له طريقًا آخرَ موقوفًا على أبي هريرة.

وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (4080).

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98).

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي.

أي: قال ذو القَرنَين: هذا الرَّدمُ الذي مكَّنَني اللهُ مِن جَعْلِه حاجزًا بينَ يأجوجَ ومأجوجَ وبينَ الإفسادِ في الأرضِ؛ رَحمةٌ مِن رَبِّي بالنَّاسِ.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ.

أي: فإذا جاء وعدُ رَبِّي الذي وقَّتَه لخُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ مِن وَراءِ هذا الرَّدْمِ، جعَلَ اللهُ هذا الرَّدمَ مُنهَدِمًا مُستويًا بالأرضِ.(315)

---

(315) قال الشنقيطي: (فقولُكم: لو كانوا موجودينَ وراءَ السَّدِّ إلى الآن، لاطَّلعَ عليهم النَّاسُ– غيرُ صحيحٍ؛ لإمكانِ أن يكونوا موجودينَ، واللهُ يُخفي مكانَهم على عامَّةِ النَّاسِ، حتى يأتيَ الوقتُ المحَدَّد لإخراجِهم على النَّاسِ؛ ومِمَّا يؤيدُ إمكانَ هذا ما ذكره الله تعالى في سـورة «المائدة» مِن أنَّه جعل بني إسـرائيلَ يتيهونَ في الأرض أربعينَ سـنةً، وذلك في قوله تعالى: قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ [المائدة: 26] الآية، وهم في فراسِخَ قليلةٍ مِن الأرض، يمشونَ ليلَهم ونهارَهم، ولم يَطَّلِع عليهم الناسُ، حتى انتهى أمَدُ التِّيهِ؛ لأنَّهم لو اجتمعوا بالنَّاسِ لبَيَّنوا لهم الطريقَ، وعلى كلِّ حالٍ فربُّك فعَّالٌ لِما يريد، وأخبارُ رسولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم الثابتةُ عنه صادِقةٌ).

((أضواء البيان)) (3/345).

وقال أيضًا: (اعلمْ أنَّ هذه الآيةَ الكريمةَ، وآيةَ الأنبياءِ قد دَلَّتا في الجملةِ على أنَّ السَّدَّ الَّذي بَناه ذُو القرنينِ دونَ يأجوجَ ومأجوجَ إنَّما يجعلُه اللَّهُ دكًّا عندَ مجيءِ الوقتِ الموعودِ بذلك فيه، وقد دَلَّتا على أنَّه بقربِ يومِ القيامةِ؛ لأنَّه قالَ هنا: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ الآية [الكهف: 98، 99]...).

ثُمَّ ذكر ما يدلُّ على ذلك مِن السـنةِ الصـحيحةِ، وأنَّ في بعضِ هذه الأحاديثِ: (تصـريحَ النَّبيِّ صـلَّى اللَّهُ عليه وسـلَّم: بأنَّ اللَّهَ يوحي إلى عيسى ابنِ مريمَ خروجَ يأجوجَ ومأجوجَ بعدَ قتلِه الدَّجَّالَ.

فمَنْ يَدَّعي أنَّهم رُوسِيَّةٌ، وأنَّ السَّدَّ قد انْدَكَّ منذُ زمانٍ، فهو مخالفٌ لِمَا أخبرَ به النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم مخالفةً صريحةً لا وجهَ لها).

كما قال تعالى: حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ [الأنبياء: 96– 97].

وعن زينبَ بنتِ جَحشٍ رَضِيَ الله عنها، ((أنَّ النبيَّ – ﷺ – دخَل عليها فزِعًا يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وَيلٌ للعَرَب مِن شَرٍّ قد اقترَب؛ فُتِحَ اليومَ مِن رَدمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه –وحَلَّق بإصبَعِه الإبهامِ والتي تليها– فقُلتُ: يا رسولَ الله، أنَهلِكُ وفينا الصَّالِحونَ؟ قال: نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ))[316]. [317]

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن النبيِّ – ﷺ – قال: ((فُتِح اليومَ مِن رَدمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثلُ هذه[318] –وعقد بِيَدِه تِسعينَ))[319]. [320]

((أضواء البيان)) (3/341– 344).

ذكر ابنُ عطية (٥/ ٦٦٣) في المراد بقوله: ﴿وعد ربي﴾ احتمالين: الأول: أن يراد به يوم القيامة.

الثاني: أن يراد به وقت خروج يأجوج ومأجوج، كما في قول يحيى بن سلام.

(316) الخَبَثُ: أي: الفُسوقُ والفُجورُ.

يُنظر: ((المعلم بفوائد مسلم)) للمازري (3/367).

(317) رواه البخاري (3346)، واللفظ له ومسلم (2880).

(318) قال الألباني: (وفي الحديثِ إشارةٌ قويَّةٌ إلى أنَّ السَّدَّ سيُفتَحُ مِن يأجوجَ ومأجوجَ يومَ يأذَنُ اللهُ لهم بذلك؛ كما في قَولِه تعالى: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا [الكهف: 98]، وقد جاء التَّصريحُ بالفتحِ المذكورِ في حديثٍ صَحيحٍ [وهو حديثُ أبي هريرةَ السَّابقُ قريبًا]...، وفيه تفصيلُ الفَتحِ المشارِ إليه، وأنَّهم يحفِرونه، ويخرُجون على النَّاسِ).

((سلسلة الأحاديث الصحيحة)) (37/7).

(319) عَقدُ التِّسعينَ مِن مُواضعاتِ الحِسابِ، وهو أن تجعَلَ رأسَ الأُصبَعِ السبَّابة في أصلِ الإبهامِ، وتضُمَّها حتى لا يَبِينَ بينهما إلا خلَلٌ يسيرٌ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (2/216).

(320) رواه البخاري (3347) ومسلم (2881)، واللفظ له.

وعن النوَّاسِ بنِ سِمعانَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((ذكَرَ رَسولُ اللهِ - ﷺ - الدجَّالَ ذاتَ غَداةٍ، فخَفَّض فيه ورَفَّع...))[321]، وفيه: ((ثُمَّ يأتي عيسَى ابنَ مريمَ قومٌ قد عَصَمهم اللهُ منه، فيمسحُ عن وجوهِهم، ويحدِّثُهم بدرجاتِهم في الجنَّةِ، فبينما هو كذلك إذ أوحى اللهُ إلى عيسى: إنِّي قد أخرجتُ عِبادًا لي لا يدانِ[322] لأحَدٍ بقِتالِهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطُّورِ،[323] ويَبعَثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ، وهم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلونَ،[324] فيمُرُّ أوائِلُهم على بُحيرةِ طَبَريَّةَ[325] فيَشرَبونَ ما فيها، ويمُرُّ آخِرُهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرَّةً ماءٌ! ويُحصَرُ[326] نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه، حتى يكونَ رأسُ الثَّورِ لأحَدِهم خيرًا مِن مائةِ دينارٍ لأحَدِكم اليومَ! فيَرغَبُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه، فيُرسِلُ اللهُ عليهم النَّغَفَ في رقابِهم، فيُصبِحون

---

(321) خَفَّض: أي: حَقَّره.

رَفَّعَ: أي: عَظَّمَه وفخَّمَه.

وقيل: خَفَّض مِن صوتِه بعدَ طُولِ الكلامِ والتَّعَبِ لِيستريحَ، ثمَّ رفَعَ لِيَبلُغَ صَوتُه كُلَّ أحدٍ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (63/18).

(322) لا يدانِ: أي: لا قُدرةَ ولا طاقةَ.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (293/5).

(323) فحرِّزْ عبادي إلى الطُّورِ: أي: ضُمَّهم إليه، واجعَلْه لهم حِرزًا.

يُنظر: ((النهاية)) لابن الأثير (366/1).

(324) يَنسِلونَ: أي: يمشونَ مُسرعِينَ.

يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (68/18).

(325) بُحيرة طَبَريَّة: هي نحوُ عشرةِ أميالٍ في ستةِ أميالٍ، وهي كالبركةِ تحيطُ بها الجبالُ، وطبريةُ بليدةٌ مطلَّةٌ على البحيرةِ، وهي مِن أعمالِ الأردنِ.

يُنظر: ((مراصد الاطلاع)) للقطيعي (168/1)، و (878/2).

(326) يُحصَرُ: أي: يُحبَسُ في جَبلِ الطُّورِ.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3463/8).

فرسَى [327] كموتِ نَفسٍ واحدةٍ، ثمَّ يَهبِطُ نبيُّ اللهِ عيسى وأصحابُه إلى الأرضِ، فلا يجِدونَ في الأرضِ موضِعَ شِبرٍ إلَّا ملأه زَهَمُهم [328] ونَتْنُهم، فيرغَبُ نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى اللهِ، فيُرسِلُ اللهُ طيرًا كأعناقِ البُختِ، [329] فتَحمِلُهم فتَطرَحُهم حيثُ شاء الله، ثم يُرسِلُ اللهُ مَطرًا لا يَكُنُّ منه بَيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، [330] فيَغسِلُ الأرضَ حتى يتركها كالزَّلَفةِ، [331] ثمَّ يقالُ للأرضِ: أنبِتي ثَمرتَكِ، ورُدِّي برَكَتَكِ، فيَومئذٍ

(327) فرسى: أي: قتلى.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (69/18).
(328) زَهَمُهم: أي: رائحتُهم الكريهةُ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (69/18).
(329) البُخت: نوع من الإبلِ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3464/8).
(330) مَدَرٍ ولا وبَرٍ: أي: المدن، والقُرى والبوادي، وهو من وَبَرِ الإبِلِ: أي: شَعرِها؛ لأنَّهم كانوا يتَّخِذون منه ومِن نحوه خيامَهم غالبًا.
والمَدَرُ جمعُ مَدرةٍ، وهي اللَّبِنةُ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (116/1).
(331) كالزَّلَفةِ: أي: كالمرآةِ في صفائِها ونظافتِها، وقيل: كمصانعِ الماءِ، أي: إنَّ الماءَ يستنقعُ فيها حتى تصيرَ كالمصنعِ الذي يجتمعُ فيه الماءُ.
يُنظر: ((شرح النووي على مسلم)) (69/18).

تأكُلُ العِصابةُ[332] مِن الرُّمَّانةِ، ويَستَظِلونَ بقِحْفِها،[333] ويُبارَكُ في الرِّسْلِ،[334] حتى إنَّ اللِّقْحةَ[335] من الإبِلِ لتكفي الفِئامَ[336] مِن النَّاسِ، واللِّقْحةَ من البَقَرِ لتكفي القبيلةَ مِن النَّاسِ، واللِّقْحةَ من الغنَمِ لتكفي الفَخِذَ[337] مِن النَّاسِ! فبينما هم كذلك إذ بعثَ اللهُ ريحًا طيِّبةً، فتأخُذُهم تحت آباطِهم، فتَقبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤمِنٍ وكُلِّ مُسلِمٍ، ويبقى شِرارُ النَّاسِ يتهارَجونَ[338] فيها تَهارُجَ الحُمُرِ، فعليهم تقومُ السَّاعةُ)).[339]

---

(332) العصابةُ: أي: الجماعةُ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3465/8).
(333) بقِحْفِها: أي بقِشرِها.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3465/8).
(334) الرِّسْلِ: أي: اللَّبَنِ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3465/8).
(335) اللِّقْحةَ: أي: النَّاقةَ الحَلوبةَ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3465/8).
(336) الفِئامَ: أي: الجماعةَ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3465/8).
(337) الفَخِذَ: بسكون الخاء المعجمة لا غير: جماعةٌ مِن الأقاربِ، وهم دون البطنِ، والبطنُ دونَ القبيلةِ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3465/8).
(338) يتهارجون: أي: يَختَلِطون ويتسافَدونَ.
يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3466/8).
(339) رواه مسلم (2937).

وعن أبي سَعيدٍ الخُدريّ رَضِيَ الله عنه، عن النبيّ – ﷺ – قال: ((لَيُحَجَّنَّ البَيْتُ، ولَيُعتمَرَنَّ بعدَ خُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ)).[340]

وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا.

أي: وكان وَعدُ اللهِ عِبادَه بخُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ في آخرِ الزَّمانِ وغيرِ ذلك مِن وُعودِه، كائنًا لا محالةَ.

كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ [الرعد: 31].

(340) رواه البخاري (1593).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (99–102)

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا
يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا
أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102)

غريب الكلمات:

يَمُوجُ: أي: يَضطَرِبُ ويختَلِطُ، وأصلُ (موج): يدلُّ على اضْطِرابٍ فِي شَيءٍ.

الصُّورِ: أي: القرنِ ينفخُ فيه إسرافيلُ. وقيل: الصورُ جمعُ صُورَةٍ يَنْفُخُ فيها رُوحَها فتَحْيا.

نُزُلًا: النُّزُلُ: ما يُعَدُّ للنَّازلِ مِن الزَّادِ، وما يُقدَّمُ للضيفِ، أو: النُّزُلُ: المنزلُ وموضعُ النُّزولِ، وأصلُ (نزل): يدُلُّ على هُبوطِ شَيءٍ ووُقوعِه.

تفسير الآيات:

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99).

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ.

أي: وتَرَكْنا يأجوجَ ومأجوجَ يومَ يأتي وعدُ اللهِ بدَكِّ الرَّدمِ، يَخرُجونَ مُزدَحِمين مُختَلِطين بالنَّاسِ، وينتَشِرونَ بينهم للإفسادِ في الأرضِ.(341)

---

(341) واختار هذا المعنى المذكورَ: ابنُ كثير، والبقاعي، والشنقيطي.

يُنظر: المصادر السابقة.

وقيل: المراد: وَتَرَكْنَا يأجوجَ ومأجوجَ يومَ الانتهاءِ مِن بناءِ الرَّدمِ مُضطربينَ مُختَلِطينَ؛ لكَثرتِهم لا يستطيعونَ الخروجَ مِن وراء الرَّدمِ، وجَعَلْنا فَسادَهم قاصِرًا على أنفُسِهم.

وممَّن ذهب إلى هذا المعنى: مقاتلُ بنُ سليمان، والواحدي، وابنُ عاشور.

يُنظر: ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (603/2)، ((البسيط)) (160/14) للواحدي، ((تفسير ابن عاشور)) (40/16).

وقيل: الضَّميرُ في قوله: بَعْضَهُمْ يعودُ على الخَلقِ، وأنَّ المعنى: وترَكْنا الخَلقَ يومَ القيامةِ يدخُلُ بَعضُهم في بعضٍ، فيختَلِطُ جِنُّهم بإنسِهم.

وممَّن ذهب إلى ذلك: ابن جرير، واستحسنه القرطبي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (415/15)، ((تفسير القرطبي)) (65/11).

قال ابنُ عطية: (الضَّميرُ في وَتَرَكْنَا لله تعالى، وقوله: يَوْمَئِذٍ يحتَمِلُ أن يريدَ به يومَ القيامةِ؛ لأنَّه قد تقدَّم ضَميرُه، فالضَّميرُ في قَولِه: بَعْضَهُمْ -على ذلك- لجَميعِ الناس، ويحتَمِلُ أن يريدَ بقَولِه: يَوْمَئِذٍ يومَ كمالِ السَّدِّ، فالضميرُ في قَولِه: بَعْضَهُمْ ليأجوجَ ومأجوجَ...

وقولُه تعالى: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ الآية: المعنيُّ به يومُ القيامةِ، فلا احتمالَ لغيره، فمن تأوَّلَ الآيةَ كُلَّها في يوم القيامة اتَّسَقَ تأويلُه، ومن تأوَّلَ الآيةَ إلى قَولِه: يَمُوجُ فِي بَعْضٍ في أمرِ يأجوجَ ومأجوجَ، تأوَّلَ القَولَ «وتركْناهم يموجون» يموجون دأبًا على مَرِّ الدهرِ، وتناسُلِ القرونِ بينهم، وقيامِهم، ثمَّ نُفِخَ في الصورِ فيجتَمِعونَ).

((تفسير ابن عطية)) (544/3).

ويُنظر: ((تفسير ابن جزي)) (475/1)، ((تفسير السعدي)) (ص: 487).

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ.

أي: ونُفِخَ في البُوقِ؛ لتعودَ الأرواحُ إلى أجسادِها، فإذا هم قيامٌ لرَبِّ العالَمينَ.[342]

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ - ﷺ - فقال: ما الصُّورُ؟ قال: قَرْنٌ يُنفَخُ فيه)).[343]

---

(342) قال ابنُ عطية: (الصُّورُ في قَولِ الجُمهور وظاهِرِ الأحاديثِ الصِّحاحِ: هو القَرنُ الذي يُنفَخُ فيه للقيامة.
وقالت فرقةٌ: الصُّورُ: جمعُ صُورةٍ، فكأنَّه أراد صُوَر البشَر والحيوانِ نُفِخَ فيها الروحُ.
والأوَّلُ أبيَنُ وأكثَرُ في الشَّريعةِ).
((تفسير ابن عطية)) (544/3).
وقال القرطبي: (الأمَمُ مُجمِعةٌ على أن الذي يَنفُخُ في الصورِ إسرافيلُ عليه السلام).
((تفسير القرطبي)) (20/7).
وقال الشوكاني: (قيل: هي النَّفخة الثانية؛ بدليلِ قَولِه بعدُ: فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا فإنَّ الفاءَ تُشعِرُ بذلك، ولم يذكُر النفخةَ الأولى؛ لأنَّ المقصود هنا ذِكرُ أحوال القيامة).
((تفسير الشوكاني)) (372/3).
وقال الألوسي: (الظَّاهِرُ أنَّ المرادَ النفخةُ الثانيةُ؛ لأنَّه المناسِبُ لِما بعدُ، ولعَلَّ عدمَ التعَرُّضِ لذكر النفخةِ الأولى؛ لأنَّها داهيةٌ عامَّةٌ ليس فيها حالةٌ مختصَّةٌ بالكفَّارِ.
وقيل: لئلَّا يقعَ الفصلُ بين ما يقعُ في النشأةِ الأولى من الأحوالِ والأهوالِ، وبين ما يقعُ منها في النشأةِ الآخرةِ).
((تفسير الألوسي)) (365/8).

(343) أخرجه أبو داود (4742)، وأحمد (6507) باختلاف يسير، والترمذي (2430)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11456) واللفظ لهما.
حسَّنه الترمذي، وصحَّح إسنادَه الحاكمُ في ((المستدرك)) (550/2)، وذكَر ابنُ كثيرٍ في ((تفسير القرآن)) (308/5) أنَّه ثابتٌ، وصحَّح إسناده أحمدُ شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (9/10)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (2430).

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: ((كيف أنعَمُ، وقد الْتقمَ[344] صاحبُ القرنِ القرنَ، وحنَى جبهتَه، وأصْغَى سمعَه، ينتظِرُ أن يُؤمرَ أن ينفُخَ فينفُخَ؟! قال المُسلِمونَ: فكيف نقولُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: قولوا: حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، توكَّلْنا على اللهِ ربِّنا –وربَّما قال سفيانُ–: على اللهِ توكَّلْنا)).[345]

فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا.

أي: فجَمَعْنا جميعَ الخَلقِ إلى مَوقِفِ القيامةِ؛ لحِسابِهم ومُجازاتِهم على أعمالِهم.[346]

كما قال تعالى: قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ [الواقعة: 49، 50].

وقال سُبحانَه: وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا [الكهف: 47].

---

(344) التقم: أي: وضع طَرَفَ الصُّورِ في فَمِه.

يُنظر: ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (3508/8).

(345) أخرجه الترمذي (3243)، وأحمد (11039).

حسَّنه الترمذي، وصحَّحه الألباني في ((صحيح الترمذي)) (3243).

(346) قال ابنُ عُثَيمين: (هذا الجمعُ يَشمَلُ: الإنسَ والجنَّ والملائكةَ، والوحوشَ وجميعَ الدوابِّ؛ قال الله تبارك وتعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ [الأنعام: 38]).

((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 139).

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100).

أي: وأبرَزْنا جهنَّمَ يومَ القيامةِ، وأظهَرْناها للكافرينَ؛ حتى يُشاهِدوها عِيانًا قبلَ دُخولِها.

كما قال تعالى: وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ [الشورى: 44- 45].

وقال عزَّ وجلَّ: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ [الشعراء: 91].

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101).

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي.

أي: أظهَرْنا جهنَّمَ للكافرينَ الذين كانت أعيُنُهم مُغطَّاةً عن النَّظَرِ في آياتِ القُرآنِ وتدَبُّرِها، وتعامَوا عن قَبولِ الحَقِّ واتِّباعِه.(347)

كما قال تعالى: وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ [البقرة: 7].

وقال سُبحانَه: صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ [البقرة: 171].

---

(347) قال ابن القيم: (هذا يتضَمَّنُ مَعنيينِ؛ أحَدُهما: أنَّ أعيُنَهم في غطاءٍ عَمَّا تضمَّنه الذِّكرُ مِن آياتِ اللهِ وأدلَّةِ توحيدِه وعجائِبِ قُدرتِه، والثاني: أنَّ أعيُنَ قُلوبِهم في غِطاءٍ عن فَهمِ القُرآنِ وتدَبُّرِه، والاهتداءِ به، وهذا الغِطاءُ للقَلبِ أوَّلًا، ثمَّ يسري منه إلى العينِ).

((شفاء العليل)) (ص: 93).

وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا.

أي: وكان الكافِرونَ لا يُطيقونَ سَماعَ كَلامِ اللهِ.(348)

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا

.(102)

أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ.

---

(348) قال ابن تيمية: (على تفسيرِ السَّلَف والجمهورِ: المرادُ بعدم الاستطاعةِ: مَشقَّةُ ذلك عليهم وصعوبتُه على نفوسِهم؛ فنفوسُهم لا تستطيعُ إرادتَه، وإن كانوا قادرينَ على فِعلِه لو أرادوه! وهذه حالُ من صَدَّه هواه ورأيُه الفاسِدُ عن استماعِ كتُبِ الله المنَزَّلة واتباعِها).

((مجموع الفتاوى)) (319/3).

وقال الشنقيطي: (قولُه تعالى: مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ [هود: 20] ، في هذه الآيةِ الكريمةِ للعُلماءِ أوجهٌ، بعضُها يشهَدُ له القرآنُ: الأوَّلُ: وهو اختيارُ ابنِ جريرٍ الطبري في «تفسيره»، ونقله عن ابنِ عباسٍ وقتادةَ: أنَّ معنى مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ: أنَّهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحَقَّ سَماعَ مُنتَفِعٍ، ولا أن يُبصِروه إبصارَ مُهتدٍ؛ لاشتغالِهم بالكُفرِ الذي كانوا عليه مقيمينَ عن استعمالِ جوارحِهم في طاعةِ الله تعالى، وقد كانت لهم أسماعٌ وأبصارٌ...

الثاني: وهو أظهَرُها عندي: أنَّ عدمَ الاستطاعةِ المذكورَ في الآيةِ إنَّما هو للختمِ الذي ختَمَ اللهُ على قلوبِهم وأسماعِهم، والغِشاوةِ التي جَعلَ على أبصارِهم، وتكذيبِ الرُّسُلِ باختيارِهم ومشيئتِهم، كما دلَّت عليه آياتٌ كثيرة).

((أضواء البيان)) (175/2- 176).

وقال ابن عثيمين: (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا هل المرادُ: لا يريدون؟ كقولِه تعالى: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ [المائدة: 112]، أي: هل يريدُ؟ أو المعنى أنَّهم لا يستطيعون سَمْعًا أي: سَمْعَ الإجابةِ، وليس سَمْعَ الإدراك؟ الجواب: يحتَمِلُ المعنيين جميعًا، وكلاهما حَقٌّ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 140).

أي: أفظَنَّ الذين كَفَروا باللهِ أن يتَّخِذوا عباديَ الذينَ عَبَدوهم مِن دوني -كالمسيحِ عيسى ابنِ مريمَ، والملائكةِ والأنبياءِ، وغيرِهم من الصَّالحينَ- أولياءَ لهم؟(349)

كما قال تعالى: وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ [سبأ: 40 - 42].

---

(349) قال الشِّنقيطي: (قال بعضُ العُلَماءِ: تقديرُ المحذوفِ هو: أفحَسِبَ الذين كفروا أن يتَّخِذوا عبادي مِن دوني أولياء، ولا أعاقِبُهم العقابَ الشَّديدَ؟ كلَّا! بل سأعاقِبُهم على ذلك العقابِ الشَّديدَ؛ بدليل قولِه تعالى بعده: إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا.

وقال بعضُ العلماءِ: تقديرُه: أفحَسِبَ الذين كفروا أن يتَّخِذوا عبادي من دوني أولياءَ وأنَّ ذلك ينفعُهم؟ كلَّا! لا ينفعُهم بل يضرُّهم، ويدُلُّ لهذا قولُه تعالى عنهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر: 3] ، وقوله عنهم: وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ [يونس: 18]).

((أضواء البيان)) (348/3).

وممَّن اختار المعنى الأول: القرطبي.

يُنظر: ((تفسير القرطبي)) (65/11).

وممَّن اختار المعنى الثاني: الزجَّاج، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجَّاج (314/3)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 141).

وقال ابنُ جريرٍ: (أفظنَّ الَّذينَ كفروا باللَّهِ مِنْ عبدَةِ الملائكةِ والمسيحِ، أَنْ يتَّخِذوا عِبادي الَّذينَ عَبَدوهم مِن دونِ اللَّهِ أولياءَ؟ يقولُ: كلَّا بلْ هم لهم أعداءُ).

((تفسير ابن جرير)) (421/15).

وقال ابن عاشور: (ومِنْ دُونِي متعَلِّقٌ بـ أَوْلِيَاءَ إما بجعلِ دُونِي اسمًا بمعنى حَول، أي: مِن حَولِ عذابي، وتأويل أَوْلِيَاءَ بمعنى: أنصارًا، أي حائلين دون عذابي ومانِعِيهم منه، وإما بجَعلِ دُونِي بمعنى غيري، أي: أحَسِبوا أنهم يَستغنون بوَلايتِهم؟).

((تفسير ابن عاشور)) (44/16).

قال ابن عثيمين: (أَوْلِيَاءَ يعني: أربابًا، يدعونَهم، ويستغيثونَ بهم، وينسونَ ولايةَ الله عزَّ وجلَّ).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 141).

وقال سُبحانه: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ [المائدة: 116– 117].

وقال عزَّ وجلَّ: وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا *كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا [مريم: 81، 82].

وقال سُبحانه: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ [الأحقاف: 5– 6].

إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا.

أي: إنَّا هيَّأْنا جهنَّم مَنزِلًا للكافرينَ.(350)

---

(350) ومَن اختار أنَّ النزلَ بمعنى المنزِل: مقاتل بن سليمان، وابنُ جريرٍ، والزجاج، والواحدي، وابنُ كثير.

يُنظر المصادر السابقة.

وقيل: النُّزُلُ: ما يُعَدُّ للضيف.

ومَن اختار ذلك المعنى: الرسعني، والسعدي، وابن عاشور، والشنقيطي وابن عثيمين.

يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (401/1)، (374/4)، ((تفسير السعدي)) (ص: 487)، ((تفسير ابن عاشور)) (44/16، 45)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (349/3)، ((تفسير ابن عثيمين– سورة الكهف)) (ص: 141).

قال الشنقيطي: (والمعنَى: أنَّ الَّذي يُهَيَّأُ لهم مِنَ الإكرامِ عندَ قُدومِهم إلى ربِّهم هو جهنَّمُ المعَدَّةُ لهم، كقولِه: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [آل عمران: 21]، وقولِه: يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ [الكهف: 29]).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (103-106)

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106)

غريب الكلمات:

((أضواء البيان)) (349/3).

وقال ابنُ عثيمين: (ومعنى النُّزُل: ما يقَدِّمُه صاحِبُ البيتِ للضَّيفِ، ويحتَمِلُ أن يكونَ بمعنى المَنزِل، وكلاهما صحيحٌ؛ فهم نازِلونَ فيها، وهم يُعطَونَها كأنَّها ضيافةٌ، وبِئْسَت الضيافةُ!!).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 141).

وقال الثعالبي: (والآية تحتملُ الوجهَينِ).

((تفسير الثعالبي)) (544/3).

فَحَبِطَتْ: أي: بَطَلتْ وذَهَبتْ، من الحَبَطِ: وهو فَسادٌ يَلحَقُ الماشيةَ في بُطونِها لأكلِ الكَلأِ حتى تَنتَفِخَ أجوافُها، وأصلُ (حبط): يدُلُّ على بُطلانٍ.

تفسير الآيات:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103).

أي: قُلْ –يا مُحَمَّدُ–:[351] هل نُخبِرُكم بأخسَرِ النَّاسِ أعمالًا وأضيَعِها، فلا ينتَفِعون بها؟[352]

---

(351) قيل: المرادُ: قل لهؤلاء الذين يَبغُونَ عَنَتَك، ويجادِلونك بالباطِلِ، ويُحاوِرونَك بالمسائِلِ مِن أهلِ الكتابَيْنِ: اليهودِ، والنصارى.

وممن قال بذلك: ابن جرير.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (423/15).

وقيل: المرادُ: قُل للنَّاسِ.

وممَّن قال بذلك: السعدي.

يُنظر: ((تفسير السعدي)) (ص: 488).

وقال ابنُ عثيمين: (قُلْ أي: يا محمدُ للأمةِ كلِّها).

((تفسير ابن عثيمين – سورة الكهف)) (ص: 142).

(352) عن مُصعَبِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقَّاص قال: (سألتُ أبي: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا: هم الحَروريَّة؟ قال: لا، هم اليهودُ والنَّصارى؛ أمَّا اليهودُ فكذَّبوا محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم، وأمَّا النصارى فكفَروا بالجنَّة وقالوا: لا طعامَ فيها ولا شرابَ! والحروريَّةُ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ [البقرة: 27])، وكان سَعدٌ يُسَمِّيهم الفاسقينَ).

رواه البخاري (4728).

قال ابنُ جرير: (الصوابُ مِن القَولِ في ذلك عندنا أن يُقالَ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عنى بقولِه: هُلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا [الكهف: 103] كلَّ عاملٍ عَمَلًا يحسَبُه فيه مصيبًا، وأنَّه لله بفِعلِه ذلك مُطيعٌ مُرضٍ، وهو بفِعلِه ذلك لله مُسخِطٌ، وعن طريقِ أهلِ الإيمانِ به جائرٌ، كالرَّهابنة والشَّمامسة وأمثالِهم مِن أهلِ الاجتهادِ في ضلالتِهم، وهم مع ذلك مِن فِعلِهم واجتهادِهم باللهِ كَفرةٌ مِن أهلِ أيِّ دينٍ كانوا).

((تفسير ابن جرير)) (427/15).

وقال ابنُ كثير: (هذه الآيةُ مكيَّةٌ قبل خِطابِ اليهودِ والنَّصارى، وقبل وجودِ الخوارجِ بالكُلِّيَّة، وإنَّما هي عامَّةٌ في كلِّ مَن عبد اللهَ على غيرِ طريقةٍ مُرضيةٍ، يحسَبُ أنَّه مصيبٌ فيها، وأنَّ عمَلَه مقبولٌ، وهو مُخطئٌ، وعَمَلُه مردودٌ).

((تفسير ابن كثير)) (202/5).

الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104).

الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أي: هم الذين بَطَلت أعمالُهم التي عَمِلوها في الدُّنيا واضمحلَّتْ؛ لفَسادِ اعتقادِهم، ومخالفتِهم شَريعةَ ربِّهم.

كما قال سُبحانَه: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا [الفرقان: 23].

وقال عزَّ وجلَّ: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً [الغاشية: 2-4].

وعن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها، أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: ((مَن عَمِلَ عَمَلًا ليس عليه أمْرُنا، فهو رَدٌّ)).(353)

وقال الشنقيطي: (التحقيقُ: أنَّ الآيةَ نازلةٌ في الكُفَّارِ الذين يعتَقِدونَ أنَّ كُفرَهم صوابٌ وحَقٌّ، وأنَّ فيه رضا ربِّهم؛ فقَولُ من قال: إنَّهم الكُفَّارُ، وقَولُ مَن قال: إنهم الرُّهبانُ، وقَولُ مَن قال: إنَّهم أهلُ الكتاب الكافرونَ بالنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم- كُلُّ ذلك تشمَلُه هذه الآيةُ...

وما رُوي عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنه مِن أنَّهم أهلُ حَروراءَ معناه أنهم يكونُ فيهم من معنى الآيةِ بقَدرِ ما فعَلوا؛ لأنَّهم يرتَكِبونَ أمورًا شَنيعةً مِن الضَّلالِ، ويعتقدون أنَّها هي معنى الكتابِ والسُّنَّة؛ فقد ضَلَّ سَعيُهم وهم يحسَبونَ أنَّهم يُحسِنونَ صُنعًا، وإن كانوا في ذلك أقَلَّ مِن الكُفَّار الجاهرينَ؛ لأنَّ العبرةَ بعُمومِ الألفاظِ لا بخُصوصِ الأسبابِ).

((أضواء البيان)) (350/3).

(353) رواه مسلم (1718).

وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.

أي: والحالُ أنَّهم يظُنُّونَ أنَّهم يُحسِنونَ في أعمالِهم، وسيَنتَفِعونَ بآثارِها، ولا يَدرون أنَّها باطِلةٌ.(354)

كما قال تعالى: وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ [الأعراف: 30].

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105).

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ.

---

(354) اختُلِفَ فيمن عنى الله بقوله: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنهم القسيسون والرهبان.
الثاني: أنهم أهل الكتاب جميعًا.
الثالث: أنهم الخوارج.
وقد رجّح ابنُ جرير (١٥/ ٤٢٧) أن الآية عامة في «كل عاملٍ عملًا يحسبه فيه مصيبًا، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر، كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أي دين كانوا».
وبنحو ما قال ابنُ جرير قال ابنُ كثير (٩/ ٢٠٠)، ووجّه قول علي، فقال: «ومعنى هذا عن علي – رضي الله عنهما –: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء، بل هي أعمُّ من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى، وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عَبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود».
وانتقد ابنُ عطية (٥/ ٦٦٦) مستندًا إلى ظاهر الآية هذه الأقوال بقوله: «ويُضعِف هذا كله قولُه تعالى بعد ذلك: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾، وليس من هذه الطوائف مَن يكفر بلقاء الله، وإنما هذه صفة مشركي عبدة الأوثان».
ووجّه قول علي، فقال: «وهذا إن صحَّ عنه فهو على جهة مثال فيمن ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن».
ثم وجّه قول علي، وقول سعد بن أبي وقاص: «وعلي وسعد – رضي الله عنهما – ذكرا أقوامًا أخذوا بحظهم من صدر الآية».

أي: أولئك هم الذين كَفَروا بحُجَجِ رَبِّهم وأدِلَّتِه وكذَّبوا بالبَعثِ بعد الموتِ، فأبطلَ اللهُ أعمالَ الخيرِ التي عَمِلوها، فلا يُثابونَ عليها في الآخرةِ؛ لعَدَمِ بِنائِها على أساسٍ مِن الإيمانِ.

فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا.

أي: فلا نُثقِّلُ مَوازينَهم يومَ القيامةِ؛ لأنَّه ليس لهم حَسَناتٌ.(355)

---

(355) وممَّن اختار هذا المعنى المذكور: ابن جرير، ومكي، وابن كثير.

يُنظر: المصادر السابقة.

وممن اختار أيضًا نحوَ هذا المعنى، وأنَّه لا حسنةَ لهم تُوزنُ؛ لأن أعمالهم قد حَبِطَتْ: الثعالبي، والقرطبي، وابنُ جزي.

يُنظر: ((تفسير الثعالبي)) (3/545)، ((تفسير القرطبي)) (11/66)، ((تفسير ابن جزي)) (1/475).

قال السعدي: (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا لأنَّ الوزنَ فائدتُه مقابلةُ الحسناتِ بالسيئاتِ، والنظرُ في الراجحِ منها والمرجوحِ، وهؤلاء لا حسنات لهم؛ لعدمِ شرطِها، وهو الإيمانُ، كما قال تعالى وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا [طه: 112]، لكن تعدُّ أعمالُهم وتُحصَى، ويُقرَّرون بها، ويُخزون بها على رؤوسِ الأشهادِ، ثم يعذَّبون عليها).

((تفسير السعدي)) (ص: 488).

ويُنظر الخلافُ في مسألةِ وزنِ أعمالِ الكفارِ في: ((التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة)) للقرطبي (ص: 715)، ((فتح الباري)) لابن حجر (13/538)، ((لوائح الأنوار السنية)) للسفاريني (2/203).

وقيل: المراد: أنَّهم لا يُعتَدُّ بهم، ولا يكونُ لهم عند الله قَدرٌ ومَنزلةٌ.

وممَّن اختار هذا المعنى: الواحدي، والبغوي، والعليمي، والشوكاني، والقاسمي، وابنُ عثيمين.

يُنظر: ((البسيط)) للواحدي (14/166- 167)، ((تفسير البغوي)) (3/221)، ((تفسير العليمي)) (4/225)، ((تفسير الشوكاني)) (3/373)، ((تفسير القاسمي)) (7/80)، ((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 146).

قال الشنقيطي: (وقولُه في هذه الآيةِ الكريمةِ: فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا، فيه للعلماءِ أوجهٌ: أحدُها: أنَّ المعنَى أنَّهم ليسَ لهم حسناتٌ تُوزَنُ في الكِفَّةِ الأُخرى في مقابلةِ سيِّئاتِهم، بل لم يكُنْ إلَّا السَّيِّئَات، ومَنْ كانَ كذلك فهو في النَّارِ، كما قالَ تعالَى: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ* تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ، [المؤمنون: 103 – 104] ، وقالَ: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ الْآيَةَ [الأعراف: 8 – 9] ، وقالَ: وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ [القارعة: 8 – 11] ، إلى غيرِ ذلك مِنَ الآياتِ.

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، عن رَسولِ اللهِ - ﷺ - قال: ((إنَّه لَيأتي الرجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يومَ القيامةِ لا يَزِنُ عند الله جَناحَ بَعوضةٍ، وقال: اقرؤوا: فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا))[356].

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106).

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا.

أي: إنَّما جازينا أولئك الكافرين بجهنم بسَبَبِ كُفرِهم.

وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا.

أي: وبسَبَبِ استِهزائِهم، واستِخفافِهم بالحُجَجِ والدَّلائِلِ ورُسُلِ اللهِ، وسُخريتِهم منهم.

وقال بعضُ أهلِ العلمِ: معنَى فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا: أنَّهم لا قدرَ لهم عندَ اللَّهِ لحقارتِهم، وهو أنَّهم بسببِ كفرهم، وذلك كقولِه عنهم: سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [غافر: 60]، أي: صاغرينَ أذِلَّاءَ حقيرينَ، وقولِه: قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ [الصافات: 18]، وقولِه: قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ [المؤمنون: 108]، إلى غيرِ ذلك مِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على هوانِهم وصغارِهم وحقارتِهم).

((أضواء البيان)) (3/352).

ويُنظر: ((تفسير ابن عطية)) (3/545).

(356) رواه البخاري (4729) واللفظ له، ومسلم (2785).

سورةُ الكَهفِ

الآيات (107–110)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ
وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)

غريب الكلمات:

الْفِرْدَوْسِ: أي: أعلَى الجَنَّةِ، وأوسطِها، أو: مُعْظم الجنَّةِ. وقيل: هو البستانُ المخصوصُ بالحسنِ وذلك بلسانِ الرُّومِ. وأصلُ الفردوسِ: البستانُ الواسعُ الجامعُ لأصنافِ الثَّمَرِ.

حِوَلًا: أي: تَحَوُّلًا، وأصلُ (حول): يَدلُّ على تَغيُّرِ الشَّيءِ، وانفصالِه عن غَيرِه.

لَنَفِدَ: أي: فَنِيَ، والنَّفادُ: الفَناءُ، وأصلُ (نفد): يدُلُّ على انْقِطاعِ شيءٍ وفَنائِه.

مَدَدًا: أي: زيادةً، وأصلُ (مدد): يدُلُّ على اتِّصالِ شَيءٍ بشَيءٍ في استِطالةٍ.

تفسير الآيات:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107).

أي: إنَّ الذينَ آمنوا باللهِ وبما جاءت به رسُلُه، وعَمِلوا الأعمالَ الصَّالحاتِ الخالِصةَ لله، الموافِقةَ لشريعتِه؛ كانت لهم بساتينُ الفِردوسِ منازِلَ يَسكُنونَها.(357)

---

(357) ممن اختار أنَّ النزلَ بمعنى المنزِلِ: ابنُ جرير، والسمرقندي، والواحدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (430/15)، ((تفسير السمرقندي)) (365/2)، ((الوسيط)) للواحدي (170/3).

وممن اختار أنَّ النزلَ بمعنى ما يُهيَّأُ للضيفِ: الرسعني، وابنُ كثيرٍ، والسعدي، والشنقيطي.

يُنظر: ((تفسير الرسعني)) (377/4)، ((تفسير ابن كثير)) (539/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 488)، ((أضواء البيان)) للشنقيطي (354/3).

قال ابن عثيمين: (قوله: كَانَتْ لَهُمْ هل المرادُ بالكينونةِ هنا الكينونةُ الماضيةُ، أو المرادُ تحقيقُ كونِها نُزُلًا لهم، كقَولِه تعالى: وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا؟ نقول: الأمرانِ واقعانِ، فكانت في عِلمِ اللهِ نُزُلًا لهم، وكانت نزلًا لهم على وجهِ التحقيقِ؛ لأنَّ «كان» قد يُسلَبُ منها معنى الزمانِ، ويكونُ المرادُ بها التحقيق).

((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 148).

وقال ابنُ القيم: (الفِردوسُ: اسمٌ يقالُ على جميعِ الجنَّةِ، ويُقال: على أفضَلِها وأعلاها، كأنَّه أحقُّ بهذا الاسمِ مِن غيرِه مِن الجنَّات، وأصلُ الفِردوسِ: البُستانُ...

وقال الضحَّاكُ: هي الجنَّةُ الملتفَّةُ بالأشجارِ، وهو اختيارُ المبَرِّد.

وقال: الفردوسُ فيما سَمِعتُ مِن كلامِ العَرَبِ: الشَّجرُ الملتَفُّ، والأغلَبُ عليه العِنَبُ، وجمعُه الفراديسُ...

قال الزجَّاج: وحقيقتُه أنَّه البستانُ الذي يجمَعُ كُلَّ ما يكونُ في البساتينِ).

((حادي الأرواح)) (ص: 99، 100).

ويُنظر: ((معاني القرآن)) للزجاج (315/3).

وقال السعدي: (يحتمِلُ أن المرادَ بجنَّاتِ الفردوسِ: أعلى الجنَّة، وأوسَطُها، وأفضَلُها، وأنَّ هذا الثواب لِمن كَمَّلَ الإيمانَ والعَمَلَ الصَّالحَ، وهم الأنبياءُ والمقَرَّبون.

ويحتَمِلُ أن يُرادَ بها جميعُ منازِلِ الجنانِ، فيشمَلُ هذا الثَّوابُ جميعَ طَبَقاتِ أهلِ الإيمانِ من المقَرَّبين والأبرارِ والمقتَصِدين، كلٌّ بحَسَبِ حالِه، وهذا أولى المعنيَينِ؛ لعُمومه، ولذِكرِ الجنَّةِ بلَفظِ الجمعِ المضافِ إلى الفِردَوس، ولأنَّ الفِردَوسَ يطلَقُ على

عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ - ﷺ -: ((إنَّ في الجنَّةِ مائةَ دَرَجةٍ، أعدَّها اللهُ للمُجاهِدينَ في سَبيلِ اللهِ، ما بين الدَّرَجتَينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، فإذا سألتُم اللهَ فاسْألوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجنَّةِ، وأعلى الجنَّةِ، وفوقه عَرشُ الرَّحمنِ، ومنه تفَجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ)).(358)

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108).

أي: لابثِينَ في جنَّاتِ الفِردَوسِ أبدًا، لا يَطلُبونَ عنها تحَوُّلًا إلى غيرِها، ولا يَختارونَ سِواها.

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109).

البستانِ المحتوي على الكَرْمِ، أو الأشجارِ الملتَفَّةِ، وهذا صادِقٌ على جميعِ الجنَّةِ؛ فجنَّةُ الفردوسِ نُزُلٌ وضيافةٌ لأهلِ الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ).

((تفسير السعدي)) (ص: 488).

ويُنظر: ((تفسير ابن عاشور)) (16/50).

اختلف السلف في المراد بقوله تعالى: ﴿جنات الفردوس﴾ على ثلاثة أقوال: الأول: أنها أوسط الجنة وأفضلها.

الثاني: أنها كلمة رومية تعني: البساتين.

الثالث: أنها البستان الذي فيه أعناب.

وقد رجّح ابنُ جرير القول الأول مستندًا إلى ما ورد من الأخبار عن رسول الله - ﷺ -.

[٤١١٩] وجّه ابنُ عطية (٥/ ٦٦٨) قول مجاهد، فقال: «وكأنه اسم جمع، وكأن واحده حوالة».

ثم انتقده بقوله: «وفي هذا نظر».

ثم ذكر قولًا آخر، فقال: «وقال الزجاج عن قوم: هو من الحِيلَة في الشغل».

وانتقده بقوله: «وهذا ضعيف متكلف».

(358) رواه البخاري (2790).

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي.

سَبَبُ النُّزولِ:

عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: (قالت قُرَيشٌ لليهودِ: أعطُونا شَيئًا نسألُ عنه هذا الرَّجلَ، فقالوا: سَلُوه عن الرُّوحِ، فسألوه، فنزَلت: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [الإسراء: 85] ، قالوا: أُوتينا عِلمًا كثيرًا؛ أُوتينا التَّوراةَ، ومَن أُوتيَ التَّوراةَ فقد أُوتيَ خيرًا كثيرًا! قال: فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ: قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي).[359]

---

(359) أخرجه الترمذي (3140)، والنَّسائي في ((السنن الكبرى)) (11314)، وأحمد (2309) واللفظ له.

قال الترمذي: (حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه)، وأخرجه ابنُ حبان في ((صحيحه)) (99)، وصحَّح إسنادَه الحاكِمُ في ((المستدرك)) (579/2)، وصحَّحه ابنُ دقيق العيد في ((الاقتراح)) (104)، وصحَّح إسنادَه الذهبي في ((تاريخ الإسلام)) (212/1)، وقال ابنُ حجر في ((فتح الباري)) (253/8): (رجالُه رجالُ مسلمٍ)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (86/4)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3140).

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي.

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ-: لو كان البَحرُ مِدادًا للأقلامِ التي تُكتَبُ بها كَلِماتُ رَبِّي،(360) لفَرَغ ماءُ البحرِ قبل أن يُفرَغَ مِن كِتابةِ كَلِماتِ رَبِّي؛ لعدَمِ تناهي مَعلوماتِه سُبحانَه وبحَمدِه.(361)

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا.

أي: ولو زِدْنا البحرَ بمِثلِ ما فيه من الماءِ مَرَّةً بعدَ أُخرى، لنَفِدَ ماءُ البحرِ وما زِيدَ فيه مِن بحارٍ، ولم تَنفَدْ كَلِماتُ اللهِ.

كما قال تعالى: وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [لقمان: 27].

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110).

---

(360) قال الرسعني: (المِداد: ما تُمَدُّ به الدواةُ مِن الحِبرِ، وأصلُه: الزيادةُ، ومجيءُ الشيءِ بعدَ الشيءِ).
((تفسير الرسعني)) (4/380).
وقال ابنُ عثيمين: (والمرادُ بالكلماتِ هنا: الكلماتُ الكونيةُ والشرعيةُ).
((القول المفيد على كتاب التوحيد)) (1/253).
وقال أيضًا: (أمَّا الشَّرعيَّةُ فهو ما أوحاه إلى رسُلِه، وأمَّا الكونيَّةُ فهي ما قضى به قَدَرُه).
((تفسير ابن عثيمين- سورة الكهف)) (ص: 150).
(361) وقال الرسعني: (وإنَّما لم تنفَدْ كَلِماتُ اللهِ؛ لأنَّ كلامَه صِفةٌ مِن صفاتِه، فلا يتطَرَّقُ إليها نفادٌ).
((تفسير الرسعني)) (4/380).

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ.

أي: قُلْ -يا مُحمَّدُ- للمُشرِكينَ المكَذِّبينَ برِسالتِك:[362] إنَّما أنا بشَرٌ مِثلُكم مِن بني آدَمَ، لا عِلمَ لي بالغَيبِ إلَّا ما علَّمَني ربِّي، وقد أوحى إليَّ بأنْ أُبلِّغَكم أنَّ مَعبودَكم الذي يستَحِقُّ العبادةَ واحدٌ لا شريكَ له.

فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا.

أي: فمَن كان يرجو رُؤيةَ اللهِ في الآخرةِ، وثوابَه، ويخشَى عِقابَه؛ فلْيَعمَلْ في الدُّنيا عَمَلًا صالِحًا خالِصًا لله، مُوافِقًا لِشَرعِه.[363]

وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا.

---

(362) ممَّن جعل الخِطابَ للمُشركِينَ: ابن جرير، وابن كثير.
يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (439/15)، ((تفسير ابن كثير)) (205/5).
وقال السعدي: (أي: قُلْ يا محمَّدُ للكُفَّارِ وغيرِهم).
((تفسير السعدي)) (ص: 489).
(363) قال الشنقيطي: (قولُه في هذه الآيةِ: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ يشملُ كونَه يأمُلُ ثوابَه، ورؤيةَ وجهِه الكريمِ يومَ القيامةِ، وكونَه يخشَى عِقابَه، أي: فمَنْ كان راجيًا مِنْ رَبِّه يومَ يلقاهُ الثَّوابَ الجزيلَ والسَّلامةَ مِنَ الشَّرِّ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا).
((أضواء البيان)) (356/3).

أي: لا يعبُدْ معَ اللهِ غيرَه[364] ولا يُراءِ في عبادةِ اللهِ أحدًا مِن الخَلقِ، بل يَجعَل عبادتَه خالِصةً للهِ وَحدَه لا شَريكَ له.[365]

---

(364) قال ابن جُزي: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا يحتمِلُ أن يريدَ الشِّركَ باللهِ، وهو عبادةُ غَيرِه، فيكونَ راجعًا إلى قولِه: يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، أو يريدَ الرِّياءَ؛ لأنَّه الشِّركُ الأصغَرُ، واللَّفظُ يحتمِلُ الوَجهينِ، ولا يَبعُدُ أن يُحمَلَ على العُمومِ في المعنيَينِ.

واللهُ أعلم).

((تفسير ابن جزي)) (476/1).

وقال الشوكاني: (قال الماوَرْديُّ: قال جميعُ أهلِ التأويلِ في تفسيرِ هذه الآية: إنَّ المعنى: لا يُرائي بعَمَلِه أحدًا.

وأقولُ: إنَّ دخولَ الشِّرك الجليِّ الذي كان يفعَلُه المُشرِكونَ تحت هذه الآيةِ هو المقَدَّمُ على دخولِ الشِّركِ الخفيِّ الذي هو الرِّياءُ، ولا مانِعَ مِن دُخولِ هذا الخفيِّ تحتها، إنَّما المانِعُ مِن كونِه هو المرادَ بهذه الآيةِ).

((تفسير الشوكاني)) (375/3).

ويُنظر: ((نظم الدرر)) (155/12).

وقال الشنقيطي: (وقوله: وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا قال جماعةٌ مِن أهلِ العلمِ: أي: لا يُراءِ النَّاسَ في عمَلِه؛ لأنَّ العمَلَ بعبادةِ اللهِ لأجلِ رياءِ النَّاسِ مِن نوعِ الشِّركِ، كما هو معروفٌ عند العُلَماءِ أنَّ الرياءَ مِن أنواعِ الشِّركِ.

والتحقيقُ أنَّ قولَه: وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا أعَمُّ مِن الرياءِ وغيرِه، أي: لا يعبُدْ رَبَّه رياءً وسُمعةً، ولا يَصرِفْ شيئًا مِن حقوقِ خالِقِه لأحدٍ مِن خَلقِه؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ [النساء: 48]، [النساء: 116] في الموضِعَينِ، ويقولُ: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ [الحج: 31]، إلى غيرِ ذلك من الآياتِ).

((أضواء البيان)) (356/3).

(365) وممَّن اختار أنَّ المراد بالشِّركِ هنا الرِّياءُ: ابن جرير، والواحدي، والزمخشري، وابن تيمية، والسعدي.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (440/15)، ((الوجيز)) للواحدي (ص: 674)، ((تفسير الزمخشري)) (750/2)، ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (329/7)، ((تفسير السعدي)) (ص: 489).

ويُنظر: ((الجواب الكافي)) لابن القيم (ص: 132).

وعزا الماوردي هذا القولَ إلى جميعِ أهلِ التأويلِ -كما في ((تفسير القرطبي)) (70/11)-، وعزاه النيسابوري في ((تفسيره)) (464/4) إلى المفسِّرينَ.

وممن قال بهذا القولِ مِن السلفِ: سفيانُ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، والحسنُ.

يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (440/15)، ((تفسير ابن أبي حاتم)) (2394/7)، ((تفسير ابن الجوزي)) (115/3).

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ – ﷺ –: ((قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشُّرَكاءِ عن الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشرَكَ فيه معيَ غيري، تَرَكتُه وشِرْكَه)).(366)

وعن أبي هُريرة رضِيَ الله عنه، قال: سَمِعتُ رَسولَ الله – ﷺ – يقولُ: ((إنَّ أوَّلَ النَّاسِ يُقضى يومَ القيامةِ عليه رجُلٌ استُشهِد، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلت فيها؟ قال: قاتَلتُ فيك حتى استُشهِدتُ، قال: كَذَبتَ، ولكِنَّك قاتَلْتَ؛ لِأن يُقالَ: جريءٌ، فقد قيل، ثمَّ أُمِر به فسُحِبَ على وجهِه حتى أُلقِيَ في النَّارِ! ورجلٌ تعلَّم العِلمَ وعلَّمَه، وقرأ القُرآنَ، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلت فيها؟ قال: تعلَّمتُ العِلمَ وعَلَّمتُه، وقرأتُ فيك القُرآنَ، قال: كَذبْتَ، ولكنَّك تعلَّمت العِلمَ؛ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقرأتَ القُرآنَ؛ لِيُقال: هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِب على وجهِه، حتى أُلقيَ في النَّارِ! ورجلٌ وسَّع اللهُ عليه، وأعطاه مِن أصنافِ المالِ كُلِّه، فأُتِيَ به، فعرَّفه نِعَمَه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: ما تركتُ مِن سَبيلٍ تحِبُّ أن يُنفَقَ فيها إلَّا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبْتَ، ولكِنَّك فعَلْتَ؛ ليقالُ: هو جَوادٌ، فقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثم أُلقيَ في النَّارِ!)).(367)

---

(366) رواه مسلم (2985).

(367) رواه مسلم (1905).

تمَّ بحمدِ اللهِ تعالى المجلَّدُ الخامسَ عشرَ ويليه المجلدُ

السادسَ عشرَ وأوَّلُه تفسيرُ سورةِ مريمَ

الفهرس

"هَذِهِ مُسْوَدَّةُ نُسْخَةٍ إِلِكْتْرُونِيَّةٍ، جَمِيعُ حُقُوقِهَا مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ.

لَا يُسْمَحُ بِنَشْرِهَا أَوْ تَدَاوُلِهَا إِلَّا بِإِذْنٍ كِتَابِيٍّ صَرِيحٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِ."

نسخة إلكترونية

المغني في التفسير

المُحرِّرُ الجامعُ لِتفاسِيرِ السَّلَفِ

[تَهْذِيبُ التَّفْسِيرِ المُحَرَّرِ لِلدُّرَرِ السَّنِيَّة]

[مُطَرَّزًا بِحَاشِيَةٍ مِنْ تَحْرِيرَاتٍ وَتَرْجِيحَاتٍ وَتَعْلِيقَاتِ عُيُونِ تَفَاسِيرِ المُحَقِّقِينَ فِي التَّفْسِيرِ:

{ابْنِ جَرِيرٍ، وَابْنِ عَطِيَّةَ، وَابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَابْنِ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ، وَابْنِ كَثِيرٍ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى}

كَتَبَهُ وَاعْتَنَى بِهِ

د/ هَانِي بْن عَبْده

د/ آلَاء رِضَا